القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الأسبوعي
Weekly
السنة الرابعة والثلاثون العدد 10922 الأحد 12 آذار (مارس) 2023 – 20 شعبان 1444 هـ
Volume 34 - Issue 10922 Sunday 12 March 2023

16

حوار: محمد الرعيض رئيس غرف التجارة الليبية

36

سوريا: الزلزال ينال من قلاع ومعالم أثرية

40

مفتاح ريمونتادا ليفربول أمام ريال مدريد

فلسطين: عملية مقاومة في قلب تل أبيب 02

زياد ماجد: تحدّيات التطبيع السعودي الإيراني 22

بانكسي زيورخ: الجدار العازل والغبن السوري 27

أمريكا في المنطقة: انحسار أم مُحاق؟

لهاث كبار مبعوثي البيت الأبيض إلى الشرق الأوسط، ابتداء من وزير الخارجية ووزير الدفاع وليس انتهاء بمستشار الأمن القومي، مؤشر صريح على مأزق السياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة، وعلى تعدد المستويات التي بلغها انحدار النفوذ الأمريكي بدرجات غير مسبوقة أحيانا. صحيح أن بعض السبب يعود إلى خيارات الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب في ممارسة انحياز أكثر عشوائية وصلفاً لصالح دولة الاحتلال الإسرائيلي، وإجبار بعض تابعيات واشنطن على خطوات تطبيع مجانية. غير أن استمرار إدارة جو بايدن في معظم نهج ترامب، وتحولات العالم خارج نظام القطب الواحد نحو بدائل في روسيا والصين، يثير السؤال المشروع: أهذا انحسار، أم محاق؟

(حدث الأسبوع 8 ـ 15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

عملية مقاومة في قلب تل أبيب
مؤشر على المواجهة الآتية غير القابلة للاحتواء

جاءت جريمة إعدام المقاومين الثلاثة في بلدة جبع بضربة أكبر لكل الجهود الخاصة بالتهدئة وخفض التصعيد أما الفعل الأكبر فكان من خلال الرد بعملية تل أبيب.

رام الله ـ «القدس العربي»: سعيد أبو معلا

أسبوعان على قمة العقبة الخماسية وكل ما قيل بعدها من أنها خيار المضطر بالنسبة للسلطة الفلسطينية أصبح يتأكد في الأحداث التي تلتها، فاليدان حافل بالأحداث التي لا سيطرة لها عليها، وفي المقابل يبدو التصعيد الإسرائيلي انعكاسا لعدم الجدية من جهة، ولفهمها الخاص لمعنى التهدئة وكيف تكون ومن هي الجهة الوحيدة التي عليها الالتزام وتنفيذ التعهدات والتفاهمات.

لقد حمل الأسبوع الماضي أيضا كما الأسبوع الذي سبقه كل ما لم يرق لأطراف القمة، مجزرة مخيم جنين التي استشهد فيها 6 فلسطينيين من بينهم منفذ عملية حوارة، وفي نهاية الأسبوع أعدمت القوات الخاصة الإسرائيلية ثلاثة مقاومين في بلدة جبع جنوب جنين إلى جانب عمليات وممارسات جعلت الأسبوع دمويا حيث استشهد خلاله 12 فلسطينيا، فما هي النتيجة؟

لقد جاء الرد الفلسطيني في قلب تل أبيب، وفي لحظة كانت المدينة في قمة استنفارها الأمني، حيث تمكن ابن بلدة نعلين القريبة من رام الله المعتز بالله الخواجا من تنفيذ عملية إطلاق نار على مستوطنين في مطعم في شارع المدينة الأكثر شهرة.

تشييع شهداء بلدة جبع

مرحلة المقاومة المنظمة

وحسب الباحث والكاتب معز كراجه فإن العملية الأخيرة (عملية تل أبيب) أدخلت الضفة الغربية في مرحلة المقاومة المنظمة، وذلك بعد أن تبنت كتائب القسام الجناح العسكري لحركة حماس للعملية، وهو ذات الأمر مع العملية التي سبقتها في بلدة حوارة.

ويرى كراجة أن المقاومة المنظمة هذه المرة، تأتي بالتوازي مع تطور المقاومة الفردية، وهو ما يشكل معضلة «أمنية» حقيقية أمام الاحتلال، بدليل القدرة على تنفيذ العملية في تل أبيب رغم كل حالة الاستنفار والاحتياطات الأمنية.

ويشدد أنه بالتوازي بين المقاومة المنظمة والفردية يفتح الباب أمام فرصة تطور مقاومة شعبية تنخرط فيها شرائح اجتماعية أوسع، وهو ما لم يحصل منذ أوسلو، وينطلق في تحليله من أهمية عملية تل أبيب في كونها تؤشر إلى قدرة فلسطينية على الرد السريع والناجح على القتل الإسرائيلي، وهذه معادلة مهمة خاصة أن الوعي الإسرائيلي مبني على «القدرة على القتل» دون دفع الثمن.

ويضيف في ذات السياق أن الحكومة الإسرائيلية الحالية سوقت نفسها على أنها الأقدر على «حفظ الأمن» ولكنها تسجل كواحدة من أكثر الحكومات فشلا في ذلك، وهذا على المدى البعيد سيترك أثره المهم على الوعي الإسرائيلي. ويتابع قائلا: «ولذلك فإن أهم ما تحققه الضفة الغربية اليوم هو إعادة بناء صورة الفلسطيني القوي القادر، في الوعي الإسرائيلي، على عكس الصورة التي اختزنتها من السنوات العجاف السابقة».

ويختم كراجه أن واحدة من أهم إنجازات قوى المقاومة في جنين ونابلس، أنها حولت فعل المقاومة إلى فكرة يمكن لكل فرد أن يحملها بدون حاجة إلى إطار تنظيمي، وهذا أكبر تحدي على الإسرائيلي مواجهته. فيما عقلية الحكومة الإسرائيلية ستدفعها إلى مزيد من القتل ومحاولات القمع، وهو ما يعني أن الأيام المقبلة ستأخذ الضفة الغربية تحديدا إلى مواجهة أكبر لا يمكن احتواؤها.

دلالات ثلاث

عماد أبو عواد، مدير مركز «القدس» للدراسات، يضع عملية القدس في ثلاث دلالات رئيسية في ظل أن مكان العملية ووقتها في ذروة الاستنفار الأمني بعد مسيرات المعارضة الحاشدة.

ويكمل أبو عواد معتبرا أن العملية جاءت بعد أيام عاشت فيها دولة الاحتلال حالة من الشعور بإن العمل المقاوم الفلسطيني منصب تجاه المستوطنين والمستوطنات في الضفة الغربية، فيما جاءت العملية لتؤكد أن الحالة الإسرائيلية العامة ستعاني جراء سياسة الحكومة اليمينية، وليس المساحة التي أصبحت تحت سيطرة الصهيونية الدينية حيث أصبحت تسيطر عمليا على الضفة الغربية.

ويشدد أن كل إجراءات الاحتلال الأمنية التي رأت أن من خلالها يمكنها أن توفر لها الأمن فشلت عمليا في ظل قدرة المقاوم الفلسطيني على الوصول، فالحلول الأمنية التي اعتقد الاحتلال أنه من خلالها سيقلل من حدة العلميات في الداخل المحتل أثبتت فشلها.

ونشرت وسائل إعلام عبرية أن الشاباك الإسرائيلي حقق مع منفذ العملية الشاب معتز بالله الخواجا مرتين من دون أن يترتب على ذلك أي نتيجة، وأن الشهيد الخواجا تمكن من الدخول إلى قلب تل أبيب فيما تجول فيها حتى وصل إلى مكان تنفيذ العملية.

الدلالة الثالثة حسب مدير مركز القدس ترتبط برغبة سكان تل أبيب أو ما يطلق عليه المعسكر المناهض لنتنياهو أن تلقى مصيرها مقابل الفلسطينيين في الضفة الغربية، لكن النتيجة أن الضغط الإسرائيلي على الفلسطيني فشل وترتب عليه توجه المقاومة لعملياتها على الاحتلال الإسرائيلي في كل مكان بحيث لم تعد تقتصر على الضفة الغربية.

من إدارة الصراع إلى احتوائه

في سياق متصل يحلل الكاتب والباحث الفلسطيني إبراهيم فريحات نتائج قمة العقبة في أن أبرز النتائج العملية للقاء العقبة هو عملية احتواء للصراع الفلسطيني الإسرائيلي وليس إدارة الصراع.

يعرف في ظل ذلك إدارة الصراع مشيرا إلى أنه وضع قواعد تنظم الصراع وتحكم سلوك المتصارعين، أما الاحتواء فهو تخفيض للعنف من دون أن تتضمن بالضرورة إرساء قواعد سلوك تنظيمية للصراع.

ويضرب مثالا: احتواء الصراع هو محاولة إطفاء للحريق الذي يلتهم البيت، أما إدارة الصراع فهو أخذ للاحتياطات التي تمنع نشوب النار في البيت مثل إخراج المواد المشتعلة خارج البيت وتزويده بمواد تقاوم الحريق وغيره. الاحتواء هو درجة أقل من الإدارة حيث أنه يتعامل مع مشكلة آنية (إطفاء النار) بينما تهتم الإدارة للصراع بتنظيم ووضع قواعد سلوك.

ويضيف: «والمؤكد أن كلا العمليتين (الإدارة والاحتواء) هما أقل من حل الصراع الذي يعني بالتوصل لاتفاقيات تتعامل مع جذور الصراع».

ويكمل قائلا: «في السابق كانت الإدارة الامريكية تُنتقد في أنها تريد إدارة الصراع وليس حل الصراع والنتيجة أنها تراجعت إلى مستوى أقل من الإدارة إلى الاحتواء مبتعدة بذلك درجة إضافية عن الحل للصراع».

ويرى فريحات أن ما جرى في العقبة هو تفاهمات وليس اتفاقيات، مثل وقف إصدار تراخيص جديدة لمستوطنات وليس وقفا للنشاط الاستيطاني، فيما تصريحات نتنياهو تؤكد مخرجات المؤتمر ولا تتناقض معه.

ويشدد أن المشكلة في شخص الرئيس الأمريكي بايدن أكثر منها في الإدارة الأمريكية، فبايدن الذي يشن حربا أخلاقية في أوكرانيا نراه يتعامل بطريقة لا أخلاقية في فلسطين، فيما ليس مطلوب من المواطن الفلسطيني في «حوارة» دفع ثمن تناقضات بايدن الأخلاقية.

ويخلص فريحات إلى أن التوتر سيستمر في الضفة الغربية والقدس لأن التفاهمات لا تتعامل مع جذور الصراع، ويحذر من أن الطرف الفلسطيني تحول في القمة الخماسية إلى «حصان طروادة» الذي شرع التعامل مع حكومة فاشية في تل أبيب تدعو لإبادة جماعية في حوارة.

وعليه أصبح السؤال الملح فلسطينيا حول مشاركة السلطة الفلسطينية في مؤتمر أو قمة شرم الشيخ خلال الشهر الجاري، حيث كانت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية قد رجحت أن يكون للأحداث الميدانية على الأرض تأثير على السيناريو الذي حاولت الأطراف الخمسة رسمه في «قمة العقبة».

المسألة هنا تجاوزت ما حدث في بلدة حوارة وتلك التصريحات التي كررها أكثر من مسؤول حول محو البلدة وهو أمر يعكس جوهر الممارسة الاستيطانية هناك، فعمليات الاقتحام الدموية ما زالت مستمرة فيما جاءت جريمة إعدام المقاومين الثلاثة في بلدة جبع بضربة أكبر لكل الجهود الخاصة بالتهدئة وخفض التصعيد أما الفعل الأكبر فكان من خلال الرد بعملية تل أبيب.

الخبير في الشأن الإسرائيلي عادل شديد يقول إن المعالجة الأمنية الإسرائيلية لن تنهي الحالة النضالية الفلسطينية، وما جرى عكس الرغبة الاحتلالية حيث شهدت الضفة الغربية نقلة نوعية عن العام الماضي.

ويضيف: اليوم نرى أن رسالة عملية تل أبيب أنه في ظل هذه الحملة الواسعة في كل الضفة وتحديدا في شمالها أصبحت المقاومة تتكيف مع الواقع الميداني.

ويضيف أن هناك معادلة مفادها أن وجود الاحتلال في الضفة الغربية من أجل توفير الأمن للإسرائيلي في تل أبيب أصبحت معادلة مشكوك في صحتها، فوجود الاحتلال بالضفة أصبح مصدر انعدام الأمن للإسرائيلي بالداخل.

ويبقى السؤال حسب شديد: هل يعترف الإسرائيلي بإنه مصدر كل الشرور، وأن سبب عمليات المقاومة هو الاحتلال وجرائمه؟ ويجيب أن التجربة مع هذا الاحتلال تخبرنا إنه لن يعترف. وسيحاول أن يجد أطرافا يحملها النتائج، مثل: ضعف السلطة تارة، ومسؤولية حماس تارة أخرى، «فالإسرائيلي لا يعترف بفشل منظومته، والعملية هي مخرجات الواقع والبيئة الفلسطينية الجديدة حيث أن الأغلبية الساحقة باتت مقتنعة بنهج المقاومة المسلحة بعد فشل المشروع السياسي».

ويؤكد شديد أن هناك جهدا إقليميا لخفض المواجهة، لكن الحقيقة تقول إن الطرف الإسرائيلي يبقى العامل الأهم في ذلك، وهو يعمل على إفشال القمة وإعادة الأمور لما كانت عليه، وهو ما يجعل من التغيرات الحالية والعناصر المختلفة في الضفة، في ظل مكونات الحكومة الإسرائيلية، لا يمكن أن تقود لتهدئة الأمور، فالمنطقة ذاهبة نحو التصعيد وليس التهدئة.

مجازر عمال الكمأة في البادية السورية:
صراع على النفوذ ضحيته الفقراء

قتل العشرات من العمال المياومين الذين يعملون في جمع ثمرة الكمأة، وتبادلت أطراف عدة الاتهامات حول المسؤولين عن الهجوم.

منهل باريش

أعلن تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» مسؤوليته عن تنفيذ 11 عملية في سوريا، منذ بداية شهر شباط (فبراير) توزعت بين محافظتي الحسكة ودير الزور، استهدفت مقاتلين في قوات سوريا الديمقراطية «قسد» أو أعضاء وعاملين مدنيين في الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا. وتركزت هجمات التنظيم في محافظة دير الزور حيث نفذ بها وحدها عشر عمليات مقابل هجوم واحد في محافظة الحسكة. وأعلن التنظيم مقتل القيادي في «قسد» زكريا الخلف وجرح أربعة جنود امريكان في الاشتباكات التي حصلت في 26 شباط (فبراير) خلال الهجوم الذي شنته قوات التحالف الدولي مدعومة بقوات من «قسد» في قرية الحجنة التابعة لناحية البصيرة في ريف دير الزور الشرقي. وهي القرية الواقعة على الضفة اليسرى لنهر الفرات وهي ضمن منطقة النفوذ الأمريكي في سوريا. وخلال الهجوم المذكور قتل أبو حمزة الأنصاري حسب ما أقر التنظيم ورصدت «القدس العربي».

وحذر قائد القيادة المركزية الأمريكية، الجنرال مايكل إريك كوريلا من أن تنظيم «الدولة الإسلامية» لا يزال «يحتفظ بالقدرة على توجيه الهجمات وإلهامها وتنظيمها وقيادتها في المنطقة وخارجها، كما لا تزال أيديولوجية التنظيم الدنيئة غير مقيدة».

إلى ذلك، يعتبر شهر شباط (فبراير) الأكثر دموية في البادية السورية منذ القضاء على تنظيم «الدولة الإسلامية في الشام والعراق» في منطقة الباغوز شرق سوريا في ربيع عام 2019 حيث قتل العشرات من العمال المياومين الذين يعملون في جمع ثمرة الكمأة، وتبادلت أطراف عدة الاتهامات حول المسؤولين عن الهجوم. فقد حملت قبيلة بني خالد مسؤولية مقتل أبنائها للمليشيات الإيرانية العاملة في منطقة البادية.

وأصدرت قبائل في البادية السورية بيانا اتهمت فيه «لواء فاطميون» الأفغاني بمقتل 75 شخصاً من أبنائها في مجزرة بشعة حصلت في منطقة الضبيات بريف السخنة شمال مدينة تدمر الأثرية. ولفتت القبائل إلى أن أغلب القتلى هم من قبيلة بني خالد، لافتا إلى أن جميع القتلى هم من «المدنيين العزّل الذين كانوا يعملون في جني الكمأة». وخاطب البيان «المجتمع الإيراني» وشددت القبيلة على أنها صاحبة الادعاء ضد المسؤولين عن تلك المجزرة.

وقاح وهي منطقة المخيمات قرب الحدود التركية. وأكد المرصد السوري لحقوق الإنسان أن القتيل كان قياديا في تنظيم «حراس الدين» الموالي لتنظيم «قاعدة الجهاد العالمي».

وحذر قائد القيادة المركزية الأمريكية، الجنرال مايكل إريك كوريلا من أن تنظيم «الدولة الإسلامية» لا يزال «يحتفظ بالقدرة على توجيه الهجمات وإلهامها وتنظيمها وقيادتها في المنطقة وخارجها، كما لا تزال أيديولوجية التنظيم الدنيئة غير مقيدة».

إلى ذلك، يعتبر شهر شباط (فبراير) الأكثر دموية في البادية السورية منذ القضاء على تنظيم «الدولة الإسلامية في الشام والعراق» في منطقة الباغوز شرق سوريا في ربيع عام 2019 حيث قتل العشرات من العمال المياومين الذين يعملون في جمع ثمرة الكمأة، وتبادلت أطراف عدة الاتهامات حول المسؤولين عن الهجوم. فقد حملت قبيلة بني خالد مسؤولية مقتل أبنائها للمليشيات الإيرانية العاملة في منطقة البادية.

وأصدرت قبائل في البادية السورية بيانا اتهمت فيه «لواء فاطميون» الأفغاني بمقتل 75 شخصاً من أبنائها في مجزرة بشعة حصلت في منطقة الضبيات بريف السخنة شمال مدينة تدمر الأثرية. ولفتت القبائل إلى أن أغلب القتلى هم من قبيلة بني خالد، لافتا إلى أن جميع القتلى هم من «المدنيين العزّل الذين كانوا يعملون في جني الكمأة». وخاطب البيان «المجتمع الإيراني» وشددت القبيلة على أنها صاحبة الادعاء ضد المسؤولين عن تلك المجزرة.

وازدادت وتيرة الهجمات بعد «مجزرة السخنة» ضد المدنيين ورعاة الأغنام على تخوم البادية السورية حيث قارب عدد القتلى من عمال جني الكمأة ورعاة الأغنام المئة قتيل تقريبا حسب إحصاءات ناشطين محليين.

وبعيد مجزرة السخنة بأيام قليلة، هاجم مقاتلو تنظيم الدولة عناصر يتبعون الدفاع الوطني بريف الرقة الجنوبي كانوا يجمعون الكمأة، أغلبهم من ريف منطقة السفيرة بريف حلب الشرقي.

وقتل الخميس الماضي، ثلاثة رعاة للأغنام وسرقت مئات الأغنام في منطقة مراعي تل سلمة بريف سلمية الشرقي وهي منطقة نشاط لمقاتلي تنظيم «الدولة» إلا أن التنظيم تجنب في كل تلك الحوادث ذكر أي علاقة تربطه بها. وهاجم مقاتلو التنظيم دورية لقوات النظام السوري في منطقة السخنة، أدت لمقتل عنصر على الأقل من قوات النظام.

ونهاية شهر شباط (فبراير) قتل 8 مدنيين وأصيب آخرين بانفجار ألغام أرضية يرجح أن يكون تنظيم الدولة قد زرعها في البادية السورية في منطقة المستريحة شرق سلمية. وقالت وكالة الأنباء السورية «سانا» أنه أثناء توجه مجموعة من المواطنين لجمع فطر الكمأة بريف السلمية الشرقي، انفجر لغم تركه تنظيم «الدولة» ما أدى إلى مقتل تسعة مواطنين وإصابة اثنين آخرين. وأضافت الوكالة أن انفجارا ثانيا وقع في المنطقة ذاتها ما أدى إلى مقتل شخص وإصابة 10 آخرين.

ويعتبر «موسم الكمأة» أحد أهم المواسم التي يعتمد عليها سكان البادية في تحسين أوضاعهم الاقتصادية في بداية فصل الربيع، حيث يعمل الآلاف بذلك الموسم، حيث يبلغ سعر الكيلو الواحد منها قرابة 100 ألف ليرة سورية (15 دولار تقريبا). ووجد الضباط الأمنيون والعسكريون لدى النظام السوري موسم الكمأة إحدى الموارد الهامة لهم حيث بنوا شبكات اقتصادية مع تجار الكمأة ينالون منها حصة يومية مقابل السماح للتجار بالبحث عن الثمرة في مناطق سيطرتهم في البادية السورية، وترجح تقديرات متقاطعة أن يكون السبب في تلك الحوادث والمجازر المتكررة والاعتداء على العمال المياومين بسبب الصراع على مناطق جني الكمأة.

من ناحية عملية، فإنه من المستبعد تورط تنظيم «الدولة الإسلامية» بكل تلك الهجمات على العمال بجني الكمأة. فتكرارها سيؤدي إلى نقمة كبيرة على خلايا التنظيم النشطة على تخوم البادية، وهذا بدوره سيضيق على تحركات الخلايا ونشاطها، فالأخيرة تعتمد بشكل أساسي على القرى المنتشرة على تخوم البادية في عمليات التموين وشراء الغذاء والمحروقات وكل ما يلزمها، كما أن تلك المناطق تعتبر شبكة الطرق التي يعتمد عليها التنظيم في نقل مقاتليه وتحركهم بين مناطق سيطرة المعارضة في ريف حلب الشمالي ومناطق سيطرة «قسد» في ريف الرقة ومناطق شرق سوريا.

إضافة إلى أن قسما لا بأس به هم من أبناء العشائر المحلية، وهو ما يشكل حماية معتادة لتلك الخلايا في شرق سوريا، كل تلك الأسباب ترجح أكثر فرضية تورط الميليشيات الإيرانية التي تدرك ما سبق، وترغب بمنع أي نشاط مدني باتجاه عمق البادية.

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10922 الأحد 12 آذار (مارس) 2023 – 20 شعبان 1444 هـ

العراق: خطّة حكومية بستّة مليارات دولار لمعالجة التغيّر المناخي

تتهم بغداد مرارا جارتيها تركيا وإيران بالتسبب في خفض كميات المياه الواصلة إلى أراضيها، لا سيما بسبب بنائهما لسدود على النهرين.

بغداد ـ «القدس العربي»: مشرق ريسان

في الوقت الذي تخطط فيه الحكومة العراقية تخصيص 6 مليارات دولار في موازنة العام الحالي لمعالجة التغيّر المناخي وآثاره في البلاد التي تشهد موجة جفاف حادّة تُنذر بصيف قاس، تشير مصادر حكومية إلى فقدان البلادّ نحو 70 في المئة من مياهه في هذا الموسم، نتيجة الانخفاض الملحوظ في الإطلاقات المائية لنهري دجلة والفرات، من دول الجوار.

ويعدّ العراق واحداً من بين خمسة بلدان على مستوى العالم، الأكثر تضرراً بفعل التغير المناخي، وفقاً للأمم المتحدة.

وبالإضافة إلى ذلك، يرى مسؤول عراقي سابق، إن البلاد توشك أن تصبح «أرضاً بلا أنهار» في حدود عام 2040 متنبّئاً بـ«جفاف نهري دجلة والفرات» التاريخيين.

وطبقاً لبيان الوزير الأسبق، ورئيس حركة «انجاز» باقر الزبيدي، فإن العديد من الشكاوى التي ترده من سكان جنوب العراق تتحدث عن «الجفاف الذي ضرب مناطقهم، وفي نفس الوقت رصدنا مشاهد صادمة تُظهر جفاف مساحات شاسعة من نهري دجلة والفرات حتى بات القاع ظاهراً ويُرى بالعين المجردة في محافظتي ذي قار وميسان».

وحسب التصريحات الرسمية لوزارة الموارد المائية فإن العراق «خسر نحو 70 في المئة من حصته المائية» وإن «الإيرادات الحالية التي تأتي من دول الجوار لم تتجاوز 30 في المئة» ويعود السبب في ذلك حسب الزبيدي إلى «عدم التزام دول المنبع بسياسة الاستحقاق العادل بين الدول المتشاطئة».

وبيّن إن «معدل استهلاك المياه للعراق يبلغ نحو 53 مليار متر مكعب سنوياً، وفي مواسم الجفاف نحو 44 مليار متر مكعب، ونقص واحد مليار متر مكعب من الحصة المائية يعني خروج 260 ألف دونم من الأراضي الزراعية من حيز الإنتاج».

وأكد أن «العراق من بين دول العالم الخمس الأكثر عرضة للتصحر والتغير المناخي، وبحسب مؤشر (الإجهاد المائي) سيصبح العراق أرضاً بلا أنهار في حدود العام 2040 بعدا أن يجف نهرا دجلة والفرات».

ورأى أن «أزمة المياه وجودية، والتاريخ يخبرنا أن حضارات كاملة زالت بسبب عدم توفر المياه، ما يعني أننا قد نشهد أكبر موجة نزوح سكانية في البلاد».

وحمّل الزبيدي الحكومات المتعاقبة «مسؤولية ما جرى ويجري في ملف المياه، بسبب ضعف المفاوض العراقي، ما جعل دول المنبع تستمر في إجراءاتها التعسفية ضد العراق، حائزاً على أهمية «الإسراع بتشكيل خلية أزمة تأخذ على عاتقها وضع حلول حقيقية وتنفيذها بدقة من خلال تبطين القنوات المائية لتقليل الهدر ورفع التجاوزات وإقامة السدود الصغيرة لخزن المياه، والاعتماد على المياه الجوفية والأبار».

ومضى يقول: «من ثم تبدأ المرحلة الثانية بحفر قناة من شط العرب باتجاه بحر النجف، الذي ينخفض بنسبة كبيرة عن البصرة، وهو ما يسمح بتدفق المياه بشكل عكسي باتجاه بحر النجف، حيث ستشكل هذه القناة رافداً وخزان مياه لبحر النجف في حال انخفاض منسوب المياه فيها، وخزان عملاق في حال انطلاق مشروع تحلية المياه، كما أن هذه القناة ممكن استغلالها كمرفق سياحي وكبحيرات صناعية لتربية الأسماك».

وتوصّلت المفاوضات العراقية ـ التركية، المتعلقة بملف المياه، إلى موافقة الأخيرة على إطلاقات مائية لنهري دجلة والفرات بمقدار 900 متر مكعب/ ثانية، ولمدّة شهر واحد. وحسب تصريح لمواقع إخبارية محلّية، يرى المتحدث الرسمي لوزارة الموارد المائية، خالد شمال، أن «الوفد العراقي ذهب الى تركيا برئاسة وزير الدفاع ممثلا عن رئيس الوزراء محمد شياع السوداني، من اجل بحث عدة ملفات كان أهمها ملف اطلاق حصص العراق المائية، حيث تم الاتفاق تم بزيادة الاطلاقات المائية للنهرين ووصلت زيادة مياه نهر الفرات لـ 500 متر مكعب بالثانية، بينما وصلت زيادة مياه نهر دجلة لـ 400 متر مكعب بالثانية، وسيكون هذا الاتفاق لمدة شهرا فقط» مبينا ان «سبب عدم التزام تركيا في اطلاق حصص العراق المائية هو عدم وجود اتفاقية او قانون ينظم حصول العراق على حصصه المائية».

وتتهم بغداد مرارا جارتيها تركيا وإيران بالتسبب في خفض كميات المياه الواصلة إلى أراضيها، لا سيما بسبب بنائهما لسدود على النهرين.

وأوضحت وزارة الموارد المائية العراقية في بيان سابق، أن «الانخفاض الحاصل بالحصص المائية في بعض المحافظات الجنوبية» عائد إلى «قلة الإيرادات المائية الواردة إلى سد الموصل على دجلة وسد حديثة على الفرات من الجارة تركيا».

وقالت إن ذلك أدى إلى «انخفاض حاد في الخزين المائي في البلاد».

وسبق أن نشرت «فرانس برس» تقريرا

شهر العام الماضي، يفيد بتسجيل تراجع في منسوب نهري دجلة والفرات في جنوب العراق، في انعكاس للنقص الشديد في المياه وسياسات التقنين من السلطات التي تعهدت باتخاذ إجراءات من أجل معالجة الأزمة.

وفي مدينة الناصرية، مركز محافظة ذي قار في جنوب العراق، وثّق مصور الوكالة «رؤية قاع نهر الفرات ظاهرا» عند الضفاف ودعامات الجسور العابرة للنهر.

ونتيجة لانقطاع المياه عن المنازل لمدة 10 أيام، خرجت تظاهرات في قضاء ذي قار، وتم قطع الطريق الرابط بين ميسان وذي قار بالإطارات المحترقة، فيما هدد أهالي القضاء بتصعيد احتجاجهم، الأسبوع الماضي. وتأتي الاحتجاجات بعد أيام من إعلان الحكومة اطلاق المياه في نهر العطاء، لكنها «غير صالحة» للاستهلاك البشري والحيواني بسبب ملوحتها، حسب قول المحتجين.

حذر احمد ناظم، قائم مقام قضاء الإصلاح، من كارثة اقتصادية وإنسانية كبيرة بسبب أزمة شح المياه التي تضرب مناطق واسعة من جنوب العراق.

وأضاف لموقع «جمّار» أن «60 ألف نسمة أغلبهم من المزارعين بدأوا بالهجرة لمدن أخرى بسبب أزمة شح المياه الآخذة بالتزايد حالياً مع خطر فشل الموسم الزراعي الحالي».

وفي إجراء حكومي جديد، تحدث علي اللامي، مستشار رئيس الوزراء لشؤون البيئة والمناخ، الجمعة الماضية، عن تخصيص 30 مشروعاً يخص التغيّر المناخي، في موازنة 2023 المزمع تشريعها.

ووفقاً للامي فإن «رئيس الوزراء محمد شياع السوداني، خصص بندا في الموازنة للبيئة والمناخ لاول مرة في تاريخ العراق، اذ أن تخصيصات التغير المناخي في الموازنة بلغت 6 مليارات دولار».

وأضاف، أن «هناك هدرا كبيرا للمياه في العراق، والجفاف ينعكس سلبا على مختلف المستويات».

يأتي ذلك في وقت من المقرر أن يشهد العراق، اليوم الاحد، انعقاد مؤتمر وطني للمناخ، بحضور المنظمات الدولية والدول المانحة، فيما تخطط الحكومة الاتحادية لإقامة «مؤتمر إقليمي» في الخريف المقبل للغرض ذاته.

Volume 34 - Issue 10922 Sunday 12 March 2023

اليمن: جولة سابعة و«فاصلة» من مفاوضات ملف الأسرى

ملف الأسرى من أكثر الملفات تعقيدًا؛ إذ لا يعرف كل طرف كم أسراه لدى الآخر، ورغم عقد ست جولات بين الطرفين منذ بدء الحرب، إلا أنها لم تنجز الكثير.

صنعاء ـ «القدس العربي»: أحمد الأغبري

جاء تأكيد وزير الخارجية السعودي، الأمير فيصل بن فرحان، خلال زيارته موسكو الخميس، بوجود حوار وحوارات متعددة عبر مسارات مختلفة مدعومة من الأمم المتحدة تستهدف الوصول إلى وقف دائم لإطلاق النار في اليمن دليلا آخر على استمرار المشاورات التي ترعاها مسقط بين الحوثيين والسعودية، والحرص على مضيها نحو هدفها ممثلا في وقف دائم لإطلاق النار، ومن ثم مفاوضات التسوية السياسية وفق إشارة الوزير السعودي.

على الرغم من التسريبات التي تتقاطع بشأن نتائجها، إلا أن مشاورات مسقط، التي انطلقت في كانون الأول/ديسمبر، استطاعت أن تقطع خطوات إلى الأمام ولو بسيطة، وخاصة على صعيد «بناء الثقة» وذلك من خلال تسهيل وصول السفن بما فيها التجارية إلى ميناء الحديدة وموافقة الطرفين على عقد جولة جديدة من مفاوضات ملف الأسرى التي بدأت السبت في جنيف.

ويشمل الملف الإنساني، الذي يصرّ الحوثيون على عدم ربطه بالملف السياسي والعسكري، ما يتعلق بمرتبات الموظفين العموميين وإلغاء الحواجز أمام السفن المتجهة لموانئ الحديدة وتوسيع وجهات السفر من وإلى مطار صنعاء وفتح الطرق وحل إشكالات ملف تبادل الأسرى لدى الطرفين.

يعتبر ملف الأسرى من أكثر الملفات تعقيدًا؛ إذ لا يعرف كل طرف كم أسراه لدى الطرف الآخر، وعلى الرغم من عقد ست جولات بين الطرفين منذ بدء الحرب، إلا أنها لم تنجز الكثير.

شهد العام 2022 جولة في آذار/مارس، تم خلالها توقيع اتفاقية لإطلاق عدد هو الأكبر منذ بدء الحرب، ويشمل 2223 أسيرا، وتم تبادل القوائم، والتحقق منها، وإقرار الآلية التنفيذية في تموز/يوليو في جولة شهدتها العاصمة الأردنية عمّان. ومن ثم زار وفد سعودي صنعاء للاطلاع على الأسرى السعوديين والسودانيين وفق مصادر متطابقة، فيما زار وفد حوثي المملكة للاطلاع على أسراهم هناك.

استطاعت الأمم المتحدة قطع خطوة للأمام بهدف تعزيز مسار «بناء الثقة» بين الطرفين، بما يسهم في تعزيز نجاح مشاورات مسقط، إذ وافق الطرفان على عقد جولة جديدة في جنيف لاجتماعات اللجنة الاشرافية لتبادل الأسرى والمعتقلين، التي بدأت اجتماعاتها برعاية الأمم المتحدة واللجنة الدولية للصليب الأحمر.

وتستهدف هذه المفاوضات، التي ستستمر 11 يوما، استكمال مناقشة خطوات تنفيذ الاتفاقية الموقعة من الجانبين في اذار/مارس من العام الماضي، وصولاً إلى إقرار القوائم النهائية بعد تحقق كل طرف منها، وتحديد موعد التبادل الذي سيتم من خلال الصليب الأحمر.

وتنظر مصادر مطلعة لهذه الجولة بتفاؤل، معتبرة عقدها بموازاة مشاورات مسقط يؤكد أن نتائجها المتوقعة ستكون في صالح المشاورات كدليل إضافي على حسن النوايا، مرجحة أن يكون نجاح اجتماعات هذه الجولة خطوة للأمام؛ لأنها أولا ستشمل أكبر صفقة تبادل أسرى منذ بدء الحرب، وثانيا: ستكون دافعا لمشاورات مسقط باتجاه إعلان اتفاق هدنة ووقف لإطلاق النار، الذي يأمل المتابعون أن يكون دائمًا.

ويضع الحوثيون أمام تنفيذ الصفقة قيام اللجان الفنية بزيارة السجون لدى مختلف الأطراف قبل إقرار القوائم النهائية، وهذا قد لا يفضي إلى نتائج إيجابية؛ لأن زيارة السجون تمثل حجر عثرة لدى جميع الأطراف.

يشار إلى أن آخر صفقة تبادل أسرى تم توقيعها وتنفيذها بين الطرفين تمت في تشرين الأول/اكتوبر 2020م، وتم خلالها إطلاق سراح 1056 أسيرا.

ووفقًا لمصادر إعلامية فإن الاتفاق الأخير سيشمل إطلاق الحوثيين 823 أسيرا من بينهم 16سعوديا و3 سودانيين بالإضافة إلى ناصر منصور هادي شقيق الرئيس اليمني السابق عبدربه منصور هادي، ووزير الدفاع الأسبق اللواء محمود الصبيحي وقائد المنطقة العسكرية الرابعة سابقا اللواء فيصل رجب مقابل إفراج الحكومة المعترف بها والجانب السعودي عن 1400 أسير.

مصدر سياسي يمنيّ، فضل إبقاء هويته محجوبة، رجح احتمال الإعلان عن اتفاق الهدنة الجديدة خلال شهر رمضان، وتحديدا في ذات التاريخ الذي وقع فيه الطرفان اتفاق الهدنة الأخير في الثاني من نيسان/ابريل 2022م.

وقال المصدر لـ «القدس العربي» إن ثمة مؤشرات تؤكد ترجيح نجاح المفاوضات الأخيرة لتبادل الأسرى، وتنفيذ صفقة تبادل الأسرى الأخيرة خلال رمضان كدليل إضافي نحو «بناء الثقة» يسبق إعلان اتفاق الهدنة.

ورجح أن يكون اتفاق الهدنة الجديد لمدة عام مع احتمالات أن يكون دائمًا في حال اتفقوا على وثيقة «الخطوط العريضة للتسوية السياسية» التي صارت ضمن أجندة مشاورات مسقط، وذلك عقب الاتفاق على الملف الإنساني.

وقال إن كل ذلك مرتبط بنجاح الجولة السابعة من مفاوضات تبادل الأسرى في جنيف.

وأشار إلى أن ثمة مؤشرات لنجاحها، «ممثلة في الدعم الإقليمي والدولي لاستمرار وقف إطلاق النار وتوقيع اتفاق هدنة أوسع وفق ضوابط تضمن وقفا شاملا يحول دون أي تصعيد، وهو ما تريده السعودية وتحرص عليه الولايات المتحدة، كما يؤكد على ذلك ما يصدر من تصريحات عن المسؤولين في البلدين بما فيهم وزير الخارجية السعودي خلال زيارته لموسكو مؤخرا، بالإضافة إلى إشادة الرئيس الأمريكي بدور مسقط في مفاوضات الهدنة، ويمكن أن نضيف إلى ذلك التحسن الذي يتجلى في العلاقات السعودية الإيرانية، والذي من شأنه أن ينعكس ايجابًا على عدد من القضايا الإقليمية. علاوة أن حل إشكالات ملف الأسرى يندرج ضمن مشاورات مسقط في سياق اثبات حسن النوايا؛ وبالتالي سيدفع الجميع نحو إنجاح تنفيذ اتفاقية مارس».

وفيما يتعلق بالمعوقات يوضح أن وجود نية لإنجاز الصفقة الأخيرة من ملف الأسرى والمعتقلين لدى الطرفين سيكون كفيلًا بتذويب أي إشكالات ومعوقات، أما في حال غياب ذلك فان الأمر سيمضي إلى مزيد من التعقيد، وبدلاً من أن تقدم جولة مفاوضات ملف الأسرى دليلا في مسار بناء الثقة ستقدم إثباتا واضحًا على المضي في طريق الحرب.

وقال: «لا نستطيع أن نجزم أن مفاوضات مصادر الجولة ستنجح؛ لأننا لا نعلم بما في الكواليس، لكن الإصرار على قيام اللجان الفنية بالتثبت من القوائم من خلال زيارة السجون قد يعيق أو يؤجل تنفيذ الاتفاق ورفضه، وقد تفشل المفاوضات».

وأضاف: «لكن من واقع قراءة المشهد السياسي اليمني وعلاقته الإقليمية والدولية فإن ثمة حرصا اعتقد أنه بات راسخًا لدى الطرفين من أجل أن تكون هذه الجولة حاسمة لتجاوز معوقات التنفيذ. لكنها لن تغلق ملف الأسرى نهائيا لاشتباكاته المتعددة وعدم وجود قوائم شاملة ودقيقة بالأسرى والمعتقلين لدى كل الأطراف، التي تبقى حريصة أن يبقى الأسرى جزءا من ملفات التفاوض في كل مرحلة؛ إلا أنها في حال نجاحها ستكون خطوة للأمام، علاوة على قيمتها الإنسانية العظيمة».

مؤتمر دولي لدعم اليمن إنسانيا

لبنان: نصرالله يحاول لعب دور «مرشد الجمهورية» فكيف سيردّ الكتل المسيحية؟

بدأت طلائع الجبهة المعارضة لخيار الثنائي الشيعي من خلال التلويح بتعطيل نصاب أي جلسة انتخاب لرئيس تتيح وصول مرشح لحزب الله إلى الرئاسة.

بيروت ـ «القدس العربي»: سعد الياس

أكثر من قراءة رافقت إعلان الثنائي الشيعي ترشيح رئيس «تيار المردة» الوزير السابق سليمان فرنجية إلى رئاسة الجمهورية مستبقاً ترشيح الأخير نفسه رسمياً، مع العلم أن فرنجية في زيارته الأخيرة إلى الصرح البطريركي اعتبر نفسه مرشحاً طبيعياً، وحرص على التأكيد أنه ليس مرشح حزب الله، إدراكاً منه مدى الاحراج الذي سيواجهه هذا الترشيح في حال التصق بالحزب لأنه يجعل منه مرشح مواجهة ويؤدي إلى حرق حظوظه في حين يسعى هو ليكون مرشحاً متوافقاً عليه.

وبدا أن ما كان يتخوّف منه فرنجية حصل إذ بادر أمين عام حزب الله السيد حسن نصرالله إلى دعم ترشيحه بعد أيام قليلة على ترشيحه من قبل رئيس مجلس النواب نبيه بري، وكأن الثنائي الشيعي قرّر خوض معركة الرئاسة نيابة عن الزعيم الزغرتاوي، ما تسبّب بصدور ردود فعل فورية استهجنت طريقة الترشيح التي عكست فائض القوة والفوقية التي يتعاطى بها الثنائي مع باقي المكوّنات اللبنانية وخصوصاً المكوّن المسيحي الذي يُفترض أن تُحترَم إرادته وكلمته في انتخابات رئاسة الجمهورية مثلما تُحترَم إرادة وكلمة الثنائي الشيعي في انتخابات رئاسة مجلس النواب أو إرادة المكوّن السني في استشارات تسمية الرئيس المكلف بتشكيل الحكومة. ومن المعلوم أن البطريركية الماورنية والأحزاب المسيحية لا اعتراض لديها على شخص الوزير فرنجية لكنها تعترض على الخط الذي يمثّله والذي يتعارض مع الخط التاريخي المسيحي لجهة الانفتاح على الدول العربية والأجنبية وعدم الانجرار وراء محور الممانعة ولاسيما في هذه الظروف التي يحتاج فيها لبنان لدعم أشقائه العرب لتخطّي الأزمة الاقتصادية والمالية غير المسبوقة، وإقفال الأبواب على أي تصدع جديد في العلاقات مع الدول الخليجية بعد الأزمة الدبلوماسية التي نشأت بين لبنان ودول مجلس التعاون الخليجي إثر تصريحات وزير الإعلام السابق جورج قردحي، بعدما تولّى أمين عام حزب الله التهجّم تكراراً على السعودية قبل أن يخرج أخيراً معاتباً المملكة على عدم الوقوف إلى جانب لبنان ودعمه.

ومن المعروف أن الورقة الكويتية التي وافقت عليها الحكومة اللبنانية تضمّنت سلسلة مطالب لمساعدة لبنان على الخروج من أزمته الاقتصادية، أبرزها التزام لبنان بكافة قرارات الشرعية الدولية وقرارات جامعة الدول العربية ووضع إطار زمني لتنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي وأحدها يدعو إلى نزع سلاح الفصائل المسلّحة في إشارة إلى سلاح «حزب الله» ووقف تدخله في الشؤون الخليجية وبسط سيطرة السلطات الرسمية اللبنانية على كافة منافذ الدولة.

غير أن حزب الله وبدل مساعدة الدولة اللبنانية على احترام ما التزمت به، يصرّ على ممارسة دور «مرشد الجمهورية» ومصادرة القرار اللبناني في محاولة للحلول مكان الوصاية السورية التي كانت تفرض إرادتها في لبنان، إذ كان إسم رئيس الجمهورية ينزل بالوحي على النواب من قصر المهاجرين الذي كان يفرض أيضاً تمديد ولاية الرئيس خلافاً لرغبة اللبنانيين والمجتمع الدولي في كثير من الأحيان. ويبدو أن حزب الله اختار أيضاً طريق الخشونة وتحدّي الرأي العام ودوائر القرار الخارجية كما رأى منسّق الأمانة العامة لقوى 14 آذار سابقاً فارس سعيد الذي لفت إلى «أن ذلك يشبه قرار بشار الأسد بالتمديد للرئيس إميل لحود عام 2004 في وجه القرار 1559».

هذا الترشيح لفرنجية لا يبدو أنه للمناورة أو للمساومة عليه خصوصاً أنه يأتي من طرَفي الرئيس بري والسيد نصرالله خلافاً لما كان عليه الوضع بين الطرفين في مسألة ترشيح وانتخاب العماد ميشال عون، حيث وقف الرئيس بري معترضاً بقوة على هذا الانتخاب رغم ترشيحه من قبل حزب الله، وبالتالي كل الدعوات التي يطلقها الثنائي الشيعي حالياً للحوار إنما هي دعوات للتوافق على فرنجية رئيساً وإلا التعايش الطويل مع الفراغ الرئاسي. وهذا ما يعبّر عنه مقرّبون من الحزب الذين يستعيدون تجربة عون ليقولوا إن فرنجية سيكون هو الرئيس مهما طال الوقت بدليل أن نصرالله لا يمكن أن يفرّط برصيده وصدقيته ولن يتراجع عن التزامه إلا إذا قرّر فرنجية بنفسه الانسحاب من السباق الرئاسي.

في المقابل، بدأت طلائع الجبهة المعارضة لخيار الثنائي الشيعي من خلال التلويح بتعطيل نصاب أي جلسة انتخاب لرئيس تتيح وصول مرشح لحزب الله إلى الرئاسة بما يمكّن الحزب من الإمساك مرة جديدة بالموقع الأول في البلاد خلافاً لإرادة الأحزاب المسيحية الرئيسية الممثلة بالقوات اللبنانية والتيار الوطني الحر والكتائب ونواب مستقلين ولو أن منطلقات رفض التيار تختلف عن منطلقات القوات والكتائب.

ويراهن الفريق المسيحي على عدم قدرة الثنائي الشيعي على حشد أغلبية 65 صوتاً لمرشحه خلافاً للأصوات التي أوصلت بري إلى رئاسة المجلس وخلافاً للأصوات التي أوصلت عون إلى قصر بعبدا، حيث أن حزب الله لما كان قادراً على تأمين وصول عون لولا موافقة القوات اللبنانية وبعدها رئيس «تيار المستقبل» سعد الحريري ورئيس الحزب التقدمي الاشتراكي النائب وليد جنبلاط. أما معركة فرنجية اليوم فتبدأ بخسارة أطراف أساسية في طليعتها القوات والتيار الوطني الحر والصوت السنّي الوازن في غياب الرئيس الحريري، فيما موقف الزعيم الدرزي وليد جنبلاط لا يمكن أن يناقض الفيتو السعودي على الرغم من محاولات الرئيس بري لاستمالة جنبلاط إلى ضفة المرشح فرنجية.

أما التيار الوطني الحر الذي أعلن عدم القبول بأن يفرض علينا أحد من الخارج أو من الداخل قراره، فتحدثت أوساطه عن سلسلة مطبات أمام انتخاب فرنجية أولها ميثاقي ويتطلّب منه إما تفاهماً مع التيار أو تسوية مع القوات اللبنانية، والأمران يحتاجان اليوم إلى ما يشبه المعجزة، ثانيها دستوري يتمثّل بعجز القوى المؤيدة له عن تأمين نصاب الثلثين الذي يتطلب 86 ناشياً، أما المطب الثالث فسعودي، حيث قطعت صحيفة «عكاظ» الشك باليقين، من خلال ما نشرته في الساعات الأخيرة من صور معبرة، ومقالات قاسية في حق فرنجية وعلاقته بحزب الله.

ولكن أوساطا قريبة من حزب الله تذهب في تكهناتها إلى أن الاتفاق السعودي الإيراني على استئناف العلاقات الدبلوماسية سيفتح آفاقاً في المنطقة ومن بينها لبنان كما قال نصرالله، وتراهن هذه الأوساط على منح السعودية ما يرضيها في اليمن مقابل إيصال فرنجية إلى الرئاسة في لبنان، فهل تصدُق هذه التكهّنات أم هي مجرد أضغاث أحلام؟ وهل ستقبل بكركي والأحزاب المسيحية بأي تسوية على حسابهم؟

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10922 الأحد 12 آذار (مارس) 2023 – 20 شعبان 1444 هـ

الطليان يسعون إلى قطعة من الكعكة الليبية

إيطاليا دعمت وما زالت حكومات طرابلس، التي تحظى بدعم أممي، وتعمل بتنسيق مع الولايات المتحدة، وتقف في مواجهة المعسكر الداعم للواء خليفة حفتر.

رشيد خشانة

استكملت رئيسة مجلس الوزراء الإيطالي جورجيا ميلوني جولة عربية محورها الغاز والهجرة غير النظامية. ويتصدر هذان الملفان جميع المحادثات التي أجرتها مع زعماء الدول التي زارتها خلال جولة على مراحل، شملت الشهر الماضي ليبيا والجزائر وتونس ثم مصر والإمارات الشهر الجاري. وبذلك تبوأت علاقات إيطاليا مع العالم العربي صدارة الأولويات الإيطالية، لاسيما في ظل الخلافات القائمة بين روما والعواصم الأوروبية الأخرى، في شأن التعاطي مع المهاجرين غير النظاميين. وتقول ميلوني إن بلدها لا يمكن أن يكونَ محطة الوصول لجميع موجات الهجرة المنطلقة من شمال أفريقيا وجنوب الصحراء، «لأنها قضية تشمل أوروبا بأسرها» على ما قالت. وتمكنت ميلوني وحزبها اليميني المتطرف، من الفوز في الانتخابات الأخيرة بفضل خطابها المعادي للمهاجرين.

لكنها خففت من غلواء خطابها المتشدد، بعد اعتلائها سدة رئاسة الوزراء، إذ حملت في حقائبها نسخا من «خطة ماتّي» نسبة إلى رجل الأعمال الإيطالي الراحل إنريكو ماتيي، الذي قاوم احتكار الشركات النفطية السبع الكبرى أسواق الطاقة في العالم، عندما كان على رأس مجموعة «إيني» في سبعينات القرن الماضي. وكان قطب الرحى في محادثات ميلوني مع نظيريها في تونس وليبيا، كيفية اعتراض القوارب المحملة بالمهاجرين غير النظاميين، بعدما عدلت عن خطة فرض حصار بحري على ليبيا كانت روجت لها خلال حملتها الانتخابية، واستعاضت عنها بـ«خطة ماتيي» التي وصفتها بكونها «ذات أبعاد شاملة»، أي أنها لا تقتصر على منع قوارب المهاجرين والحيلولة دون وصولها للسواحل الإيطالية. وتحمل الخطة مثلما أسلفنا اسم مؤسس مجموعة «إيني للطاقة» إنريكو ماتيي الذي وضع خططا للتنمية في بلدان الجنوب.

خطة مثالية

وتعتبر ميلوني «خطة ماتيي» هذه مثالا للخيار التعاوني مع دول الساحل وبلدان جنوب المتوسط، خاصة من حيث إسهامها المتوقع في تراجع أعداد المغامرين بركوب البحر إلى أوروبا. على خلفية تلك الهواجس الأمنية الإيطالية الكبيرة أجرى وزيرا الداخلية اجتماعا وُصف بـ«المهم» على هامش زيارة ميلوني والوفد الموافق لها طرابلس. وشارك في الاجتماع مسؤولون أمنيون سامون من الجانبين، بينهم رؤساء إدارات الحدود ومكافحة التهريب والمخدرات والجريمة المنظمة العابرة للحدود والإرهاب، لكن لم يرشح شيء عن مضمون الاجتماع عدا إشارة الاعلام الرسمي الليبي إلى أن وزير الداخلية الطرابلسي عرض على نظيره الإيطالي خطة وزارة الداخلية لمكافحة الهجرة غير الشرعية والتهريب، من دون إعطاء تفاصيل عن الخطة. مع ذلك حصد الإيطاليون من الزيارة اتفاق استكشاف وتطوير لحقول النفط والغاز مع «المؤسسة الوطنية للنفط» بقيمة 8 مليارات يورو.

53 ألف مهاجر

لكن في الواقع ما زالت السلطات الإيطالية اليمينية المتشددة، ترى في السواحل الليبية ثقبا أسود، إذ أفادت إحصاءات بثها رئيس عمليات القيادة لسلطات الموانئ الإيطالية الأدميرال جوزيبي أوليشينو، أن غالبية المهاجرين الذين انطلقوا من دول المتوسط، جاؤوا من ليبيا التي سجلت نسبة زيادة بلغت 70 في المئة، أي بواقع 53 ألف مهاجر خلال العام 2022 إذ شهدت إيطاليا وصول 105 آلاف مهاجر عن طريق البحر، وذلك بمعدل زيادة بلغ 56 في المئة قياسا على العام 2021.

ولا تقل أهمية عن زيارتي ليبيا والجزائر، الزيارة التي أدتها رئيسة الوزراء الإيطالية إلى أبو ظبي الأسبوع الماضي، في إطار ما دعاه رئيس الإمارات محمد بن زايد «الشراكة الاستراتيجية» بين بلده وإيطاليا. ومن بين الملفات ذات الاهتمام المشترك «الدور الحاسم والمهم للغاية» الذي يمكن للإمارات أن تلعبه في تحقيق الاستقرار في ليبيا»، وحل الصعوبات المالية في تونس. وهذان الملفان مترابطان، إذ أن حل الصعوبات المالية في تونس والمحافظة على استقرارها يُخففان من ضغوط الهجرة غير النظامية، ويشجعان فئات من الشباب التونسي على البقاء في البلد. وحصدت ميلوني من زيارتها الإمارات، كما زيارتيها للجزائر وليبيا، اتفاق تعاون بين مجموعة الطاقة الحكومية الإيطالية «إيني» وشركة بترول أبو ظبي الوطنية «أدنوك» بهدف الحد من الانبعاثات وتحسين أمن الطاقة، وتسريع النمو الاقتصادي والصناعي منخفض الكربون في الإمارات. كما وقع وزير الخارجية الإيطالي أنطونيو تاياني إعلان نوايا حول استراتيجيا المناخ مع وزير الصناعة والتكنولوجيا المتقدمة الإماراتي.

«الدفق الأخضر»

وتعتبر روما أحد الزبائن الأساسيين للغاز الليبي، إذ تصدر ليبيا الغاز إلى إيطاليا منذ 2007 عبر خط أنابيب «الدفق الأخضر» الذي يقدر طوله بـ520 ميلا بحريا. ويعتمد هذا المشروع المشترك بين «المؤسسة الوطنية للنفط» ومجموعة «إيني» الإيطالية، على عقود طويلة المدى مرتبطة بسعر النفط.

وقدر الخبير النفطي الليبي طارق شلماني الدخل العادي من صادرات الغاز الطبيعي في السنوات الماضية بـ1.1 مليار دولار سنويا. ويمكن أن يرتفع إلى 3.3 مليار، إذا ما استقرت أسعار النفط عند حدود 100 دولار للبرميل.

ولا يمكن لليبيا بحكم تلك العقود طويلة المدى ان تتنصل من تعهداتها وتبيع غازها في السوق الفورية، ما يُحقق لها أرباحا تصل إلى 11 مليار دولار. غير أن هذا السلوك يُسيء إلى سمعتها في الأسواق، وربما يُعرضها إلى متابعات قضائية لدفع تعويضات كبيرة، أو الحجز على أصول تابعة لها.

خسائر كبيرة

ويؤكد الخبراء أن الاقتصاد الليبي عانى من خسائر كبيرة نتيجة عدم التطوير الداخلي وغياب الأمن، فضلا عن الركود الاقتصادي وعدم استقطاب استثمارات جديدة تمكن من تطوير القطاع الخاص. وستواجه ليبيا تحديا كبيرا إذا ما تعثر إنتاج النفط والغاز في الفترة المقبلة بدوافع سياسية، لأنها بحاجة إلى العوائد لتمويل مجهود إعادة الاعمار. وتحتاج ليبيا إلى نحو 500 مليار دينار ليبي (102.5 مليار دولار) في السنوات العشر المقبلة، لكي تتمكن من إعادة إعمار البلد.

مع ذلك يعتقد شلماني أن ليبيا تستطيع تعزيز مكانتها في السوق الدولية كمنتج مهم للغاز، ولكن ذلك يحتاج إلى خطة لتطوير بنيتها التحتية وفتح الباب لمزيد من أعمال التفتيش والاستكشاف. وحسب معلومات من إدارة الإنتاج في «شركة الخليج للنفط» (قطاع عام) أن لدى ليبيا احتياطي ضخم من الغاز الطبيعي غير مستكشف حتى اليوم. وأماطت «المؤسسة الوطنية للنفط» مؤخرا اللثام عن استراتيجيا، تتضمن زيادة في إنتاج الغاز ليصل إلى 3.5 مليار قدم مكعب يوميا بحلول 2024، وبكلفة في حدود 60 مليار دولار من الموازنة الحكومية، والباقي يوفره مستثمرون من المجموعات النفطية العالمية. واستبقت مجموعات دولية نتائج الحرب الروسية الأوكرانية لتبدأ مفاوضات مع المؤسسة الوطنية للنفط في ليبيا، للبحث في إمكان الرفع من الامدادات الليبية من الغاز إلى الدول الأوروبية.

حوارات مع جميع الأطراف

يتضافر هذا البُعدُ الاقتصادي مع جهود تبذلها روما للمساهمة في حل الأزمة الليبية، إذ أكد وزير الخارجية والتعاون الإيطالي أنطونيو تاياني أن استقرار ليبيا مهم لإيطاليا، وأن بلاده تجري محادثات مع جميع الأطراف في ليبيا، سعيا إلى تحقيق الاستقرار. ويُعدّ هذا التطور تحولا لافتا في التحالفات الإقليمية، إذ أن إيطاليا دعمت وما زالت تدعم الحكومات المتوالية في طرابلس، التي تحظى بدعم أممي، وتعمل بتنسيق مع الولايات المتحدة، وتقف في مواجهة المعسكر الداعم للقائد العسكري للمنطقة الشرقية اللواء خليفة حفتر، واستطرادا فهي في خلاف مع داعميه، وخاصة الامارات ومصر. لكن الفترة الأخيرة عرفت انقلابا في التحالفات، بعد انفتاح تركيا على كل من مصر والإمارات.

ولدى الحديث عن حقول الطاقة في ليبيا لابد من الإشارة إلى خطر جاثم تسعى السلطات الليبية إلى التعتيم عليه، وهو وجود عناصر من الشركة العسكرية الروسية «فاغنر» في حقول النفط الليبية باتفاق مع اللواء المتقاعد خليفة حفتر. ومايزالت الشركة، التي يديرها يفغيني بريكوجين، «طباخ» الرئيس بوتين، تنتدب المرتزقة من روسيا لإرسالهم إلى ليبيا وجبهات أخرى. ويقول أحد الإعلانات باللغة الروسية ما معناه «ما زالت الانتدابات مستمرة، وهناك كثير من فرص العمل، والشرط المطلوب هو امتلاك جواز والقدرة على السفر إلى الخارج». كما يتحدث الإعلان عن مهمة تستمر بين 9 و14 شهرا، في الصحراء، من دون ذكر اسم بلد معين. لكنه يوضح أن الحرارة في تلك البلدان تصل إلى 40 درجة وفي الصيف إلى 60.

هواجس أمريكية

والأكيد أن تمدُّد «فاغنر» المستمر في أفريقيا يُثيرا قلقا كبيرا لدى الأمريكيين، إذ تحدث مؤخرا قائد القيادة العسكرية الأميركية في أفريقيا (أفريكوم) مايكل لانغلي، عن أنشطة المجموعة في ليبيا ومالي وجمهورية أفريقيا الوسطى، مشيرًا إلى «آثار تُزعزع الاستقرار» في كل دولة وضعت أقدامها فيها عبر «تكتيكات وحشية» و«انتهاكات لحقوق الإنسان» وفقًا لموقع «ديكود 39» الإيطالي.

جاءت تصريحات لانغلي في لقاء مع الصحافة من روما بمناسبة زيارة رئيس هيئة الأركان المشتركة الأميركية الجنرال مارك ميلي إلى إيطاليا، وذلك للمشاركة، مع القادة العسكريين من 43 دولة، في مؤتمر رؤساء الدفاع في أفريقيا. وصرح قائد (أفريكوم) في هذا الإطار بأن «الدبلوماسية والتنمية والدفاع نهجٌ شامل ثلاثي الأبعاد للولايات المتحدة في أفريقيا». من هنا يبدو أن أفريقيا باتت مسرحا لصراع كبير بين روسيا وأمريكا والظاهر أنه سيتوسع إلى بلدان أخرى.

Volume 34 - Issue 10922 Sunday 12 March 2023

إيران: تسمم الطالبات بين الهجوم الإرهابي والفشل الحكومي

احتج الآباء الغاضبون خارج مكتب محافظ قم ودعوا إلى تحقيق شفاف، كما طالبوا بعقد دروس عبر الإنترنت، وسط تقارير تفيد بأن السلطات تضغط على الطلاب للالتحاق بالمدرسة.

صادق الطائي

أثارت سلسلة حوادث إصابة العشرات من الفتيات بأعراض مرضية في مدارس عدد من المدن الإيرانية غضبًا شعبيًا، حيث اتهم البعض الحكومة بالإهمال بينما أشارت بعض وسائل الإعلام إلى احتمالية وجود أعمال إرهابية تقف خلف هذه الظاهرة. إذ أصيبت مئات التلميذات بأعراض مرضية غريبة وتم نقل العشرات منهن إلى المستشفيات، واشتبه بعض الآباء في تعرضهن للتسمم. ووفقًا للإحصاءات التي تداولها الإعلام تم استهداف أكثر من 50 مدرسة يوم الثلاثاء 7 آذار/مارس، وأكثر من 120 مدرسة يوم الإثنين 6 آذار/مارس، وأكثر من 80 مدرسة يوم الأحد 5 آذار/مارس، في جميع أنحاء إيران بهجمات كيميائية.

السلطات الحكومية من جانبها سارعت لفتح تحقيق في الموجة الغامضة من الأمراض، ولم تجد أي دليل على وجود حالات تسمم، كما لم يتم الإبلاغ عن أي وفيات حتى الآن. وفي وقت سابق، أعلنت وزارة الداخلية الإيرانية عن اعتقال عدة أشخاص في ست محافظات، هي خوزستان، وأذربيجان الغربية، وفارس، وكرمانشاه، وخراسان رضوي، والبرز، بتهمة تسميم الطالبات. وأثارت هذه الحوادث غضب الرأي العام، حيث رفض بعض الآباء السماح لأطفالهم بالذهاب إلى المدرسة خوفا من تعرضهم لمخاطر التسمم.

أشارت وسائل إعلام إيرانية إلى أن قضية تسمم الطالبات في إيران كانت قد بدأت في تشرين الثاني/نوفمبر 2022 في مدارس البنات في محافظة قم، واستمرت وصولا إلى الآن حيث نشرت أكثر من 50 مدرسة في 11 محافظة إيرانية تقارير عن تسمم طلبتها، ووصل عدد المصابين في هذه الحوادث أكثر من 800 شخص. صحيفة «هم ميهن» وصفت الأمر بأنه «إرهاب بيولوجي» في حين أكدت وزارة الداخلية ووزارة التربية الإيرانيتين أنّ معظم التقارير سببها التوتر والقلق، وليس نتيجة انتشار السم، بينما صرّح وزير الصحة الإيراني بهرام عين اللهي بالقول إن «التحقيقات أظهرت أن سمًا خفيفًا أدى إلى حدوث حالات التسمم بين طالبات المدارس».

يُعتقد أن الحادث الأول وقع في مدينة قم عندما تم نقل 18 تلميذة إلى المستشفى بعد الشكوى من أعراض تضمنت الغثيان والصداع والسعال وصعوبات التنفس وخفقان القلب والخدر والألم في أيديهن أو أرجلهن. ومنذ ذلك الحين، أصيب مئات الطلاب في عدة مدن إيرانية، معظمهم من الفتيات، بأعراض مماثلة في عدد من المدارس العامة، والتي يتم فصلها في الأمراض، حيث أبلغ بعض الطلاب عن رائحة غريبة في فصولهم الدراسية قبيل إصابتهم بالأعراض المرضية.

وذكرت وكالة «تسنيم» للأنباء «تسمم عدد من الطلاب ظهر في مدرسة الخيام للبنات في مدينة باردیس بمحافظة طهران». وأضافت أن 35 طالبة نقلوا إلى المستشفى، إضافة إلى مئات حالات التسمم المبلغ عنها منذ تشرين الأول/نوفمبر الماضي في مدينتين أخريين على الأقل بما في ذلك قم. كما تم نقل الطالبات في مدرسة للبنات في بوروجرد إلى المستشفى بعد حادث تسمم، وهو الرابع في هذه المدينة خلال أسبوع واحد. وقد عقد البرلمان الإيراني اجتماعا لمناقشة الهجمات المشتبه بها. وذكرت وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية الإيرانية الرسمية أن وزير الصحة بهرام عين الله حضر الجلسة.

وقد شكل الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي في الأول من آذار/مارس الجاري لجنة للتحقيق في الحوادث مكونة من وزير الداخلية أحمد وحيدي، ووزير المخابرات إسماعيل خطيب ووزير الصحة بهرام عين اللهي. من ناحية أخرى، قال المرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي معلقا على الأحداث إنها «جريمة لا تغتفر» وأضاف «إذا ثبت أنها متعمدة، فيجب الحكم على مرتكبي هذه الجريمة بالإعدام».

وتكهن البعض بأن بعض المتشددين دينيا قد يكونون وراء الحوادث في محاولة منهم لإثارة الخوف ومنع الفتيات من الذهاب إلى المدارس. إذ قالت نفيسة مرادي، الباحثة في الدراسات الإسلامية في جامعة الزهراء، وهي جامعة عامة للإناث فقط في طهران، في تعليق لها «إنه من المشكوك فيه أن الفتيات، وليس الفتيان، يتأثرون بشكل أساسي بالأمراض». لكن المفارقة إن مقال مرادي تمت إزالته من موقع «قم نيوز» لاحقًا.

في نهاية شهر شباط/فبراير الماضي، احتج الآباء الغاضبون خارج مكتب محافظ قم ودعوا إلى تحقيق شفاف. كما طالبوا بعقد دروس عبر الإنترنت، وسط تقارير تفيد بأن السلطات تضغط على الطلاب للالتحاق بالمدرسة. وقالت إحدى المدرسات التي تعمل في مدرسة للبنات في قم لصحيفة الشرق الإصلاحية اليومية إنهم تلقوا أوامر بالتدريس «حتى لو كانت هناك طالبة واحدة فقط موجودة في الفصل». وقالت أيضًا إنه طُلب من الطلبة عدم مشاركة الملاحظات مع زملائهم في محاولة واضحة لدفع المزيد منهم للذهاب إلى المدرسة شخصيًا.

واتهم العديد من الإيرانيين السلطات بعدم القيام بما يكفي من الجهود للعثور على سبب الأمراض ومنع حدوث حالات جديدة. وقد صرح مدرس في قم، لوسائل إعلام إيرانية بالقول «من بين 250 طالبًا في مدرستنا، حضر 50 فقط دروسًا». وأفاد مراسل صحيفة «الشرق» الذي سافر إلى قم أن بعض المدارس في المدينة مغلقة «بشكل غير رسمي».

اشتكى بعض الطلاب الذين أصيبوا بالمرض من رائحة «غير معروفة» أو «كريهة». ونقلت صحيفة «تيجارات نيوز» عن امرأة أصيب ابنها بالمرض قولها: «تذكر ابني أنه للحظة كانت هناك رائحة سمكة فاسدة في الفصل، ثم أعطت المدرسة الطلاب أقنعة للوجه وطلبت منهم مغادرة الفصل». وأضافت، «شعر بعض الأطفال بالمرض أكثر من الآخرين. وتم نقل العديد منهم إلى المراكز الطبية». وقالت المرأة «كان ابني من بينهم وقد عانى من آلام في المعدة». كما أخبرت طالبة مرضت في أوائل شباط/فبراير صحيفة «الشرق» أنها أمضت ثلاثة أيام في المستشفى.

وأضافت «ما زلت أشعر ببعض الضعف في ساقي بعد 20 يوما من الحادث، ولدي مشاكل أثناء تحريك ساقي» مضيفة أن اثنين من صديقاتها ما زالتا في المستشفى.

وقد أعربت نائبة الرئيس روحاني لشؤون المرأة والأسرة، معصومة ابتكار، في تغريدة لها عن أسفها «لتكرار جريمة تسميم الفتيات» ودعت السلطات إلى «وضع حد للمتعصبين المعادين للنساء بشكل نهائي». كما انتقدت ابتكار التأخر في كشف أسباب مسلسل التسمم، إذ قالت «جريمة تسمّم الفتيات تتكرّر منذ أشهر. الجميع ينتظر الأمن والإدارات القضائية للتصرّف على الفور، فلماذا كل هذا التأخير؟».

بعض الأصوات المعارضة في الداخل والخارج ارتفعت لائمة حكومة رئيسي، إذ غردت عاطفه دانشكر قائلة: «لقد قال خامنئي مطلع تشرين الأول/أكتوبر في إشارة إلى الطلاب المتظاهرين: يمكنك توجيههم بمعاقبتهم ليفهموا. وها هي الحكومة تُفهمهم من خلال الهجمات البيولوجية». أما الدكتور ايمان طاهري فقد حمّل الحكومة ضمنيًا مسؤولية حالات التسمم، مشيرًا إلى أنه لا يمكن إخفاء الحقائق في ظل الوضع الأمني السائد. كما علّقت الصحافية الإيرانية المعارضة المقيمة في الخارج مسيح علي نجاد قائلة: «صور مروّعة لطالبات المدرسة في طهران. هذه هي الجمهورية الإسلامية، حيث ترسل طفلك إلى المدرسة في الصباح وبعد ساعات قليلة عليك أن تنقله إلى المستشفى بسبب استنشاق الغازات السامة».

حدث الأسبوع

أوستن في الشرق الأوسط: أمن إسرائيل أولاً وحديث عن شراكات جديدة في المنطقة بدعم أمريكي

واشنطن – «القدس العربي»:
رائد صالحة

أوضح وزير الدفاع الأمريكي، لويد أوستن، خلال إحاطة إعلامية مع وزير الدفاع الإسرائيلي ما هو السبب الأول لزيارته لإسرائيل، إذ قال «أردت أن أكون هنا لأوضح شيئًا ما، التزام أمريكا بأمن إسرائيل صارم وسيبقى على هذا النحو، وكما قال الرئيس بايدن في زيارته لإسرائيل العام الماضي، فإن العلاقة بين الإسرائيليين والأمريكيين عميقة للغاية».

وأوضح أوستن، أيضاً خلال حديثه مع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو التزامه بالمساعدة الأمنية الأمريكية لإسرائيل، ويتضمن جزء من هذا الالتزام مذكرة تفاهم بقيمة 38 مليار دولار بين إسرائيل والولايات المتحدة.

وقال أوستن: «مذكرة التفاهم التاريخية مع إسرائيل توفر 3.3 مليار دولار سنويًا للمساعدة الأمنية، بالإضافة إلى تمويل إضافي للتعاون في مجال الدفاع الصاروخي».

وأضاف :»أنا فخور بأن الرئيس بايدن أعاد تأكيد دعمه لمذكرة التفاهم وإعلان القدس التاريخي العام الماضي. وهذا الإعلان أعاد التأكيد مرة أخرى على التزام الولايات المتحدة بأمن إسرائيل».

وأشار أوستن إلى مشاركة الولايات المتحدة وإسرائيل في كانون الثاني (يناير) في مناورة «جونيبر أوك» العسكرية، حيث أجريت التدريبات الثنائية بالذخيرة الحية في كل من إسرائيل والبحر الأبيض المتوسط، وشارك فيها حوالي 6400 جندي أمريكي و 1500 جندي إسرائيلي، وكانت أكبر وأهم تدريبات شاركت فيها تل أبيب وواشنطن.

وخلال «جونيبر أوك» ظهرت التدريبات وكأنها «مناورة بالذخيرة الحية لحرب مقبلة» بما في ذلك تدريبات العمليات الجوية والبحرية، وقدرات البحث والإنقاذ القتالية، كما تم العمل معًا لتعزيز إمكانية التشغيل البيني في الهجوم الإلكتروني، وقمع الدفاعات الجوية للعدو، وتنسيق الضربات والاستطلاع، والاعتراض الجوي.

مناورة «جونيبر أوك» العسكرية

وقال أوستن «جونيبر أوك أكدت عمق شراكتنا الأمنية»، «لقد كانت خطوة رئيسية إلى الأمام في قابلية التشغيل البيني، حيث ساعدتنا على معالجة التهديدات الإقليمية بشكل أفضل. وأظهرت قدرتنا على التدفق السريع للقوات والاستجابة للأزمات، حتى مع الحفاظ على التزاماتنا في المسارح الرئيسية الأخرى».

وحسب الرواية الأمريكية الرسمية، فقد كان التركيز الكبير للنقاش بين أوستن والإسرائيليين على إيران وما وصفته وزارة الدفاع الأمريكية بالتهديدات التي تشكلها طهران، بما في ذلك «دعم الإرهاب» ودعم الجماعات بالوكالة، والعدوان في البحر، والتهديدات الإلكترونية، وانتشار الطائرات الهجومية بدون طيار والأسلحة التقليدية المتقدمة. كما أن مصدر القلق هو نية إيران السعي لامتلاك سلاح نووي – وهو أمر قال أوستن إنه يجب ألا يحدث.

وقال أوستن «ما زلنا نعتقد أن الدبلوماسية هي أفضل طريقة لمنع إيران من الحصول على سلاح نووي». «كما أوضح الرئيس بايدن مراراً، لن تسمح الولايات المتحدة لإيران بامتلاك سلاح نووي».

في الوقت الحالي، التوترات عالية بين الإسرائيليين والفلسطينيين وفقاً للبنتاغون، وهذا أيضًا أمر ناقشه أوستن مع الإسرائيليين. وقالت وزارة الدفاع الأمريكية إن أوستن قال أيضًا إن هناك «نقاشًا صريحًا وصريحًا» حول تهدئة التوترات، خاصة قبل عيد الفصح ورمضان.

وقال أوستن: «ما زالت الولايات المتحدة تعارض بشدة أي أعمال يمكن أن تؤدي إلى مزيد من انعدام الأمن، بما في ذلك التوسع الاستيطاني والخطاب التحريضي. ونحن قلقون بشكل خاص من عنف المستوطنين ضد الفلسطينيين. لذلك، سنواصل معارضة الإجراءات التي يمكن أن تدفع بحل الدولتين بعيدًا عن متناول اليد. وسنعمل على البناء على اتفاقية 26 شباط/فبراير في الأردن، بما في ذلك التزام الأطراف بوقف التصعيد على الأرض ومنع المزيد من العنف والتنفيذ الكامل لبنود بيان العقبة».

وعندما التقى أوستن مع نتنياهو في المطار بسبب إغلاق المئات من المتظاهرين الطرق، أظهرت الشاشات الكبيرة خارج غرفة الاجتماعات تغطية حية للاحتجاجات الإسرائيلية بشأن قانون»إصلاح القضاء» ولكن العديد من المسؤولين الأمريكيين والإسرائيليين، قالوا إن القضية لم تطرح في اجتماعات أوستن مع نتنياهو أو غالانت.

وفي المؤتمر الصحافي، لم يتمكن أوستن من تجاهل أسئلة الصحافة بشأن الاحتجاجات، حيث نقل أوستن عن الرئيس الأمريكي جو بايدن قوله إن «القضاء المستقل» جزء أساسي من كل ديمقراطية. وقال أوستن: «بناء توافق في الآراء بشأن التغييرات الأساسية مهم حقًا».

وقبل زيارته لإسرائيل، قام أوستن بزيارة الأردن والعراق ومصر، حيث شدد الوزير هناك على التزام الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط وزيادة شراكات التعاون الأمريكي.

وقال بيان للبنتاغون إن أوستن، خلال لقائه مع نتنياهو، حث أوستن رئيس الوزراء على اتخاذ خطوات فورية لتهدئة العنف في الضفة الغربية المحتلة.

وشدد أوستن على أهمية تنفيذ الالتزامات التي تعهدت بها إسرائيل والفلسطينيون في قمة العقبة الأسبوع الماضي، ودعا إلى وقف الإجراءات الأحادية الجانب التي تقوض حل الدولتين، بحسب بيان للبنتاغون.

قال أوستن إنه ناقش مع نتنياهو وجالانت التهديد الإيراني في المنطقة وشدد على التزام الولايات المتحدة بعدم السماح لإيران أبدًا بامتلاك سلاح نووي.

وقال غالانت في المؤتمر الصحافي إنه في المستقبل القريب «سيتعين اتخاذ قرارات ملحة» فيما يتعلق بإيران، وشدد على أن الجيش الإسرائيلي يستعد لكل سيناريو. قال غالانت: «جميع الخيارات مطروحة على الطاولة».

العراق

وفي العراق، التقى أوستن في بغداد برئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني ووزير الدفاع العراقي ثابت العباسي.

وهناك، أعاد أوستن التأكيد على الشراكة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة والعراق وشدد على التزام الولايات المتحدة بعراق آمن ومستقر وذو سيادة. كما أكد أوستن التزام الولايات المتحدة والتحالف بتقديم المشورة والمساعدة والتمكين لقوات الأمن العراقية بدعوة من حكومة العراق لضمان الهزيمة الدائمة لتنظيم «الدولة الإسلامية» وفقاً لبيان صادر عن البنتاغون.

وقال أوستن عقب الاجتماع «نحن ملتزمون بشدة بضمان أن يعيش الشعب العراقي في سلام وكرامة، بأمان وأمن وفرص اقتصادية للجميع».

وأضاف أن «تعاوننا الدفاعي ضد داعش هو ركيزة أساسية لعلاقتنا الثنائية، ولا تزال الولايات المتحدة ملتزمة بهذه المعركة لدعم أمن العراق وأمن المنطقة بأسرها».

وقال أوستن إن القوات الأمريكية مستعدة لمواصلة عملها في العراق مع استمرار موافقة الحكومة العراقية.

وقال إن «هذه القوات تعمل بشكل غير قتالي وتقدم المشورة والمساعدة وتمكين الدور لدعم الحرب التي يقودها العراق ضد الإرهاب. هذه مهمة حاسمة، ونحن فخورون بدعم شركائنا العراقيين».

بالإضافة إلى مناقشة العمليات الجارية، قال أوستن إنه ناقش أيضًا مع رئيس الوزراء العراقي أهمية الشراكات المستقبلية – ليس فقط بين الولايات المتحدة والعراق، ولكن بين العراق وشركائه في المنطقة.

وقال أوستن «ما زلنا نعتقد أن تكامل العراق الأكبر مع شركائه العرب في المنطقة سيحقق المزيد من الاستقرار والأمن والازدهار. وستؤتي ثمارها ليس فقط للمواطنين العراقيين، ولكن لجميع شعوب المنطقة. ولذا، أتطلع إلى مواصلة التشاور مع شركائنا العراقيين الكرام وتعزيز مصالحنا المشتركة وتحسين حياة الشعب العراقي».

مصر

وفي القاهرة، التقى أوستن بالرئيس المصري عبد الفتاح السيسي لإعادة تأكيد التزام الولايات المتحدة بالعلاقات الثنائية وتبادل وجهات النظر حول التحديات الأمنية الإقليمية والعالمية المشتركة، وفقاً لبيان من البنتاغون اطلعت «القدس العربي» على نسخة منه.

وحسب ما ورد، أشاد الوزير بقيادة مصر الإقليمية والعالمية، وشكر بشكل خاص السيسي على دور مصر في التوسط في التوترات الإسرائيلية الفلسطينية، وقدم تحديثات عن الحرب في أوكرانيا، وعواقبها الاقتصادية العالمية، والتهديد الذي يشكله هذا الصراع على النظام الدولي القائم على القواعد.

وسلط الوزير الضوء على تضامن الولايات المتحدة مع مصر في مواجهة الصعوبات الاقتصادية التي سببتها حرب روسيا الوحشية وغير المبررة. كما شارك قلقه بشأن النطاق الواسع للتهديدات التي تشكلها إيران، بما في ذلك برنامجها النووي، والأنشطة الإقليمية المزعزعة للاستقرار، وتوفير أنظمة جوية بدون طيار لروسيا.

وفي اجتماع لاحق مع وزير الدفاع محمد زكي، أشاد الوزير بمصر لتوليها قيادة فرقة العمل 153 للقوات البحرية المشتركة، والتي تركز على أمن البحر الأحمر. كما سلط الوزير الضوء على التمرين المشترك القادم، برايت ستار 23 كدليل على القيادة المصرية وقوة التعاون المستمر بين الولايات المتحدة ومصر لتحسين الأمن الإقليمي والردع الموثوق به. وأكد الوزير التزامه بتعزيز التشغيل البيني بين القوات المسلحة الأمريكية والمصرية، وأقر بالخطوات المهمة التي يتخذها الجيش المصري للحد من الأضرار المدنية أثناء العمليات، وأكد التزام وزارة الدفاع بالعمل مع مصر لتعزيز قدراتها الدفاعية.

الأردن

وفي عمان، التقى أوستن بالعاهل الأردني الملك عبدالله عبدالله الثاني لمناقشة التعاون الأمني الإقليمي والمبادرات لتعزيز العلاقات الأمنية الثنائية

وجدد الوزير أوستن التأكيد على التزام الولايات المتحدة بأمن الأردن، كما شدد الوزير أوستن على التزام الولايات المتحدة بأمن واستقرار المنطقة، حسبما ذكر بيان للبنتاغون.

وحسب ما ورد، شارك أوستن مخاوفه بشأن مجموعة من التحديات المشتركة، بما في ذلك أهمية التوصل إلى حل سياسي عادل في سوريا، والحفاظ على التركيز على الأمن والاستقرار في العراق، ومواجهة الأنشطة الأخرى المزعزعة للاستقرار في المنطقة. كما ناقش الوزير أوستن قلقه بشأن تصاعد التوترات في الضفة الغربية والقدس وشدد على الحاجة إلى استعادة الهدوء. وأعرب عن امتنانه للعاهل الأردني لاستضافته الاجتماع الأخير في العقبة، والذي أعاد التأكيد على ضرورة تهدئة التوترات والعمل على تحقيق سلام عادل ودائم بين الإسرائيليين والفلسطينيين.

وجدد الوزير أوستن التأكيد على نية إدارة بايدن تعميق التعاون الاقتصادي والعسكري بين البلدين، على أساس مذكرة التفاهم الأمريكية الأردنية البالغة قيمتها 10.15 مليار دولار لمدة سبع سنوات.

وفي نهاية المطاف، تهدف رحلة أوستن إلى تهدئة شكوك قادة الشرق الأوسط حول التزام إدارة بايدن بالاحتياجات الأمنية للمنطقة بعد التدقيق المتزايد لمبيعات الأسلحة الأمريكية وخفض القوات العسكرية الأمريكية في أفغانستان والخليج العربي.

وتأتي زيارة وزير الدفاع، أيضًا، بعد أكثر من عامين من الدبلوماسية مع إيران التي فشلت في تحقيق عودة متبادلة للاتفاقية الدولية لعام 2015 – خطة العمل الشاملة المشتركة.

سلال السياسة الأمريكية: حطام بعد كلّ البيض

صبحي حديدي

في أعقاب حرب الخليج الثانية، والغزو الأمريكي للعراق سنة 2003، لاح أنّ القوى الكبرى المهيمنة على مسرح السياسة الدولية موزّعة على ثلاثة محاور: تلك السائرة في ركب واشنطن (الاتحاد الأوروبي وعشرات الدول الأجرام أو شبه التابعيات المعلَنة أو المبطنة)؛ وتلك التي لا تسير مباشرة، ولكنها تتواطأ أو تصمت أو تتشارك في قليل أو كثير (روسيا والصين، بصفة خاصة)؛ ثمّ حفنة دول صاعدة، ببطء أو بخطى حثيثة، مثل الهند أو البرازيل أو سنغافورة أو إيران أو تركيا...) تقف في منزلة بين المنزلتين، وإنْ كانت عموماً لا تعكّر صفو الخطط الأمريكية على نطاق كوني.

اليوم تغيرت المعطيات، على المحاور الثلاثة، بمعدلات متفاوتة هنا وهناك؛ الأبرز فيها، مع ذلك، منهجية الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في السعي الحثيث إلى كسر القطبية الأمريكية الأحادية؛ وخطوط التلاقي المتزايدة مع الصين، على مستويات شتى تبدأ من تنافس تكنولوجي حامي الوطيس، يُترجم بقوّة إلى حروب تجارية شاملة؛ ثمّ ما يسفر عن هذا التقاطع الأمريكي/ الروسي/ الصيني من اختراقات جيو –سياسة تُدخل موسكو وبكين إلى عمق القارّة الأفريقية مثلاً، أو تجعل مرتزقة فاغنر بقيادة طبّاخ بوتين معادلة عسكرية حاسمة أو تكاد، في ليبيا كما في أوكرانيا.

وليس عجيباً، أو بالأحرى هي خلاصة مآلات منطقية لمشهد كهذا، أن تلتقي في موسكو خطوط إيرانية وسعودية وتركية؛ رغم ما يفرّق هذه الدول من اعتبارات غير بعيدة أصلاً عن استقطابات واشنطن إلى عهد قريب فقط. أو أن تتولى بكين الوساطة بين طهران والرياض، بعد طول خصام واشتباك. أو أن تقيم دولة الاحتلال الإسرائيلي موازين علاقات رغيدة بين واشنطن وموسكو وأبو ظبي والخرطوم، في آن معاً.

وأمّا أمريكا فقد كانت ذات يوم الأمّة التي لا غنى عنها كما اعتادت مادلين أولبرايت أن تردّد كلما رنّ ناقوس معاد لأمريكا في العالم الواسع الشاسع. وهذه أمّة تقول الأرقام إنها تنفق على السلاح والجيوش والقضايا الأخرى المتفرعة عن فكرة الأمن القومي ما يزيد على مجموع ما ينفقه العالم بأسره. وفي عام 1993، كسنة قياس أولى بعد طيّ صفحة الحرب الباردة، كان نصف مليون عسكري أمريكي ينتشرون في 395 قاعدة عسكرية كبيرة، وفي مئات القواعد الثانوية الأصغر، في 53 بلداً أجنبياً.

جديرة بالاستذكار، أيضاً، تلك الحقيقة التي تقول إنه منذ الحرب العالمية الثانية وحتى عشية اندلاع حرب الخليج الثانية، أنفقت الولايات المتحدة أكثر من 200 مليار دولار لتدريب وإعداد وتسليح جيوش أجنبية في أكثر من 80 بلداً؛ أسفرت عن أكثر من 75 انقلاباً عسكرياً، وعشرات الحروب الأهلية التي تسببت في مئات الآلاف من الضحايا. وفي غمرة ذلك كله كانت تجري عمليات دائمة من تصنيع العدو (الكاذب، الغائب...) وتأثيمه إلى المدى الأقصى الذي يبرّر التدخل العسكري، والغزو، والانقلاب، وإشعال الحروب الأهلية. كانت هذه هي الحال في بناما والبيرو والبرتغال ونيكاراغوا والتشيلي وجامايكا واليونان والدومينيكان وكوبا وفيتنام وكوريا الشمالية والعراق وليبيا ولبنان... وليس مهماً هنا أن يكون العدو إصلاحياً، أو ديمقراطياً، أو اشتراكياً، أو شيوعياً، أو إسلامياً.

العالم تغيّر، مع ذلك، ويتغيّر كلّ يوم أو حتى بين ليلة وضحاها أحياناً؛ فلم تعد الأمّة التي لا غنى عنها موضوع استقالة المحاور الثلاثة أو صمتها أو تواطؤها. وليس لهاث كبار المبعوثين الأمريكيين إلى الشرق الأوسط، على مستويات دبلوماسية وأمنية وعسكرية، سوى رأس كتلة الجليد العائمة لسياسة أمريكية في المنطقة لم تعد تتمتع بتراث السنوات الذهبية؛ التي شهدت وضع كلّ بيض المنطقة في سلّة أمريكية واحدة وحيدة يتضح اليوم أنها كانت ملأى بالثقوب والحطام والحصى.

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10922 الأحد 12 آذار (مارس) 2023 – 20 شعبان 1444 هـ

زيارة أوستن لإسرائيل

محاولات أمريكية لمقايضة إسرائيل: الملف الإيراني مع تهدئة الجبهتين الفلسطينية والإسرائيلية الداخلية

الناصرة ـ «القدس العربي»: وديع عواودة

قبيّل سفره لإيطاليا وفي ظل احتدام المواجهات بين المتظاهرين وبين الشرطة الإسرائيلية في منطقة التقى رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو ووزير الدفاع الأمريكي لويد أوستن وناقشا «تهديدات إيران في الشرق الأوسط» وسط تحذيرات مراقبين محليين من اضطراب العلاقات الإسرائيلية الأمريكية على خلفية «خطة الإصلاحات القضائية» واستمرار التصعيد في الجبهة الفلسطينية. وكان أوستن وصل إلى المطار في مستهل زيارة رسمية خاطفة إلى إسرائيل وقال نتنياهو في مستهل الاجتماع: «يسعدني أن أرحب بعودة الوزير أوستن إلى إسرائيل. لدينا أجندة مشتركة تشمل منع إيران من الحصول على أسلحة نووية، وإحباط العدوان الإيراني، والحفاظ على الأمن والازدهار في المنطقة، وتوسيع دائرة السلام، وهذه الأجندة مهمة للدولتين». ومن جهته وعلى غرار مسؤولين أمريكيين آخرين كثر أكد أوستن أن الولايات المتحدة ملتزمة تماماً أمن إسرائيل كما قدم تعازيه لنتنياهو بضحايا العمليات الأخيرة، وأكد حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها ضد مثل هذه الهجمات، وشجب في الوقت عينه الأعمال الأحادية الجانب التي تقوّض حل الدولتين. وحضر الاجتماع وزير الأمن الإسرائيلي يوآف غالانت، ووزير الشؤون الاستراتيجية رون دريمر، ورئيس مجلس الأمن القومي تساحي هنغبي، ورئيس طاقم ديوان رئاسة الحكومة تساحي برافرمان، والسكرتير العسكري لنتنياهو اللواء آفي جيل. والتقى أوستن في وقت لاحق وزير الأمن غالانت وقبل وصوله إلى إسرائيل قام أوستن بزيارة إلى كلٍ من الأردن ومصر والعراق وأصدرت وزارة الدفاع الأمريكية بياناً قالت فيه إن زيارة أوستن تهدف إلى إعادة تأكيد الشراكة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة وإسرائيل ومناقشة التصعيد الأخير في التوترات بين إسرائيل والفلسطينيين. وقال البيان إن أوستن ونتنياهو ناقشا التهديدات التي تشكلها إيران في منطقة الشرق الأوسط، واتفقا على زيادة التعاون لمواجهة العدوان الإيراني. وأكد أوستن التزام الولايات المتحدة عدم السماح لإيران أبداً بامتلاك سلاح نووي.

ونقل موقع أكسيوس الأمريكي عن مسؤول إسرائيلي «رفيع» قوله، إنه كانت هناك محادثات بين الولايات المتحدة وإسرائيل حول إيران هذا الأسبوع وكانت إيجابية، وأظهرت أن البلدين ينظران إلى القضية من وجهة متقاربة جدا. وجاء ذلك خلال زيارة لوفد إسرائيل رفيع المستوى إلى الولايات المتحدة الأمريكية ضم كلا من وزير الشؤون الاستراتيجية رون ديرمر ومستشار الأمن القومي تساحي هنجبي، مسؤولين كبار من وزارة الخارجية الإسرائيلية ووزارة الأمن ومسؤولي الاستخبارات الذين يتعاملون مع إيران. وجرت المحادثات في البيت الأبيض، وهي الأولى من نوعها منذ تولي الحكومة الإسرائيلية اليمينية المتطرفة السلطة برئاسة نتنياهو، وسط مخاوف متزايدة بشأن التقدم غير المسبوق في البرنامج النووي الإيراني.

وفي الأثناء جددّت الولايات المتحدة التزامها بمنع إيران من تطوير سلاح نووي وقد تسبب اكتشاف مفتشي الأمم المتحدة لليورانيوم المخصب بنسبة 84 في المئة في إيران، وهي النسبة التي تقترب من المستوى المطلوب لصناعة الأسلحة النووية، في منشأة فوردو النووية الإيرانية تحت الأرض في إثارة المزيد من القلق. ومن جانبه، شدد مسؤولون إسرائيليون آخرون في الأسابيع الأخيرة على الحاجة إلى تهديد عسكري حقيقي ضد إيران. وخلال زيارة الوفد الإسرائيلي، قال البيت الأبيض في بيان، إن الفريق الأمريكي بقيادة مستشار الأمن القومي جيك سوليفان والوفد الإسرائيلي استعرضا بقلق كبير التقدم المحرز في برنامج إيران النووي. وأضاف البيت الأبيض أن الجانبين ناقشا تعزيز الشراكة الأمنية بين إسرائيل والولايات المتحدة وتعهدا بتعزيز التنسيق بشأن التدابير لمنع إيران من الحصول على سلاح نووي وردع أنشطة إيران الإقليمية العدائية. كما ناقش المسؤولون المحادثات الإسرائيلية الأمريكية المشتركة الأخيرة والتدريبات العسكرية، التي قال مسؤولون إسرائيليون إنها ركزت على التدريب على ضربة عسكرية محتملة ضد البرنامج النووي الإيراني. ومن جانبه، قال مسؤول إسرائيلي رفيع حضر المحادثات لأكسيوس: «كانت المحادثات حول إيران جيدة حقا، وكانت على مستوى عال جدا من الانفتاح». وقال مسؤول إسرائيلي آخر مطلع، إن المحادثات تعكس حقيقة أن إسرائيل والولايات المتحدة أكثر توافقا مع إيران من ذي قبل وأضاف المسؤول أن المحادثات كانت جادة، وكان نقاشا حقيقيا حول إيران وليس مجرد اجتماع لوضع علامة في المربع، وكان هناك الكثير من الانفتاح من الجانب الأمريكي.

إحباط إسرائيلي

وعلى جانب آخر، قال مسؤولون إسرائيليون إن حكومة الاحتلال شعرت بخيبة أمل لأن الولايات المتحدة لم تدعم اقتراح فرنسا وألمانيا وبريطانيا للضغط من أجل قرار ضد إيران خلال اجتماع مجلس إدارة الوكالة الدولية للطاقة الذرية في الأسبوع الماضي. في التزامن تحذّر بعض الأوساط الإسرائيلية من مغبة تبعات عناد حكومة الاحتلال وإمعانها في تشريع قوانين على العلاقات الثنائية مع الولايات المتحدة التي ترى بهذه التشريعات انقلابا على فكرة الديمقراطية كما تراها تماما المعارضة الإسرائيلية. وسبق أن عبّر مسؤولون أمريكيون عن قلقهم من هذه التشريعات بالتلميح والتصريح أولهم وزير الخارجية بلينكن الذي قال خلال زيارة للبلاد قبل نحو الشهر إن العلاقات بين الولايات المتحدة وإسرائيل تقوم على قيم مشتركة لا مصالح مشتركة فحسب وتبعة في توجيه الانتقادات عدد من المسؤولين الأمريكيين والغربيين منهم الرئيس الفرنسي. على خلفية ذلك أكد مجددا رئيس القسم الأمني–السياسي في وزارة الأمن الجنرال في الاحتياط عاموس غلعاد في حديث للإذاعة العبرية العامة من تراجع مستوى العلاقات بين واشنطن وبين تل أبيب نتيجة عاملين أولهما مواصلة التشريعات القضائية الخلافية والثاني عدم الاستجابة للطلب الأمريكي بتهدئة الأوضاع في الجبهة الفلسطينية علما أن مدير وكالة المخابرات الأمريكية سبق وحذّر من انفجار انتفاضة جديدة نتيجة التصعيد وانعدام الأفق السياسي ويحدث كل ذلك وفي الخلفية توتر خفي بين إدارة بايدن وبين نتنياهو بعد انحيازه للجمهوريين في السنوات الأخيرة بشكل سافر.

وتبعه المحلل الإسرائيلي البارز بن كسبيت الذي يشير إلى أن العلاقة بين إسرائيل والولايات المتحدة تزداد اضطراباً فقال في مقال نشرته صحيفة «معاريف» إنه بينما ننشغل بمخطط الرئيس، والاحتجاج، والانهيار المحتمل لمنظومة الاحتياط، ثمة قصة حقيقية تجري بين واشنطن وتل أبيب. وتابع بن كاسبيت «قبل أيام كان رئيس الأركان الأمريكي الجنرال مارك ميلي، هنا. لم يكن لقاء مع نتنياهو، وحسب مصادر أمريكية، كان سيرفض لو عرض عليه لقاء كهذا. التقى الجنرال ميلي وزير الأمن يوآف غالنت ورئيس الأركان هرتسي هليفي. وحسب مصادر سياسية اطلعت على مضمون المحادثات، فإن الحديث يدور عن نصوص غير مسبوقة في علاقات إسرائيل–الولايات المتحدة، تتوافق مع البيان الحاد والمهين الذي أصدره الأمريكيون ضد وزير المالية بتسلئيل سموتريتش بعد أقواله بشأن قرية حوارة».

ويوضح المسؤول الأمريكي أنه في الاتصالات بين إسرائيل والولايات المتحدة لا نية لدعوة نتنياهو للزيارة التقليدية إلى واشنطن، والتي يتلقاها كل رئيس وزراء إسرائيلي بعد تشكيل حكومته منوها إلى أن الرئيس جو بايدن لا يريد أن يسمع معه. وقال أيضا إن مستشار الأمن القومي تساحي هنغبي، والوزير رون ديرمر، هما الآن في الولايات المتحدة، ويستقبلان ببرود ظاهر ويحظيان بلقاءات في مستوى متدن. ويمضي بن كاسبيت في تحذيراته بالقول إن الأمريكيين، بمن فيهم أيضاً رئيس الأركان في لقاءاته هنا، كانوا واضحين، فظين وحادين: «إذا أردتم مواصلة الحديث وتنسيق الاتصالات معنا في موضوع إيران والتطورات المهمة في هذا المجال، حان الوقت لتهدئة الضفة الغربية. لن توافق الولايات المتحدة على قبول سياسة إشعال نار في الضفة الغربية ثم التصرف كأن هذا لا يحصل. عندما نبعث بمندوبين كبار إلى مؤتمر العقبة ثم تبعثون برئيس هيئة الأمن القومي ورئيس الشاباك وبضابط برتبة لواء» وتقولون «ما حصل في العقبة يبقى في العقبة» فعندها لا حديث معكم وأنتم مدعوون لمشاورة أنفسكم. إذا كنتم تحتاجون الولايات المتحدة الأمريكية، فتصرفوا كأنكم تحتاجونها. لن نرضى بأن يتفق معكم على أمور في العقبة وفي الليلة نفسها تحرقون حوارة، وبعد ذلك يقول وزير ماليتكم إنه يجب محو القرية».

ويقول بن كاسبيت إن هذه الأمور، التي نقلت لإسرائيل في قنوات عديدة وليس فقط في لقاء رئيس الأركان الأمريكي، تكاد تكون غير مسبوقة وهي تذكر بلحظات الدرك الأسفل الكبرى من عهد أوباما عندما فاجأ نتنياهو الرئيس ووصل للخطاب في الكونغرس من خلف ظهره. غير أن هناك فارقاً واحداً: «حتى في اللحظات الأصعب» قال لـ «معاريف» مصدر مطلع على الاتصالات بين الطرفين، «كانت المستويات المهنية دوماً، بشكل عام بين الجيش الإسرائيلي والجيش الأمريكي، تعرف كيف تحافظ على اتصالات مستقرة وتعاون وثيق رغم كل شيء. الأزمات السياسية لم تمنع في أي مرة التعاون العسكري والاستخباري ومحاور العمل. أما الآن فهذا يختلف. نحن نسمع من مستويات أمريكية أمنية تقززاً واضحاً».

بين هذا وذاك نتنياهو غارق في هذه المرحلة في أزمة داخلية غير مسبوقة في حدتها علاوة على كونه مقيدا لا يستطيع إبداء مواقف مرنة في الموضوع الفلسطيني حتى لو أراد ورغب بالاستجابة لمطالب واشنطن بسبب طبيعة إئتلافه اليمين المتشدد فهل تكون تهديدات إيران أكبر من هذه الحسابات وتدفع الولايات المتحدة للتقدم نحو خطوات عملية مع إسرائيل ضد إيران خاصة بعد الانفراج بين السعودية وإيران والذي ينطوي على لطمة لواشنطن وتل أبيب وسياسات تشكيل حلف إقليمي ضد طهران.

Volume 34 - Issue 10922 Sunday 12 March 2023

في مواجهة زعزعة الاستقرار أوستن في الأردن: انخراط أم «مغامرة»؟

العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني ووزير الدفاع لويد أوستن

عمان ـ «القدس العربي»: بسام البدارين

«شراكة في مواجهة محاولات زعزعة الاستقرار في المنطقة».

تلك العبارة حصرا وردت في بيان أصدرته وزارة الدفاع الأمريكية «البنتاغون» عن اللقاء الذي جمع العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني بوزير الدفاع لويد أوستن في أول زيارة للأخير للمنطقة عموما وللأردن بصفة خاصة تخللها الكثير من الحديث في التفاهمات الإستراتيجية الدفاعية والعسكرية والقليل من الحديث عن الشؤون السياسية.

ما أبرزه بيان البنتاغون الأمريكي هو تركيز شديد على الجوانب المتعلقة بالشراكة الإستراتيجية العسكرية والدفاعية بين الولايات المتحدة والأردن، وإشادة الوزير أوستن بالمستوى الاحترافي الكبير الذي وصلت إليه القوات المسلحة الأردنية.

لكن البيان نفسه عكس اهتماما أقل بالجوانب السياسية مع تأكيد الملك الأردني على الوضع في الأراضي الفلسطينية المحتلة وضرورة العمل من أجل التهدئة وأغلب التقدير براي المحللين السياسيين ان قراءة بيان البنتاغون عن لقاء عمان مع القيادة الأردنية يمكنه ان يدلل ضمنا على الأولويات خصوصا تلك المرتبطة أولا بالعلاقات مع الأردن وثانيا بإستراتيجيات دفاعية الطابع مرتبطة بالإقليم والمنطقة.

وهنا يرى سياسيون متعددون بان العلاقات العسكرية بين الأردن والولايات المتحدة اتجهت في السنوات الخمس الأخيرة إلى مناطق غير مسبوقة خصوصا وان الوزير أوستن تحدث عن شراكة بنيوية وعن ضمانة بلاده لأمن المملكة الأردنية الهاشمية، وأيضا عن ترحيبه بخطط الشراكة العسكرية في المجالات الجوية والبحرية والدفاعية والصاروخية وهي كلمات أو مفردات بالعرف العسكري تعني أو تؤشر على طبيعة التعاون في مجالات التدريب والعمل المشترك دفاعيا بين الأردن والبنتاغون.

ومن تلك العبارات يمكن الاستنتاج بان المقصود قد يكون تجهيز المنطقة أو ما يسمى بمناطق النفوذ الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط لأي سيناريو تصعيدي محتمل مع الجمهورية الإيرانية الإسلامية إذا ما ذهبت الأمور أو البوصلة باتجاه الصدام العسكري، وفشلت المفاوضات الأخيرة بخصوص الملف النووي الإيراني، ومن المرجح ان البنتاغون عندما أعلن ان الوزير أوستن سيزور المناطق الحليفة والشريكة ينطوي الأمر هنا على مؤشر بان الأردن من الأسس الحليفة والشريكة ليس بدلالة توقف الوزير أوستن في عمان وعقد اجتماع ملكي الطابع معه بحضور مسؤولين أردنيين كبار فقط. ولكن أيضا بدلالة ما حصل من قفزات في العلاقات الدفاعية حصرا بعد توقيع سلسلة اتفاقيات مؤخرا من بينها تلك التي أثارت الجدل وترتبط بوجود قاعدتين عسكريتين أمريكيتين في الأراضي الأردنية وهي مسألة تؤدي إلى توفير ضمانات دفاعية مباشرة تحت عنوان تأمين الحماية للأمن الأردني والمقصود الأمن الإقليمي بطبيعة الحال.

وتكرس زيارة أوستن بهذا المعنى ذلك الطابع في الاتجاه الإستراتيجي وان كانت تؤذن بان التكتيك الأمريكي في هذه المرحلة على الأقل هو ذلك الذي يتم الإعلان عنه عبر العبارة التي تقول بان العمل العسكري لمواجهة قدرات إيران النووية سيكون الخيار الأخير. وبالتالي تشدد تقارير عميقة على ان زيارة أوستن لدول المنطقة بما في ذلك الأردن ومصر وحتى الكيان الإسرائيلي هي عملية تحضيرية وترتيبية ليس للعمل العسكري المباشر ضد إيران ولكن لأي تصعيد محتمل وفي الطريق ضد الإيرانيين خصوصا مع انفلات الكثير من الأمور وحاجة المنطقة إلى ضبط الإعدادات خلال شهر رمضان المبارك المقبل.

بكل حال وقفة وزير الدفاع الأمريكي في عمان على الأقل تؤشر على المضمون الدفاعي في العلاقات بين البلدين.

وفي الوقت الذي تتحدث فيه بيانات البنتاغون عن مثل هذا الاتجاه والمضمون يقدر سياسيون أردنيون كبار بان الانخراط في الخطط الدفاعية الأمريكية له كلفته السياسية بكل حال. لكن هؤلاء الذين يوجهون نقدا مباشرا لذلك الانخراط على حد تعبيرهم لا يقدمون تصورا بديلا في كيفية إدارة المملكة الأردنية الهاشمية لحزمة مصالحها الحيوية مع الشريك الأمريكي، فالمساعدات الأمريكية أساسية بالنسبة للاقتصاد الأردني وحماية سعر الدينار الأردني من البنك المركزي الفيدرالي الأمريكي من الأسس الاستراتيجية للعلاقة، وطبيعة العلاقات وقدمها من عناصر الاستقرار في المنطقة.

بكل حال يقف رئيس الوزراء الأسبق طاهر المصري عمليا على رأس المحذرين من ذلك الانخراط ويقترح عبر نقاش سابق مع «القدس العربي» بان الحديث عن شراكة إستراتيجية مع الولايات المتحدة أو غيرها من الدول الأساسية في العالم شيء والانخراط في التوجهات الأمريكية على المستوى الإقليمي شيء آخر، مضيفا بان ثمة محاذير وهوامش مناورة لابد من استثمارها أمام الأردن حتى لا يصبح الانخراط بالتوجهات الأمريكية عسكرية الطابع جزءا من مغامرة قد لا تقف عند حدود أي مكاسب أو قد تؤدي إلى مخاسر.

تلك مقاربة لا تبدو مكتملة، لكن السياسي المصري ليس الوحيد الذي يحذر من كلفة الانخراط خصوصا وان الانخراط في الخطط الأمريكية أو بما يسمى بالتصور الأمريكي في المنطقة يمكنه ان يدفع الأردن أكثر إلى مسارات التكيف مع خطط البنتاغون القائمة أصلا على وجود الشريك الإسرائيلي.

وهنا حتى برأي وزير البلاط الأسبق الدكتور مروان المعشر منزلق خطر تحت عنوان مخاطر التكيف غير المنتج، فيما دعوات إضافية طوال الوقت لتنويع العلاقات وإجراء اتصالات مع دول أخرى مهمة في الإقليم مثل تركيا وإيران وحتى النظام السوري ولو من باب التنويع ومرونة التوازن. زيارة أوستن بالخلاصة هي محطة إضافية لتعزيز الشراكة بمعناها الدفاعي، لكن السؤال هو ما الذي يعنيه ذلك بوضوح عندما يتعلق الأمر بنهايات الوضع المتردي في الأراضي الفلسطينية المحتلة أو باحتمالات التفجير تحت عنوان الصدام العسكري مع إيران؟

هذا هو السؤال الذي تعلق به مجددا التوازنات ومصالح البوصلة الأردنية.

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10922 الأحد 12 آذار (مارس) 2023 – 20 شعبان 1444 هـ

ملفات الوساطة وتهديدات طهران تطغى على أزمة

القاهرة – «القدس العربي»: تامر هنداوي

محاولة الاستفادة من دور مصر في الوساطة لمعالجة تصاعد العنف في الأراضي المحتلة، ومحاولة الحفاظ على حليف في الشرق الأوسط، وسط التقلبات في المواقف خاصة فيما يتعلق بإيران، جعل ملف حقوق الإنسان ومحاولة دفع النظام المصري إلى اتخاذ خطوات لمعالجة الانتقادات التي يواجهها، تحتل مرتبة متأخرة في جدول أعمال المسؤولين الأمريكيين، خلال زيارتهم إلى القاهرة.

وبعد نحو شهر ونصف من زيارة وزير الخارجية الأمريكي، أنتوني بلينكن إلى القاهرة، على وقع تصعيد كبير في الأراضي المحتلة، استقبل الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي الأربعاء الماضي، وزير الدفاع الأمريكي لويد أوستن.

وحسب بيان للرئاسة المصرية، شمل اللقاء بين السيسي وأوستن، الحديث عن حرص الولايات المتحدة على مواصلة دفع وتطوير التعاون والشراكة الإستراتيجية مع مصر خاصة في شق التعاون الدفاعي.

كما تباحث المسؤولون، حسب البيان، حول عدد من القضايا الإقليمية والدولية وعلى رأسها القضية الفلسطينية لتحقيق التهدئة في الأراضي الفلسطينية، ووقف الإجراءات الأحادية والتصعيد. وفي هذا الصدد أكد السيسي، على أن حل الدولتين، وفقاً لمرجعيات الشرعية الدولية ذات الصلة، يعد الطريق نحو تحقيق السلام العادل والشامل لصالح جميع شعوب المنطقة.

ومصر حليف إستراتيجي للولايات المتحدة ومن كبار المستفيدين من المساعدة العسكرية الأمريكية، رغم المخاوف التي تبديها واشنطن بشأن وضع حقوق الإنسان والحقوق الأساسية في مصر، وعلى رأسها الوضع في الضفة الغربية سلبا على هذا المشروع. ومن ثم فإن الحملة الدبلوماسية الأمريكية في المنطقة منذ بداية العام الحالي، تستهدف في الأساس إنقاذ مشروع الردع العسكري المشترك، لأن تضاؤل فرص تحقيقه يعني توسيع ثغرة تمدد النفوذ الروسي والصيني، وزيادة الأعباء على الولايات المتحدة، التي تريد تحرير مجهودها الاستراتيجي من أعباء القضايا الفرعية والتركيز على المواجهة الشاملة مع الصين وروسيا، وهي المواجهة التي تستخدم فيها واشنطن على أوسع نطاق أسلحة العقوبات التجارية والتكنولوجية والاستفزازات العسكرية.

سوق السلاح والنظام الأمني

يعتبر إقامة نظام للردع العسكري الإقليمي هو المدخل للقاهرة الأربعاء ولقاءه مع الرئيس عبد الفتاح السيسي.

وقالت السفارة الأمريكية في القاهرة في بيان، التقى وزير الدفاع لويد ج. أوستن السيسي لإعادة تأكيد التزام الولايات المتحدة بالعلاقات الثنائية ولتبادل وجهات النظر حول التحديات الأمنية الإقليمية والعالمية المشتركة.

وأشاد الوزير بقيادة مصر الإقليمية والعالمية، وشكر بشكل خاص الرئيس على دور مصر في التوسط في التوترات الإسرائيلية الفلسطينية، عارضًا مستجدات الحرب العدوانية الروسية غير المبررة ضد أوكرانيا، وعواقبها الاقتصادية العالمية، والتهديد الذي يشكله هذا الصراع على النظام الدولي القائم على قواعد راسخة.

وسلط الوزير الضوء على تضامن الولايات المتحدة مع مصر في مواجهة المصاعب الاقتصادية التي سببتها حرب روسيا الوحشية وغير المبررة والتي لم يسبقها أي استفزاز.

كما شارك الوزير قلقه بشأن النطاق الواسع للتهديدات التي تشكلها إيران، بما في ذلك برنامجها النووي، وأنشطتها الإقليمية المزعزعة للاستقرار، وتوفيرها أنظمة جوية بدون طيار لروسيا، وأخيرًا شدد الوزير على التزام الولايات المتحدة الدائم تجاه المنطقة وأكد أن التقدم في الحريات الأساسية وحقوق الإنسان يعزز علاقتنا الثنائية

وفي لقاء لاحق مع وزير الدفاع محمد زكي، أشاد الوزير بمصر لتوليها قيادة فرقة العمل 153 للقوات البحرية المشتركة، والتي تركز على أمن البحر الأحمر. كما سلط الضوء على تدريبات برايت ستار 23 المشتركة القادمة كدليل على قيادة مصر وعلى قوة التعاون المستمر بين الولايات المتحدة ومصر لتحسين الأمن الإقليمي والردع الموثوق به. وأكد الوزير التزامه بتعزيز العمل البيني بين القوات المسلحة الأمريكية والمصرية، وأقر بالخطوات المهمة للجيش المصري لتقليل الأضرار المدنية أثناء العمليات، وأكد التزام وزارة الدفاع بالعمل مع مصر لتعزيز قدراتها الدفاعية.

واتفق القادة في كلا الاجتماعين على تعزيز التنسيق الوثيق بينهما بشأن هذه القضايا واغتنام الفرص لتعميق الشراكة الدفاعية الثنائية المستمرة منذ عقود.

ومصر حليف استراتيجي للولايات المتحدة ومن كبار المستفيدين من المساعدة العسكرية الأمريكية، رغم المخاوف التي تبديها واشنطن بشأن وضع حقوق الإنسان والحقوق الأساسية في هذا البلد.

ويُلزم القانون الأمريكي وزارة الخارجية كلّ عام بتجديد ما إذا كانت مصر تحرز تقدّما على صعيد حقوق الإنسان أم لا، ويربط حصولها على 300 مليون دولار من المعونة العسكرية السنوية بمدى التقدّم المحرز في هذا المجال.

وكانت مصادر تحدثت أن أوستن سيثير مع السيسي مسألة حقوق الإنسان، لكن بيان الرئاسة المصرية لم يأت على ذكر أي تفصيل بهذا الخصوص. ولم يعرف ما إذا كان البيان أغفل هذه القضية عن عمد، أم أنها لم تطرح أصلا.

وقال السناتور الديمقراطي، كريس ميرفي: «لا ينبغي أن تحصل مصر على حرية مطلقة في التصرف من الولايات المتحدة بينما تواصل انتهاك حقوق الإنسان الأساسية، وآمل أن ينتهز وزير الدفاع أوستن هذه الفرصة لإيصال تلك الرسالة إلى الرئيس السيسي».

وتعهد الرئيس الأمريكي جو بايدن بوضع حقوق الإنسان في قلب سياسته الخارجية، وضغط مدافعون عن الحقوق على واشنطن لاتخاذ موقف أكثر صرامة في التعامل مع السيسي.

لكن مسؤولين أمريكيين حاليين وسابقين يقولون إن الولايات المتحدة لا يمكنها أن تتخذ سوى خطوات محدودة ضد مصر وحلفاء آخرين بشأن قضايا حقوق الإنسان إذا أرادت تجنب اكتساب قوى منافسة نفوذا على الساحة.

وأوضح مايكل مولروي المسؤول السابق في وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) «ربما ببساطة، وبدافع الضرورة، يتحركون نحو روسيا أو الصين أو أي دولة أخرى يعتبرونها بديلا عن الولايات المتحدة وحينها سيقل اهتمامهم بمحاولة الالتزام بالمعايير الدولية لحقوق الإنسان».

ويفرض القانون الأمريكي على وزارة الخارجية دوريًا أن تحدد ما إذا كانت مصر تحرز تقدّما على صعيد حقوق الإنسان أم لا ويربط حصولها على المعونة العسكرية السنوية بمدى التقدّم المحرز في هذا المجال.

وتتعامل واشنطن مع ملف حقوق الإنسان في مصر بحذر بالغ على قاعدة أن القاهرة تمثل حليفا إستراتيجيا للولايات المتحدة يحتاج إلى المعونة، في حين تتصاعد الانتقادات التي توجهها المنظمات الحقوقية وأعضاء الكونغرس للإدارة الأمريكية بسبب مساعدتها بلدا يعتقل نحو 60 ألف سجين سياسي، متهمين إياها بغض النظر عن حملة القمع التي تستهدف المعارضين والنشطاء المصريين.

Volume 34 - Issue 10922 Sunday 12 March 2023

حقوق الإنسان في مباحثات أوستن في القاهرة

الصراع على النفوذ في الشرق الأوسط:

إبراهيم نوار

لا شك أن النفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط قد انحدر إلى أدنى نقطة منذ نهاية الحرب الباردة. وبينما كان هذا النفوذ قد وصل إلى ذروته بغزو العراق عام 2003 وتحويله إلى مستوطنة عسكرية، تحت سمع وبصر روسيا والصين والعالم كله، بما فيه الأمم المتحدة، فإن السنوات الأخيرة سجلت انسحاب القوات الأمريكية من العراق وسوريا وأفغانستان إلى درجة أن هذه الانسحابات أثارت علامات استفهام بشأن الدور الذي تريده الولايات المتحدة لنفسها في المنطقة، في الوقت الذي تحولت أولوياتها الدفاعية من الشرق الأوسط إلى شرق أوروبا، بتوسيع حلف الأطلنطي شرقا، وإلى جنوب شرق آسيا، بإقامة تحالفات دفاعية جديدة، لغرض حصار. في هذا السياق تحاول الإدارة الأمريكية الحالية العمل على إزالة كل ما يعرقل المجهود الاستراتيجي للحلف في أوكرانيا، أو يعرقل احتمالات الانتصار في مواجهة مع الصين.

وخلال الفترة منذ عام 2017 حتى الآن طورت واشنطن وتل أبيب صيغة لإقامة نظام للردع العسكري الإقليمي في الشرق الأوسط، يضم دولا عربية وغير عربية، يتم ترويجه بوسائل مختلفة دبلوماسية واقتصادية وعسكرية، تحت عنوان رئيسي هو «إقامة نظام مشترك للدفاع الجوي والصاروخي» يبدأ باستهداف القوة الجوية والصاروخية الإيرانية، التي تشمل أيضا نظم التسليح المسيرة، ذاتية القيادة، غير المأهولة بطواقم بشرية. وتأمل واشنطن أن يتعاون في مسؤوليات نظام الردع المقترح إسرائيل والدول العربية واليونان، وربما الهند في مرحلة تالية. ونظرا لأهميته الاستراتيجية، فإن الولايات المتحدة تخشى أن ينعكس تفاقم الوضع في الضفة الغربية سلبا على هذا المشروع. ومن ثم فإن الحملة الدبلوماسية الأمريكية في المنطقة منذ بداية العام الحالي، تستهدف في الأساس إنقاذ مشروع الردع العسكري المشترك، لأن تضاؤل فرص تحقيقه يعني توسيع ثغرة تمدد النفوذ الروسي والصيني، وزيادة الأعباء على الولايات المتحدة، التي تريد تحرير مجهودها الاستراتيجي من أعباء القضايا الفرعية والتركيز على المواجهة الشاملة مع الصين وروسيا، وهي المواجهة التي تستخدم فيها واشنطن على أوسع نطاق أسلحة العقوبات التجارية والتكنولوجية والاستفزازات العسكرية.

سوق السلاح والنظام الأمني

يعتبر إقامة نظام للردع العسكري الإقليمي هو المدخل الرئيسي للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، التي تستهدف استعادة نفوذها وحماية مصالحها الاستراتيجية على المدى الطويل. وتتمثل هذه المصالح في تأمين إمدادات النفط للمعسكر الغربي، وحماية أمن إسرائيل وضمان تفوقها النوعي على جيرانها، والمحافظة على السوق الكبيرة لصادراتها العسكرية، وحماية أمن الممرات البحرية الحيوية التي تربط الشرق بالغرب، وإدارة الحرب على الإرهاب، وإغلاق الأبواب أمام النفوذ الصيني والروسي. ومن ثم فإن تقييم نجاح واشنطن في الشرق الأوسط يتوقف على الانجازات التي تحققها السياسة الأمريكية في هذا الاتجاه.

ولا شك أن إقامة نظام أمريكي– إسرائيلي للردع العسكري الإقليمي في الشرق الأوسط يحقق مصالح التجمع العسكري– الصناعي الأمريكي، من حيث أن هذا النظام يساعد على ترويج مبيعات الأسلحة التي يتضمنها، مثل أجهزة ووسائل الإنذار المبكر، وأنظمة الرادار والصواريخ والطائرات، وأنظمة الأسلحة المضادة للأسلحة السيرة الجوية والبحرية والجوية، ومنها أسلحة حديثة مثل الأسلحة الحرارية، أو أسلحة الليزر. فهل كان وزير الدفاع الأمريكي لويد أوستن في زيارته الأخيرة للشرق الأوسط يحمل أفكارا بشأن ترويج خطط دفاعية لزيادة مبيعات الأسلحة الأمريكية في المنطقة؟ من المؤكد أن الإجابة هي «نعم»؛ ذلك أن صناعة السلاح الأمريكية رغم إنها لم تعد لديها الذاتية الحركة، أصبحت تستحوذ على نسبة مهمة من طاقات مراكز البحوث والتطوير، وكذلك طاقات إنتاج الصناعات العسكرية الأمريكية. وتعتبر منطقة الشرق الأوسط ميدانا رئيسيا لتطوير أنظمة دفاعية مضادة لأنظمة الأسلحة المسيرة، البرية والبحرية والجوية، خصوصا تلك التي تنتجها وتستخدمها إيران، التي انتشرت أيضا من الخليج والشرق الأوسط إلى ميدان الحرب في أوكرانيا، ويتم تطويرها تكنولوجيا على ضوء تلك الحرب. ومع ذلك فإن زيارة وزير الدفاع الأمريكي لويد أوستن للشرق الأوسط، التي ترافقت أيضا مع زيارة رئيس هيئة الأركان المشتركة للقوات المسلحة الأمريكية الجنرال مارك ميلي، تحمل في طياتها مهمات ودلالات أكبر من الجانب التجاري المتمثل في ترويج مبيعات الأسلحة.

الرسالة الأولى التي توجهها الولايات المتحدة من خلال زيارة وزير الدفاع ورئيس الأركان، هي استعدادها لمواجهة تصاعد الهجمات الإيرانية على القاعدة العسكرية الأمريكية في «التنف» التي يقيم فيها حوالي 900 عسكري أمريكي بأسلحتهم ضمن قوة الحرب على داعش، وتحميها من الخارج قوات كردية تشرف الولايات المتحدة على تدريبها وتسليحها وتمويلها، لتكون خط الدفاع الأول عن القاعدة الأمريكية. وعلى الرغم من أن الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب كان قد قرر إنهاء مهمة القوات الأمريكية في سوريا، وسحبها تماما في عام 2018 إلا أن القيادة العسكرية أبدت تحفظاتها على القرار، ما أدى إلى إبطاء تنفيذه، واستبقاء القوة العسكرية جزئيا في شمال شرق سوريا، لغرض حماية آبار البترول في تلك المنطقة، إلى جانب مهماتها الأخرى التي تقوم بها من أكثر من 8 سنوات.

وقد لوحظ في الآونة الأخيرة تصاعد وتيرة الأنشطة العسكرية حول قاعدة «التنف» التي تعرضت خلال الشهرين الأخيرين لهجمات بطائرات الدرونز الإيرانية، كان من أهمها هجمة بثلاث طائرات في شهر كانون الثاني/يناير، قالت القوات الأمريكية إنها أسقطت اثنتين منها، في حين أفلتت الثالثة ونجحت في قصف القاعدة.

العملية الثانية كانت في الشهر الماضي، وأسفرت عن إصابة 4 جنود أمريكيين، وإحداث أضرار مادية. وتتوقع القيادة الميدانية الأمريكية في العراق، وقيادة المنطقة المركزية أن تزيد وتيرة هذه الهجمات في الأسابيع والأشهر المقبلة. ويبدو أن أحد أهداف زيارة الجنرال ميلي للقاعدة هو طمأنة الجنود الأمريكيين، حتى لا تتدهور الروح المعنوية هناك، خصوصا وأن دور القوات الأمريكية في العراق وسوريا يحوطه كثير من الغموض، وعدم اليقين بشأن المستقبل. وتؤكد الولايات المتحدة أن قواتها لا تقوم بأدوار قتالية في العراق، لكنها تحتفظ لنفسها بحق الدفاع عن النفس إذا هوجمت. أما بالنسبة للقوات الموجودة في قاعدة التنف فإنها تقوم بمهمات في مجال الحرب على الإرهاب.

الرسالة الثانية تتعلق بتكثيف التنسيق الميداني لمواجهة زيادة كثافة وانتشار القوات الإيرانية في سوريا، خصوصا مع سحب روسيا كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر والقوات من قاعدة طرطوس البحرية، وقاعدة حميميم الجوية، والقوة العسكرية التي تقوم بدور الشرطة العسكرية في مواجهة أي هجمات جوية محتملة بواسطة إسرائيل، وتوفير غطاء جوي لوجودها العسكري المباشر وغير المباشر في العراق وسوريا ولبنان. ونظرا لأن إسرائيل تعتبر هذا تهديدا خطيرا لهيمنتها الجوية الإقليمية، فإنها تبادر إلى ضرب أي منشآت عسكرية جديدة في سوريا خشية أن تتمكن إيران من إقامة نظام الدفاع الجوي الذي تريده. وقد كانت الضربة الجوية التي نفذتها الطائرات الإسرائيلية في مطار حلب أخيرا، وأسفرت عن خروج المطار من الخدمة، هي جزء من المجهود الذي تقوم به إسرائيل، لحرمان إيران من مزايا بناء نظام للدفاع الجوي على حدودها، خصوصا وأن إيران طلبت من روسيا في عملية إعادة تنظيم قواتها بين الشرق الأوسط وأوكرانيا، تحتاج الآن الى كمية من الأسلحة والذخائر والأفراد في أوكرانيا أكثر مما تحتاج في سوريا، لكنها لا تريد نشوء فراغ أمني قد يؤثر سلبا على التوازنات الحالية في سوريا. ومن أجل الحيلولة دون ذلك، يبدو لنا ان هناك تفاهما ضمنيا بين روسيا وإيران على أن تقوم القوات الإيرانية أو القوات التي تعمل معها بالوكالة، على القيام بمهمات ملء الفراغ. إضافة لذلك فإن التغيير التكتيكي الكبير المحتمل، يتمثل في سعي إيران لإقامة منظومة دفاع جوي متكاملة في سوريا، تعمل في المستقبل القريب، كخط دفاع أمامي في مواجهة أي هجمات جوية محتملة بواسطة إسرائيل، وتوفير غطاء جوي لوجودها العسكري المباشر وغير المباشر في العراق وسوريا ولبنان. ونظرا لأن إسرائيل تعتبر هذا تهديدا خطيرا لهيمنتها الجوية الإقليمية، فإنها تبادر إلى ضرب أي منشآت عسكرية جديدة في سوريا خشية أن تتمكن إيران من إقامة نظام الدفاع الجوي الذي تريده. وقد كانت الضربة الجوية التي نفذتها الطائرات الإسرائيلية في مطار حلب أخيرا، وأسفرت عن خروج المطار من الخدمة، هي جزء من المجهود الذي تقوم به إسرائيل، لحرمان إيران من مزايا بناء نظام للدفاع الجوي على حدودها، خصوصا وأن إيران طلبت من روسيا نظام الدفاع الجوي المتطور إس– 400 بعد أن بدأت تسلم سربين من الطائرات الروسية المتطورة طراز سوخوي– 35.

مقومات النفوذ الصيني والروسي

يمكننا أن نرصد باستخدام مؤشرات كمية وكيفية، أن العام الأول للحرب الأوكرانية سجل زيادة في نفوذ كل من روسيا والصين في المنطقة العربية عموما، وفي دول الخليج على وجه الخصوص، ربما على العكس من حسابات واشنطن أو خارج توقعاتها. وقد جاءت هذه الزيادة في النفوذ على عكس رغبة الولايات المتحدة، وعلى الرغم من الضغوط التي استمرت في ممارستها، والتي وصلت أقصاها في صيف العام الماضي. ومع ذلك فإننا يجب أن نؤكد هنا أن فشل الضغوط الأمريكية كان نتيجة التقاء مصالح دول عربية وشرق أوسطية مع كل من روسيا والصين في مجالات رئيسية، مثل أسعار النفط، وتوفير إمدادات الغذاء، وإقامة مشروعات بنية أساسية مهمة بالتعاون مع أي منهما، والحاجة إلى تنويع مصادر السلاح.

ونشير هنا بشكل خاص إلى أن الصين هي أكبر سوق لصادرات النفط السعودي، كما أنها سوق رئيسية للنفط العراقي. وأن مصر تبني أولى محطاتها للطاقة النووية بالتعاون مع روسيا، وأن السعودية وهي تسعى إلى تطوير البنية الأساسية للاتصالات والموانئ وغيرها تستعين بمساندة تكنولوجية صينية، تجلت مؤخرا في عقد اتفاق تعاون لتطوير نظام 5G بين الشركة السعودية للاتصالات وبين شركة هواوي التي تمثل الهدف الأول لضربات العقوبات الأمريكية. كما أن الإمارات عقدت صفقة عسكرية مهمة أخيرا مع الصين، يحصل بمقتضاها سلاح الجو الإماراتي طائرات تدريب صينية وأسلحة أخرى. هذا التوسع في علاقات التعاون بين كل من الصين وروسيا ودول الشرق الأوسط لا يقتصر على الدول العربية فقط، وإنما يشمل دولا غير عربية منها إسرائيل وإيران. ولذلك فإن محاولة استعادة الولايات المتحدة لدورها السابق في الشرق الأوسط، هي مجرد وهم غير قابل للتحقق، نظرا لأن هناك حقائق جديدة على الأرض تحول دون ذلك. هذا لا يعني طرد النفوذ الأمريكي تماما من المنطقة، فستظل إسرائيل ودول عربية أخرى تتعاون معها، كما تتعاون أيضا مع كل من روسيا والصين. وقد تتعرض علاقات واشنطن بالمنطقة لحالات مد وجزر، لكن وضعها النهائي سيحدث ملامحها نظام عالمي جديد ما يزال في طور التشكل.

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10922 الأحد 12 آذار (مارس) 2023 – 20 شعبان 1444 هـ

أوستن جاء إلى المنطقة لتهدئة الأوضاع ويركز الجهود على إيران فدخلت الصين وشوشت خططه

إبراهيم درويش

عاد وزير الدفاع الأمريكي لويد أوستن إلى واشنطن بعد جولته التي زار فيها الأردن والعراق ومصر وإسرائيل ليفاجأ مع بقية أركان إدارة بايدن بعودة العلاقات الدبلوماسية السعودية مع إيران. وهي البلد التي طفت على محادثاته وذكرها أحيانا بالاسم وأحيانا أخرى بالمعنى.

جاء أوستن إلى المنطقة برسالة أخرى إلى الأردن ومصر وإسرائيل وهي ضرورة العمل على تجنب زيادة العنف بشكل يؤثر على أولويات الإدارة الأمريكية في محاربة روسيا في أوكرانيا ومواجهة الصين المنافس الاقتصادي لأمريكا على المسرح العالمي.

واكتشفت أمريكا أن عملية إعادة العلاقات الدبلوماسية بين عدوين لدودين في منطقة الشرق الأوسط، تم برعاية صينية، وليس من خلال القوة التقليدية المهيمنة في الشرق الأوسط، أي الولايات المتحدة. وقادت بيجين المحادثات السرية إلى جانب عمان المعروفة بوساطتها السابقة والعراق والذي رعى في الماضي لقاءات سرية بين الجانبين السعودي والإيراني. وتركزت تلك المحادثات في معظمها على ملف اليمن حيث ترغب السعودية بالخروج من مستنقعه بعد ثمانية أعوام من الحرب التي استنفدت الخزينة وزادت من الأعباء العسكرية وعرضت أمن المملكة للخطر وصواريخ إيران ومسيراتها التي منحتها لحلفائها الحوثيين.

ثمن التطبيع

ولكي تزيد الصورة غموضا، سربت معلومات إلى صحيفة «وول ستريت جورنال» و«نيويورك تايمز» حول الثمن الذي تريده السعودية للتطبيع مع إسرائيل، مفاعل نووي مدني الطابع وضمانات أمنية ودفاعية أمريكية. وقد أوردت صحيفة «نيويورك تايمز» (2023/3/9) الخبر نقلا عن مسؤولين على معرفة بالمحادثات الدبلوماسية. وأشارت إلى أن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، يحاول جاهدا لتكريس إرثه السياسي وإقناع قوة كبيرة ومهمة في الشرق الأوسط لكي تنضم إلى قطار التطبيع أو اتفاقيات إبراهيم التي وقعت في ظل إدارة دونالد ترامب. ويعتقد نتنياهو، أنه لو وافقت السعودية إقامة علاقات مع إسرائيل، فإن القضية الفلسطينية ستحل، وكانت هذه آخر تصريحاته لصحيفة «ريبابليكا» الإيطالية، ولا نعرف إن كان يقصد أنه سيضع الستار على الموضوع الفلسطيني أم أن حلا عادلا للقضية ودولة للفلسطينيين هي النتيجة. وبالنظر لتصرفات حكومته الأكثر تطرفا في إسرائيل فإن ما يهدف إليه نتنياهو والوزراء المتطرفون معه هو تحقيق نصر حاسم على الفلسطينيين وإخضاعهم بما يعني السيطرة عليهم وضم الضفة الغربية وتغيير الأمر الواقع. وكان أوستن واضحا مثل بقية المسؤولين الأمريكيين الذين جاءوا إلى المنطقة العام الماضي وبداية العام عندما عبر من مطار بن غوريون حيث تم تغيير مكان اللقاء في وزارة الدفاع الإسرائيلية بسبب الاحتجاجات في إسرائيل ضد تغييرات نتنياهو وحكومته للقضاء والتحكم بقرارات المحكمة العليا. وتم نقل نتنياهو بالطائرة المروحية إلى محيط المطار لكي يتمكن من لقاء الزائر الأمريكي.

لا تحرفوا نظرنا

ولا تزال الإدارة الأمريكية متمسكة بحل الدولتين الذي تعرف أنه بات بعيد المنال، في ظل غياب أي عملية تفاوضية ومنذ آخر محاولة فاشلة من إدارة باراك أوباما ووزير خارجيته جون كيري عام 2014 وبسبب التوسع الاستيطاني ووصول تيار ديني–صهيوني هو ربيب نتنياهو إلى السلطة ورفض التسوية من ناحية المبدأ. ولهذا كانت الرسائل التي حرصت الإدارة الأمريكية على نقلها عبر الصحافة هي أن أوستن حمل معه رسالة صريحة وواضحة حسبما أشارت صحيفة «فايننشال تايمز» (2023/3/9) وهي أن التركيز على الضفة الغربية يحرف النظر عن تهديد إيران، التي تعد محط اهتمام الحكومة الأمريكية. ومن هنا فتصاعد العنف في الضفة الغربية المحتلة، سيضعف من التعاون معا لمواجهة التهديد القادم من إيران، وذلك نقلا عن مسؤول أمريكي بارز. ونقلت عن مسؤول أمريكي قوله: «التركيز على العنف في الضفة الغربية سيحد من قدرتنا للتركيز على التهديد الإستراتيجي الحالي، تقدم إيران الخطير في مشروعها النووي واستمرار عدوانها الإقليمي والدولي».

وتصاعد العنف في الضفة الغربية التي تشكل غالبية الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام 1967 في الأشهر الأخيرة، ما زاد من مخاوف خروجه عن السيطرة. وقتلت القوات الإسرائيلية منذ بداية هذا العام أكثر من 70 شخصا في وقت قتل فيه الفلسطينيون 13 إسرائيليا. وفي يوم زيارة أوستن نفذ مسلح فلسطيني هجوما في تل أبيب جرح فيه عددا من الإسرائيليين داخل مقهى.

وتقول الصحيفة إن واشنطن تنظر بقلق لتصاعد العنف بالضفة الغربية. وتخشى إدارة بايدن من خطط نتنياهو المضي قدما في إصلاحاته القضائية. وفي الوقت نفسه تخشى إسرائيل من تزايد النشاطات النووية الإيرانية وتدعو إلى تهديد عسكري موثوق لردع إيران. ورغم تأكيد أوستن على موضوع إيران والتعاون في محاربة برنامجه النووي، إلا أن إدارة بايدن تفضل الدبلوماسية لمعالجة البرنامج النووي الإيراني وأنها ملتزمة في الوقت نفسه لمنع إيران من الحصول على السلاح النووي. وقد توقفت المفاوضات في أعقاب قمع إيران العنيف للمحتجين العام الماضي ودعمها العسكري لروسيا في حربها ضد أوكرانيا. واتهمت الولايات المتحدة إيران ببيع مسيرات قتالية لروسيا، وهو أمر تنفيه طهران. ولم تقدم إسرائيل دعما قتاليا لأوكرانيا وتحاول واشنطن الضغط عليها لعمل المزيد، وتحديدا ما يراه الغربيون من استخدام إيران الساحة الأوكرانية كمختبر حربي لتجربة الأسلحة. وقال المسؤول الأمريكي البارز «يجب على كل واحد التحضير لما ستكون عليه السيناريوهات عندما تأخذ إيران التكتيكات والطرق الفنية والإجراءات التي تعلمتها في أوكرانيا وتبدأ باستخدامها هناء أي الشرق الأوسط.

يعرف نتنياهو أن واشنطن بيدها الدفع بالتطبيع مع السعودية ولديها القدرة على ضرب المنشآت الإيرانية وهو ما لا تستطيع إسرائيل القيام به وحدها. ومن هنا كشف الطرفان المناورات العسكرية المشتركة. وكانت إيران حاضرة ولكن بدون ذكر الإسم في محادثات أوستن مع المسؤولين العراقيين، حيث أكد التزام واشنطن بدعم العراق والحفاظ على القوات الأمريكية في العراق و«بدعوة» من العراقيين، وحذر من المساس بالجنود الأمريكيين في العراق. وإلى جانب إيران، حضر تنظيم الدولة وضرورة إعادة العائلات والأفراد المرتبطين به من مخيم الهول في سوريا.

سوريا وكسر العزلة

وجاءت رسالته متناسقة مع زيارة رئيس هيئة الأركان المشتركة إلى القوات الأمريكية مايك ميلي إلى شمال–شرق سوريا، وأكد أن 900 جندي سيظلون هناك. وقالت صحيفة «نيويورك تايمز» (2023/3/4) أن زيارة مايك ميلي التي جاءت قبل يوم واحد من وصول أوستن، ركزت على تقييم الوضع في سوريا، وانه كان يريد التأكد شخصيا من المهمة التي يقومون بها. ووجد أن القوات ضرورية لمنع عودة تنظيم الدولة، وهي جزء من التزام أمريكي، مع أن بايدن كما تقول الصحيفة عبر عن التزام بإنهاء الحروب الأبدية، وأخرج القوات الأمريكية من أفغانستان، إلا من سوريا التي يتعرض فيها الجنود الأمريكيون لمخاطر.

وفي سوريا، هناك محاولات عربية لإخراج نظام الأسد من عزلته وسط معارضة أمريكية وأوروبية، فقد باتت الدول العربية هي المحرك الرئيسي في هذه الجهود. ومنذ الهزات الأرضية الكارثية في شمال سوريا وتركيا توافد مسؤولون عرب على دمشق، كان آخرهم وزير الخارجية المصري الذي دعا لعودة سوريا لمكانها الطبيعي في المنظومة العربية، وزارها وزير الخارجية الأردني والإماراتي. وتقود الإمارات منذ سنين جهود إخراج نظام بشار الأسد من العزلة التي فرضت عليه بعد قمع الانتفاضة عام 2011. وفي الشهر الماضي سافر الأسد إلى عمان بناء على دعوة من سلطانها، وهي دولة حليفة أخرى ومهمة للغرب، إلى جانب كونها شريكا استراتيجيا. وأشارت صحيفة «التايمز»(2023/3/6) أن الإمارات تسعى لوقف «التشرذم» العربي. وحتى السعودية التي ظلت تقاوم تحرك الدول العربية، غيرت من موقفها على ما يبدو.

تقوم فكرة إسرائيل في توسيع اتفاقيات التطبيع على أن العالم العربي منشغل بمصالحه لكي يلتفت إلى موضوع الفلسطينيين، وأن هناك إمكانية لعقد اتفاقيات مع الدول العربية من وراء ظهر الفلسطينيين، وهذا هو جوهر اتفاقيات إبراهيم التي رعتها إدارة ترامب وعملت جهدها لتهميش ومعاقبة الفلسطينيين وتبني رؤية نتنياهو عن الصراع، لكن الأحداث في القدس الشرقية والضفة هي تذكير دائم لإسرائيل وحلفائها العرب أنه بدون تسوية واستجابة للتظلمات التاريخية الفلسطينية فسيظل احتلال إسرائيل عامل توتر بالمنطقة العربية، وستضطر الدول العربية التي طبعت مع إسرائيل لمواجهة الواقع الذي حاولت إدارة ظهرها. فمن جهة يقول مسؤولون إسرائيليون إن السعودية لم تعد تسعى إلى الحصول على تنازلات كبيرة بشأن القضية الفلسطينية كجزء من المحادثات وربما رضيت بأقل مما تعلن حسب «نيويورك تايمز» وقالت صحيفة «وول ستريت جورنال» (2023/3/9) إن وفدين، أمريكي وإسرائيلي، زارا الرياض أواخر العام الماضي، وقالا إن السعوديين لا يرون أن القضية الفلسطينية ذات أهمية قصوى. مع أن استطلاعا أجراه معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى وجد فيه إن نسبة 76 في المئة من السعوديين لديهم مواقف سلبية من التطبيع. وخلافا للإمارات والبحرين فإن السعودية بسكان يتجاوز عددهم 25 مليون نسمة لا تستطيع تجاوز مواقف سكانها، وفي ظل التحولات الجديدة في البلاد والتي ترمي التحضير لعصر ما بعد النفط. وأي صفقة سعودية– إسرائيلية ستقضي على إنشاء الدولة الفلسطينية ولعقود، فلطالما التزمت السعودية ورسميا بأن التطبيع مرتبط بإقامة الدولة الفلسطينية، مع أن الصحيفة تشير إلى تطور العلاقات الأمنية والاقتصادية. ويقول مسؤولون في إدارة بايدن وبعض المسؤولين السعوديين إن على إسرائيل أن تفعل شيئًا بشأن تطلعات الفلسطينيين إلى الاستقلال، وقال مشاركون في المحادثات بين البلدين إنه يمكن التوصل إلى اتفاق إذا وافقت إسرائيل على اتخاذ خطوة متواضعة، مثل إجراء محادثات سلام مع الفلسطينيين. ولا تأخذ هذه التصريحات مواقف الفلسطينيين أنفسهم، من ناحية شعور الخيبة بالجهود السلمية وعدم الإيمان بالحلول السلمية والإيمان بالسلاح والعودة إليه، وحتى الذين توقفوا عن القتال بدأوا يدعم الجيل الشاب وكتائب المقاتلين التي لم تعد تستجيب لأوامر القيادة السياسية ولا الفصائل التقليدية، حسبما ورد في عدد من التقارير الصحافية في أمريكا وبريطانيا في الآونة الأخيرة.

الصين في المنطقة

وإذا كان هدف أوستن، أو سيده بايدن هو إبقاء الغطاء على الوضع في المناطق المحتلة لكي تتفرغ أمريكا للصين وروسيا، فقد جاءت الصين إلى المنطقة وملأت الفراغ الذي تركته الولايات المتحدة، فهي حاضرة وذات تأثير على طرفي الخليج، علاقات جيدة مع إيران ومثلها مع السعودية والإمارات ودول مجلس التعاون الخليجي. وهي حاضرة في مبادرتها الحزام والطريق، وأشار موقع «أويل برايس» (2023/3/7) إلى التنافس الأمريكي– الصيني في عمان والإستثمارات الصينية في هذا المكان الحيوي من الخليج، وأن حضورها هنا هو جزء من سياسة السيطرة على مناطق الاختناق البحرية والتي يمر منها معظم نفط العالم وغازه الطبيعي. وطالما ظلت الصين مهتمة بمصالحها التجارية وتدفق النفط من الخليج إليها، لكن طموحاتها في المنطقة زادت، وحذرت واشنطن الإمارات من تقارير عن محادثات لإنشاء قاعدة بحرية صينية، إلى جانب القاعدة الصينية الوحيدة في جيبوتي، وهو ما يمنحها قدرة على التحكم بمضيق باب المندب. وعليه فالوساطة الصينية بين إيران والسعودية هي بمثابة «انقلاب» حسب صحيفة «ديلي تلغراف»(2023/3/10)، مشيرة إلى أن عودة العلاقات إلى مجاريها تم التوصل إليها بعد محادثات استمرت أربعة أيام في العاصمة الصينية. وقالت إن الاختراق الدبلوماسي يظهر أن الصين باتت لاعبا مهما في سياسة الشرق الأوسط في وقت يتراجع فيه الأمريكيون والغرب من المنطقة. وقال باحث في معهد بريطاني «هذا أمر كبير» و «لأن السعوديين وإيران لملوا خلافاتهم، لكن الولايات المتحدة لم تكن حاضرة، والتحولات تجري بشكل سريع». وقللت أمريكا من حجم الاختراق مؤكدة على أهمية العلاقات السعودية–الإسرائيلية. وفي الوقت الذي تبادلت فيه الأطراف السياسية في إسرائيل الاتهامات، حققت الصين انتصارا دبلوماسيا في المنطقة، وبعد رفض الغرب جهودها للوساطة في الحرب الأوكرانية. ويبدو أن إخفاء الأمر عن الولايات المتحدة هو رد على المحادثات السرية التي أجرتها إدارة باراك أوباما عبر قناة عمان مع إيران للحد من نشاطاتها النووية، حينها غضبت دول الخليج ولم ترض عن خطة العمل المشتركة الشاملة كما أطلق عليها.

ورأت مجلة «ناشونال انترست» (2023/3/9) أن الولايات المتحدة تريد كبح النفوذ الاقتصادي والتكنولوجي والجيوسياسي العالمي المتنامي للصين. بشكل قد يحول منطقة الخليج في علاقاتها المتنامية مع بيجين إلى ساحة تنافس. فالأنظمة الملكية في دول مجلس التعاون الخليجي في وضع حرج، حيث يجب أن تسعى جاهدة لتحقيق قدر أكبر من الاستقلالية عن طريق الحد من تعرضها للمنافسة الاستراتيجية بين القوى العظمى. لكن سرعة احتدام التنافس بين الولايات المتحدة والصين خلقت وضعا محفوفا بالمخاطر بشكل لا يصدق للسياسة الخارجية لدول مجلس التعاون الخليجي. وفي المقابل، تدرك دول مجلس التعاون الخليجي المخاوف الأمريكية المتزايدة بشأن الصين ولا تريد الوقوع في صراع بين البلدين. لكن المنافسة المتصاعدة بين الولايات المتحدة والصين تضغط على دول مجلس التعاون الخليجي للانحياز إلى إحدى القوتين. وربما لن تجدي صيغة الدفاع من أمريكا والتعامل الاقتصادي مع الصين في الأيام القابلة، فوساطة بيجين هي دليل على تجاوز طموحاتها الاقتصاد إلى التأثير الجيوسياسي، فهي مرتبطة مع طهران بشراكة استراتيجية مدتها 25 عاما وعازمة على توطيد علاقاتها مع دول الخليج باتفاقيات وبروتوكلات تعاون. وبالحصلة جاء أوستن ليذكر الحلفاء بالتزام بلاده في أمنها ودعمها في مواجهة إيران ليجد عالما تغير وأن طهران التي أعادت حذر منها هي نفسها التي أعادت السعودية العلاقات معها.

Volume 34 - Issue 10922 Sunday 12 March 2023

رغم زيارة لويد أوستن الشرق الأوسط يتراجع في الأجندة السياسية والعسكرية الأمريكية

منظومة باتريوت الأمريكية

لندن– «القدس العربي»: حسين مجدوبي

عند زيارة كل مسؤول أمريكي خاصة من حجم وزير الدفاع مثل لويد أوستن الحالي للشرق الأوسط ومنه الخليج العربي، يبدأ الحديث عن دور أمريكي جديد في الخريطة العسكرية في المنطقة ومنها فرضية الحرب الأمريكية–الإسرائيلية ضد إيران. غير أن معطيات الوقائع والتطورات المستقبلية، تبرز تراجع الاهتمام العسكري الأمريكي بالمنطقة، وقد يشكل الاتفاق السعودي –الإيراني بداية منعطف حقيقي في هذا الشأن.

وشملت زيارة لويد أوستن كل من مصر والأردن وإسرائيل وبغداد، أي أطراف متعددة في الشرق الأوسط، بينما لم يزر العربية السعودية التي كانت دائما تستقبل المسؤولين الأمريكيين عند كل جولة لهم للمنطقة. وفي ظل التطورات التي يشهدها العالم لاسيما بعد الحرب الروسية ضد أوكرانيا. ويمكن اعتبار هذه الزيارة كلاسيكية لا تحمل أي مستجد قد تكون له انعكاسات مستقبلا. إذ لم يعد الأمر يتعلق هل واشنطن ستشن الحرب ضد إيران بسبب البرنامج النووي؟ بل ماذا يشكل الشرق الأوسط والخليج العربي أساسا في الأجندة العسكرية الأمريكية؟ وهل ستحافظ واشنطن على نفوذها ولو الحد الأدنى في المنطقة؟

في خطاب الأمة سنة 1980 موجه إلى الشعب الأمريكي، قال الرئيس جيمي كارتر «يحاول الاتحاد السوفييتي الآن ترسيخ موقع استراتيجي وبالتالي يشكل تهديدًا خطيرًا لحرية حركة النفط في الشرق الأوسط. ليكن موقفنا واضحًا تمامًا: أي محاولة من قبل أي قوة خارجية للسيطرة على الخليج العربي ستُعتبر تهديدًا للمصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية، وسيتم صد مثل هذا الهجوم بأي وسيلة ضرورية، بما في ذلك القوة العسكرية». ما سمي وقتها بعقيدة كارتر، جرى ترجمتها إلى واقع ملموس من طرف البنتاغون مباشرة، من خلال التواجد العسكري المستمر في الخليج العربي، وهو تواجد سيلعب دورا في الحرب الخليج ثم في منع تغلغل السوفييتي في المنطقة ونسبيا الروسي والصيني لاحقا.

وبعد مرور 36 سنة، صرح الرئيس الأمريكي باراك أوباما لمجلة «أتلانتيك» خلال /مارس 2016 بأن الشرق الأوسط لم يعد مهما للولايات المتحدة، بل واستعمل تعابير قوية مثل أن «العرب لم يعودوا مهمين للأدارة الأمريكية». في ذلك الحوار الشهير الذي كان انعكاسا للعقيدة الأمريكية الجديدة التي جرت بلورتها، أسهب باراك أوباما وقتها في تبرير عدم تدخله عسكريا في سوريا ضد نظام بشار الأسد، وبسط رؤيته للشرق الأوسط. لم يتردد في اتهام السعودية بنشر التطرف في العالم بمذهبها الوهابي. وفي الوقت ذاته، لم يتردد في تبرئة إيران نسبيا من التطرف، ولكنه حمّل كلا من طهران والرياض مسؤولية خوض حرب عقائدية عبر أطراف ثالثة في الشرق الأوسط، ومسرحها لبنان والعراق واليمن وسوريا. وكشف أوباما عن معطى رئيسي وهو الابتعاد عن مشاكل العالم العربي–الإسلامي في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. ولعل المنعطف، كان هو تراجع البنتاغون عن حماية كبيرة لأمن دول الخليج ومنها السعودية في حرب اليمن. والمثير في الأمر هو سحب البنتاغون لمنظومة باتريوت من الأراضي السعودية علاوة على التصريحات الشهيرة للرئيس الأمريكي الأسبق دونالد ترامب أنه إذا كانت السعودية ودول الخليج تريد الحماية فعليها تحمل الفاتورة.

وتوجد ثلاثة عوامل وراء تراجع منطقة الشرق الأوسط في الأجندة العسكرية الأمريكية تماشيا مع أجندة مصالح واشنطن مستقبلا، وهي:

أولا، استحالة شن البنتاغون حربا ضد إيران بسبب مشروعها النووي، إذ أن الحرب لن تمنع طهران من الحصول على القنبلة النووية إن قررت ذلك. وأصبحت الحرب الأمريكية– الإسرائيلية ضد إيران بمثابة أسطوانة غير قابلة للتطبيق في ظل القدرة العسكرية التي اكتسبتها إيران بتطوير قدراتها الحربية. ويكفي أنه جرى الحديث عن حرب ضد إيران منذ عقدين، ولم تتم حتى الآن.

ثانيا، منذ سنوات، لم تعد الولايات المتحدة تعتمد على النفط العربي، بل لديها من الاحتياط ما يفوق الدول العربية وأصبحت تصدر هذه الطاقة علاوة على الغاز. ويضاف إلى هذا، رهان العالم على الطاقات الجديدة لتحل محل النفط. في الوقت ذاته، تدرك واشنطن استحالة استمرار سياسة «البترودولار» أي تأدية فواتير النفط عالميا بالدولار في ظل تقدم العملة الصينية، واعتماد عدد من الدول الكبرى على عملاتها الوطنية في التبادل التجاري مثل حالة روسيا والصين، وقد يتم تعميم هذا على دول البريكس. وعمليا، عدم ارتباط النفط بالدولار يترتب عنه تراجع الخليج العربي في أجندة الولايات المتحدة.

ثالثا، اتضح التوجه الجيوسياسي الجديد للولايات المتحدة بل وبدأت عملية تنفيذه منذ سنوات، ذلك أن منطقة المحيط الهادي–الهندي وأمريكا اللاتينية ستصبح تمثل أكثر من 60 في المئة من الاقتصاد العالمي. فقد بدأت الشركات الكبرى تنقل نشاطها إلى المنطقة، وارتفعت الاستثمارات بشكل كبير جدا، وبدأ الجيش الأمريكي يتمركز بشكل أكبر في هذه المنطقة من العالم، التي ستضم خلال 2040 الاقتصاديات الخمس الكبرى وهي الصين والولايات المتحدة والهند واليابان ثم أخرى ذات وزن كبير وهي المكسيك علاوة على روسيا بمواردها الطبيعية وقدراتها العسكرية.

رغم استمرار التأثير الأمريكي على الرياض، فقد راقبت واشنطن الاتفاق السعودي–الإيراني الموقع الجمعة 10 اذار/مارس 2023 الذي يعد بداية مرحلة من التفاهم، فهو اتفاق سيزيل عنها الكثير من الأعباء وإن كان بواسطة صينية. وموقف واشنطن هذا، يدل على تراجع المنطقة في أجندتها.

حوار

رئيس اتحاد غرف التجارة والبرلماني الليبي محمد الرعيض:

كل من يحمل قبعة عسكرية أو قضائية لابد أن يتخلى عنها قبل الترشح للانتخابات

حاوره: سليمان حاج إبراهيم

يشرح محمد الرعيض – رئيس الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة الليبية في هذه المقابلة التي خص بها «القدس العربي» تفاصيل المشهد الليبي، ويوضح أبعاد الخلافات المستمرة بين الفاعلين وما ترتب عنها من جمود بسبب الرؤية المتضادة لمختلف الأطراف، حول الاختصاصات المالية للحكومة والمصرف المركزي في ظل الانقسام السياسي الحاصل، كما يبرز تداعيات ذلك على قدرة ليبيا على الاستفادة اقتصاديا من أزمة أسعار الطاقة في أوروبا والاتفاق الجديد مع إيطاليا لاستثمار 8 مليار دولار في تطوير حقول غاز. ويفكك الاقتصادي الذي يشغل أيضاً منصباً سياسياً بعضويته في مجلس النواب، المشهد الليبي على ضوء التحولات التي يشهدها البلد ومساراته وأبعاده المتداخلة وارتباطها بعمق دولي وإقليمي يحدد خريطة القرارات المتخذة في بلد ما يزال يعاني من أزمات متتالية. وبرز اسم الرعيض للمواجهة في ليبيا لترؤسه اتحاد غرف التجارة والصناعة والزراعة، وهي المنصة الرئيسية لقطاع الأعمال والمال الخاص بليبيا، والمنظمة التي تمثل رجال الأعمال وأصحاب المؤسسات الاقتصادية. ومؤخراً كان لها حضور لافت في الأراضي الفلسطينية وإعلان اتفاقيات لتصدير المنتوج الفلسطيني ووعود باستقطاب العمالة الفلسطينية. كما يتحدث الرعيض في هذا الحوار عن المستجدات الأخيرة على الساحة الدولية والإقليمية والداخلية، وعن التقارب التركي المصري، والحرب الروسية في أوكرانيا والخريطة الطاقوية الجديدة في أوروبا، والمعادلة الاقتصادية في الصراع، وملفات أخرى لها تأثيرها على مسار التسوية السياسية السلمية للأزمة المستمرة في البلاد منذ سنوات.

وهنا نص الحوار:

○ هل يمكن القول أن الانتخابات في ليبيا باتت قريبة، بعد تصويت مجلسا النواب والأعلى للدولة مؤخراً على تعديل دستوري جديد يُنتظر منه أن يشكل قاعدة للانتخابات؟

● إن أي توافق داخلي ليبي – حتى لو كان جزئياً بين مكونين فقط وليس كل مكونات المشهد – لا يمكن من حيث المبدأ إلا أن يكون إيجابياً ويقربنا أكثر من طريق الحل، غير أن تنظيم الانتخابات في موعد جديد يستوجب علينا الاستفادة من أخطاء الماضي حتى نتجنب الطريق المسدود الذي وصلت إليه انتخابات 24 كانون الأول/ ديسمبر 2021 وهو إيجاد قاعدة دستورية وقانونية واضحة للانتخابات بما فيها قانون انتخابات توافقي. ثانياً يجب على هذه القاعدة القانونية والدستورية أن تضمن تساوي الحظوظ أمام جميع المتنافسين، بمعنى أنه على كل من يحمل قبعة عسكرية أو قضائية أن يضعها جانباً ويتخلى كلياً عن منصبه قبل دخول الانتخابات بوقت كاف.

الأمر الثالث تمكين مفوضية الانتخابات من الوصول إلى كل نقطة في ليبيا شرقاً وغرباً للتحسيس والتنظيم وتنفيذ خطة عملها.

فبعد النكسة التي تعرضت لها الانتخابات في موعدها الأول، أصبحنا محتاجين لاسترجاع ثقة الناس وانخراطهم في المشروع، وتمكين الشعب وحده دون سواه من الاختصاص بحسم الصراع على السلطة الذي بات يقسم البلاد والمؤسسات وينخر الاقتصاد، ولهذا تنادت عديد الأصوات منذ سنوات تدعو مجلسي النواب والدولة إلى إحالة مسودة مشروع الدستور برمتها إلى استفتاء شعبي عام، ليس فقط للفصل في القاعدة القانونية للانتخابات بل أيضا في شكل النظام السياسي والإداري والاقتصادي الذي يريده الليبيون، وليحرر العملية السياسية والانتخابية بأكملها من أي صفقات شخصية أو صفقات ضيقة أخرى لا يمكن التكهن بأهدافها، لكن للأسف لم يسمع لتلك الأصوات أحد.

○ ما تأثير التفاعلات الإقليمية على أي تسوية سلمية توافقية بين أطراف الصراع الداخلي في ليبيا خصوصاً وأن العديد من التطورات المباشرة سجلت في الفترة الأخيرة تتحدث عن تقارب تركيا مع مصر وقبلها مع السعودية والإمارات، وتزامن ذلك أيضا مع المصالحة الخليجية في قمة العلا؟

● ما من شك أن التقارب الإقليمي الحاصل سيؤثر إيجاباً على فرص التسوية السلمية للأزمة الليبية، باعتبار التأثير البالغ للحرب الأخيرة على طرابلس في جر البلاد أكثر نحو تجاذبات إقليمية ودولية. ومجيء حكومة الوحدة الوطنية – عبر مسار أممي اعترف به وانخرط فيه الجميع في الداخل والخارج –كان ثمرة أولى لهذا الحل السلمي التفاوضي المنتظر للأزمة، لكن الأهم ما زال ينتظرنا، وهو تمكين السلطة التنفيذية التي أفرزها هذا المسار – أي المجلس الرئاسي وحكومة الوحدة الوطنية – من استكمال المهمة الرئيسية التي وجدت لأجلها، وهي تنظيم انتخابات تنهي مسألة الشرعية الدستورية وتفرز سلطة باختصاصات كاملة.

لذلك نأمل أن هذا التقارب الإقليمي بين الدول التي وضعتها الأحداث على سكة الحل، سيكون حاسماً في تقريب الرؤى بين مختلف مكونات المشهد داخلياً وتسهيل تنفيذ الخطة اللوجيستية والبرنامج الزمني الذي تحدده مفوضية الانتخابات، وأولى هذه الخطوات إيجاد قاعدة قانونية للانتخابات كاملة ومتوافق عليها. كما أن النقطة الأخرى الإيجابية في هذا التقارب الإقليمي بين دول نعتبرها في عمق انتمائنا العربي والإسلامي، هي أنها يمكن أن تلعب دورا مهما في تحييد أو تخفيف أي آثار سلبية متوقعة على الأزمة الليبية يمكن أن يفرزها الصراع الخطير الجديد بين القوى الدولية الكبرى دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي بسبب حرب أوكرانيا.

○ إلى أي حد تشكل الحرب الروسية الأوكرانية فرصة اقتصادية لليبيا لتدخل معادلة الطاقة في أوروبا من بابها الواسع، كما نراه في زيارات كبار المسؤولين الأوروبيين؟

● بلا شك الحرب الجديدة في أوروبا كأي حرب بين قوى كبرى ستؤثر سلباً على الجميع وخاصة الدول الهشة سياسياً واقتصادياً، خاصة أن حوض المتوسط وأفريقيا الذين نحن جزء أساسي منهما أصبحا فعلاً ساحة لامتداد هذا الصراع سواء بشكل ظاهر أو خفي.

وبالنسبة لليبيا هذه الحرب طرحت فعلاً حتى الآن تحديات جدية على مستوى تأمين واردات البلاد من القمح، ونحن في اتحاد الغرف تعاملنا معها تهديداً خطيراً للأمن الغذائي القومي وطرحنا عديد المبادرات للنهوض سريعاً بالإنتاج الزراعي الوطني، والواجب هنا يقع علينا جميعاً كليبيين للتعامل مع الوضع الجديد من خلال توحيد الجبهة الداخلية، والترفع على المناكفات والخلافات والصراع العدمي على السلطة. أما اقتصادياً من المهم الاستفادة من هذه الخريطة الطاقوية الجديدة التي شكلتها الحرب، ونحن بلد يملك مخزوناً كبيراً من موارد الطاقة وإن كان معظمه ما زال غير مكتشف ولا مستغل. ويمكن أن نلعب دوراً مهماً لتلبية بعض من حاجة السوق، التي يترجمها الإنزال الأوروبي في بلادنا لكوكبة من المسؤولين الأوروبيين من أرفع المستويات السياسية والاقتصادية، كما لاحظنا مثلاً في زيارة رئيسة الحكومة الإيطالية لبلادنا قبل فترة بخطة استثمار في حقول الطاقة تتجاوز 8 مليار دولار، وقد لعبنا دورنا في اتحاد الغرف كحاضن لقطاع الأعمال الخاص في رعاية عديد الندوات مع شركائنا في دول أوروبية مختلفة لتنشيط الاستثمارات وتنويع مصادر الدخل.

○ هذا الإنزال الأوروبي كما تسميه والتخطيط لاستثمارات هامة في قطاع النفط والغاز الليبي دون غيره من القطاعات، ألا يمكن أن يعزز من تبعية اقتصاد البلد للمحروقات ويؤخر فرص تنويع مصادر الدخل الذي تتحدثون عنه؟

● هذا السيناريو للأسف قائم إذا لم نبادر إلى رسم وتنفيذ خطة حقيقية لتنويع اقتصادنا وتنمية الإنتاج المحلي، لكن من المهم التنبيه إلى أن هذه الاستثمارات مهمة لليبيا لأجل تدارك التأخر الكبير في استكشاف واستغلال احتياطات النفط والغاز، يصل إلى 30 سنة، تشمل سنوات الحصار وتضاف إليها سنوات الأزمة منذ ثورة شباط/فبراير. كما أن جزءا كبيرا من الاستثمارات يجب أن يوجه لاستغلال القدرات الهامة لليبيا من الطاقات المتجددة وخصوصًا الطاقة الشمسية، فالبلد يوجد داخل الحزام الشمسي الذي يستقبل المتر المربع الواحد فيه سنوياً أكثر من 2500 كيلووات ساعة. وهذا ليس كلامي فقط، بل إن آخر تقرير لوكالة الطاقة الدولية يؤكد أن ليبيا من المناطق ذات إمكانات الإنتاج المنخفضة التكلفة للهيدروجين الأخضر، ويمكن أن تصدره إلى أوروبا بأسعار تنافسية في آفاق 2030.

صحيح نحن ما زلنا بعيدين عن تجسيد هذا المشروع الطموح لكن الشركة العامة للكهرباء وقعت فعلاً مذكرتين مع شركتين عالميتين لبناء محطة لتوليد الكهرباء من الطاقة الشمسية يمكن أن توفر 22 في المئة من حجم الاستهلاك السنوي.

○ تواجه ليبيا تحدياً آخر يتمثل في الحظر الأوروبي المفروض على الطيران من وإلى ليبيا لأسباب أمنية، ومر عليه أكثر من 8 سنوات، هل يمكن لهذه المستجدات الاقتصادية مع أوروبا أن تفتح ثغرة في جدار الحظر؟

● الحقيقة أن العام 2022 شهد تحقيق أولى الاختراقات ضد الحظر الذي تفرضه أوروبا منذ سنة 2014 لمنع الطيران المدني والتجاري من العمل بشكل مستمر ومنتظم بينها وبين المطارات الليبية. وقلنا للمسؤولين الأوروبيين في مناسبات مختلفة، أن الواقع ليس كما تتصورون وأنه ليس هناك مبرر جدي لاستمرار تعليق الرحلات الجوية من وإلى ليبيا، كما قلنا لهم: هل تعتقدون أن دولاً مثل تركيا والسعودية والأردن ومصر وغيرها لا تكترث لأمنها وهي تسّير يومياً عديد الرحلات بينها وبين ليبيا؟

نعترف أن البلد يسجل اختلالات أمنية لا ننكرها، لكن المطارات مستمرة في العمل في أقصى شروط الأمن والسلامة المطلوبة، واستقبلنا عديد الوفود، ويمكن لمصالح الطيران الأوروبية التحقق من ذلك. كما جددنا بالكامل منظومة البيانات ومعالجة معطيات المسافرين لتستجيب للمقاييس العالمية. وفعلاً نجحت جهود مؤسسات الدولة والاتحاد العام للغرف في إقناع بعض الدول الأوروبية باستئناف الرحلات الجوية مثل ما حدث مع مالطا، وأعتقد أن تنسيقاً مماثلاً مع إيطاليا ودول أخرى في طريقه، وفتح أجوائها مجدداً.

○ لماذا أثارت زيارتكم الأخيرة على رأس وفد اقتصادي ليبي للضفة الغربية ومقابلة المسؤولين في السلطة الفلسطينية، جدلاً واهتماماً واسعين؟ بعضهم حذر من أن تستغل إسرائيل الزيارة لزيادة تفتيت جدار المقاطعة العربي؟

● لا أعتقد هناك من هو أدرى من الأخوة الفلسطينيين – الذين التقينا وتحدثنا مع المئات منهم – بتقدير طبيعة الزيارة وهدفها وأثرها على الأرض، بدءاً من الرئيس الفلسطيني محمود عباس، مروراً برئيس الوزراء محمود اشتية، وليس انتهاء عند عشرات الأعضاء في غرف التجارة والصناعة الفلسطينية. اعتبروا جميعاً أن زيارة الوفد الاقتصادي الليبي تعزز من صمود الشعب والاقتصاد الفلسطيني في مواجهة آلة الجوع والحصار والخنق التي تتبعها إسرائيل. كما سمح وجودنا بأن نرى على الأرض كيف نفعّل مذكرات واتفاقيات التعاون الموقعة مع اتحاد الغرف الفلسطينية، ومن شأنها أن تفتح أبواب السوق الليبية أمام عديد المنتجات الفلسطينية، التي تقرر تنظيم معرض اقتصادي كبير لها في العاصمة طرابلس خلال الأسابيع القليلة القادمة. يضاف لذلك أننا درسنا بجدية فتح سوق العمل في ليبيا خلال مرحلة الإعمار القادمة أمام عشرات الآلاف من الأخوة الفلسطينيين من كل التخصصات والمهارات مساهمة منا في تخفيف وطأة البطالة عن العمل في فلسطين. فالزيارة لم تكن تعني لنا مجرد لقاء بروتوكولي، وهي دامت أسبوعاً كاملاً عايشنا فيه عن قرب عديد المؤسسات والشركات وعقدنا جلسات عمل مع قطاع الأعمال الفلسطيني في مختلف المدن والمحافظات بالضفة الغربية، ومن هذا المنبر أدعو جميع المنظمات الاقتصادية في وطننا العربي إلى مد يد العون للفلسطينيين بدل الاستمرار في لوك كلام عاطفي لا يبيع سوى الوهم لمقاومة الشعب الفلسطيني البطل ضد الاحتلال.

○ هل يمكن أن يكون الاقتصاد هو المسار الأكثر نجاعة ونشاطاً لتطبيع علاقات ليبيا مع محيطها الخارجي وتجاوز مخلفات الأزمة السياسية والأمنية على هذه العلاقات؟

● نعم هذا صحيح وهو ما نسميه في اتحاد الغرف، الدبلوماسية الاقتصادية الفاعلة، فعند فحص أرشيف البيانات والاتفاقات التي توجت محادثاتنا مع طيف الممثليات الدبلوماسية ومنظمات رجال الأعمال والشركات الاقتصادية العالمية المهتمة بفرص الاستثمار في بلادنا، نجد مما يتكرر فيها مطلب عودة السفارات واستئناف الخدمات القنصلية من العاصمة طرابلس، وتسهيل حركة تنقل الليبيين أفراداً ومؤسسات إلى هذه الدول لأغراض السياحة أو التجارة أو الدراسة أو العلاج وغيرها. مع بذل جهود حثيثة لاستئناف الرحلات المدنية والتجارية المنتظمة من وإلى المطارات الليبية، وحث الشركات التي غادرت البلاد لتعود وتستأنف عشرات المشروعات المتوقفة في الإسكان والمواصلات والبنية التحتية للبلاد. وعقدنا مثلاً في اتحاد الغرف منتدى كبير مع المسؤولين الفرنسيين عنوانه الصحة وتنظيم سوق الدواء والتعاون لمواجهة الأوبئة المتحورة العابرة للحدود، وبعده مباشرة منتدى آخر مع الألمان بعنوان الطاقة المتجددة كسبيل لسد العجز المزمن في استهلاك ليبيا من الكهرباء. ومع تونس نجد أن الاتفاقية الأخيرة مثلا تدلل الصعاب أمام مشكلة تشابه الأسماء التي تسبب متاعب أمنية لعديد مواطنينا أو تعرقل تملك العقارات لرعايا البلدين في كل منهما أو تثقل دون مبرر إجراءات تحويل الأموال عبر المصارف، وغيرها الكثير من القضايا ذات البعد الاجتماعي والإنساني وحتى الأمني والسياسي التي نستمر في حلحلتها بتوظيف دبلوماسية اقتصادية مكثفة لتفكيك هذا الحصار الدولي غير المعلن على ليبيا دولة واقتصاداً.

جعلنا الدبلوماسية الاقتصادية مدخلاً لفك الحصار الدولي غير المعلن على ليبيا

حريات

مصر: حديث عن انفراجة سياسية مشكوك في نواياها

القاهرة ـ «القدس العربي»: تامر هنداوي

شككت عدد من الأحداث التي شهدتها مصر على مدار الأيام الماضية، في نية السلطات المصرية إحداث انفراجة سياسية حقيقية خاصة في ملف سجناء الرأي.

فعلى الرغم من حديث المسؤولين المصريين عن انفراجة سياسية، وخطوات تحدثت عنها السلطات تتعلق بإجراء حوار وطني مع المعارضة، وإعادة تشكيل لجنة العفو الرئاسي للنظر في ملف سجناء الرأي، جاء الحكم على عدد من الحقوقيين المصريين في القضية المعروفة إعلاميا بـ«قضية التنسيقية» إضافة إلى رسائل المحتجزين في مجمع سجون بدر التي تحدثت عن انتهاكات وإقدام عدد منهم على الانتحار لتشكك في نوايا السلطات من الخطوات التي سوقت لها باعتبارها تمثل انفراجة في الملف الحقوقي.

قضية التنسيقية

وأصدرت محكمة أمن دولة طوارئ في مصر الأحد الماضي، أحكاما بالسجن تصل للمؤبد في القضية المعروفة إعلاميا بقضية التنسيقية المصرية، التي تضم عددا من الحقوقيين الأعضاء في التنسيقية المصرية للحقوق والحريات– منظمة حقوقية مستقلة.

وقضت المحكمة، بالسجن المؤبد بحق 17 شخصا، والسجن المشدد 15 عاما لـ7 آخرين والسجن المشدد 10 سنوات بحق 4 متهمين، والسجن 5 سنوات لثلاثة.

وجاءت الأحكام الصادرة بحق الحقوقيين في القضية، لتقضي بسجن كل من عزت غنيم المدير التنفيذي السابق للتنسيقية المصرية للحقوق والحريات، والمحامين محمد أبو هريرة، وطارق السلكاوي لمدة 15 عاما، والسجن 10 سنوات لكل من، عائشة الشاطر ابنة نائب مرشد جماعة الإخوان المسلمين خيرت الشاطر، سمية ناصف، والسجن 5 سنوات بحق المحامية هدى عبد المنعم.

وتعالت الأصوات التي تطالب السلطات المصرية بإلغاء الأحكام الصادرة ضد حقوقيين في القضية المعروفة إعلاميا بـ«قضية التنسيقية».

وقالت منظمة «هيومن رايتس ووتش» إنه ينبغي للسلطات المصرية إلغاء أحكام السِّجن القاسية.

وقال إريك غولدستين، نائب مديرة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في هيومن رايتس ووتش: «أحكام السِّجن القاسية بحق عزت غنيم وزملائه في التنسيقية المصرية للحقوق والحريات تقدم دليلا آخر على أن حكومة الرئيس عبد الفتاح السيسي ليست جادة بشأن الإصلاحات».

وأضاف: «ينبغي للسلطات المصرية إلغاء أحكام السِّجن الصادرة بحق عزت غنيم وزملائه والإفراج عنهم دون قيد أو شرط».

وتابعت المنظمة في بيانها: من بين النشطاء المدانين، عزت غنيم المدير التنفيذي للمنظمة وهو محام؛ والعضوة السابقة في المجلس القومي لحقوق الإنسان هدى عبد المنعم؛ وعائشة الشاطر؛ والمحامي محمد أبو هريرة.

ولفت البيان إلى أن الأحكام صدرت عن محكمة أمن دولة طوارئ، التي لا تخضع قراراتها للاستئناف، وأن المتهمين واجهوا تهما بموجب قانون العقوبات وقانون مكافحة الإرهاب بقيادة منظمة «إرهابية» أو الانضمام إليها، وهي التنسيقية المصرية للحقوق والحريات، التي زعمت السلطات أنها جزء من جماعة الإخوان المسلمين.

وأكدت المنظمة أن جميع التهم في قرار إحالة النيابة مرتبطة فقط بعمل المنظمة في توثيق ونشر انتهاكات حقوق الإنسان على موقعها في الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، وتقديم المساعدة القانونية وغيرها للمحتجزين.

إلى ذلك طالبت 9 منظمات حقوقية في بيان، السلطات المصرية، بوقف تنفيذ الأحكام الصادرة في قضية التنسيقية، وإعادة محاكمة المتهمين أمام قاضيهم الطبيعي، ووقف الأحكام الصادرة عن محاكم استثنائية.

وقالت المنظمات الحقوقية: أفعال السلطات المصرية تظهر عكس ما تطلقه من تصريحات حول احترام الفضاء المدني وحرية التعبير وحرية تكوين الجمعيات، وأن الاستراتيجية الوطنية لحقوق الإنسان التي أطلقها الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي بمثابة لافتة دعائية يروجها النظام لتحسين وجهه أمام المجتمع الدولي.

وبينت المنظمات أن الأحكام صدرت عن محكمة استثنائية، أحكامها نهائية لا نقض فيها، بمعنى أنها تفتقد معايير المحاكمات العادلة، كما تنتقص من حق المدانين في التقاضي؛ بأن ألغت درجة من درجات التقاضي، وهي محكمة النقض. كذلك فإن عقد المحاكمة داخل مجمع سجون بدر هو عصف باستقلالية القضاء، ودليل على جور السلطة التنفيذية على القضاء، كما أنها لا توفر للمتهمين الحق في التقاضي بشكل طبيعي أمام قاض طبيعي.

ولفتت المنظمات إلى أن المتهمين في تلك القضية تعرضوا لعدة انتهاكات؛ ما بين تعذيب بدني، وإخفاء قسري، والإهمال الطبي الذي أدى لتدهور صحي بالغ لعدد من المتهمين، وتدوير الاعتقال.

تعذيب واختفاء قسري

وزادت المنظمات في بيانها: حسب أوراق القضية، تعرض 14 من أصل 31 متهما للتعذيب الجسدي أو النفسي، وتنوعت طرق التعذيب ما بين الضرب

أحكام ضد حقوقيين ورسائل من السجن تتحدث عن انتهاكات

9 منظمات حقوقية تطالب السلطات بوقف تنفيذ الأحكام الصادرة في قضية التنسيقية

بالأيدي والأرجل بجميع أنحاء الجسد، والمنع من النوم والطعام وقضاء الحاجة لعدة أيام، واستخدام الصعق بالكهرباء، والصعق على مناطق حساسة بالجسد، كما كان التعليق لفترات مطولة بمسافة عن سطح الأرض أحد الوسائل المستخدمة عليهم.

وتابع البيان: تعرض 15 متهمًا بالقضية للاختفاء القسري والاحتجاز بمعزل عن محاميهم أو ذويهم بمكان غير معلوم منذ القبض عليهم، وتخطت مدة حبس 11 متهمًا المدة القانونية للحبس الاحتياطي والمقدرة بـ3 سنوات، كما تم وضع المتهمين جميعًا على قوائم الإرهاب، طبقًا للقانون رقم 8 لسنة 2015 ودون أي إدانة أو تحقيقات أو تقديم دفاع عن ذلك.

ودعت المنظمات السلطات في مصر لوقف استهداف المجتمع المدني المصري واستهداف المدافعين عن حقوق الإنسان وسجنهم بدون وجه حق، والسماح بتواجد الفضاء المدني في البلاد، وفتح حوار مع المنظمات الحقوقية والنشطاء بدلاً من استهدافهم.

كما شددت المنظمات في ختام بيانها على أن تلك الأحكام رسالة واضحة المعالم من السلطات المصرية للمجتمع الدولي بأن كل الأحاديث التي تدور حول الحوار الوطني الذي يشمل كافة أطراف المجتمع المصري، وتسهيل عمل المجتمع المدني في مصر، هي مجرد شعارات قضت عليها أحكام السجن الجائرة تلك.

رسائل من السجن

إلى ذلك توالت رسائل المعتقلين في مجمع سجون بدر بشأن الانتهاكات التي يتعرضون لها، في وقت نفت وزارة الداخلية المصري صحة الأنباء المتداولة عن الانتهاكات.

وحسب رسالة رابعة للمعتقلين: شهدت الفترة من 23 شباط /فبراير الماضي وحتى 4 آذار/مارس الجاري، أحداثًا متصاعدة حيث زادت حالات محاولات الانتحار اليومي بمعدل يتراوح بين 10 و13 حالة، تنوعت بين قطع الشرايين ومحاولات شنق وتناول عقاقير كثرتها تؤدي للوفاة، وكانت أخطر محاولة هي قيام المعتقل (محمود الصعيدي) بمحاولة الانتحار بذبح نفسه وتم حجزه في المركز الطبي في حالة حرجة.

وأكد المعتقلون في رسالتهم، أن إدارة السجن بقيادة ضابط الأمن الوطني يحيي زكريا أوقفت مفاوضاتها مع المندوبين عن المعتقلين كما اتخذت عدة إجراءات تصعيدية منها، وقف الدواء الدوري الذي يصرف لمرضى القلب والسكر، ومنع دخول الأدوية التي يرسلها الأهالي من الخارج بمعدل مرة كل شهر، ووقف كامل للكافيتريا وكانتين السجن وتقليل كميات الطعام الميري المصروفة وهي عبارة عن 50 غراما خضار مطبوخ و75 غراما أرز و75 غراما فول أو عدس ما أدى إلى ما يشبه المجاعة القاتلة داخل السجن لإجبار المعتقلين على الرضوخ لمطالب الإدارة بتأجيل مطالب الزيارة إلى أجل غير مسمى.

كما تضمنت الإجراءات التصعيدية، حسب الرسالة، وقف الخدمات الطبية للمعتقلين إلا للحالات التي تشرف على الموت أو التي قامت بالانتحار، وتهديد المعتقلين بشكل واضح بفض اعتراضهم بالقوة ونزع الغمايات الموجودة على كاميرات المراقبة داخل الزنازين، وفصل الكهرباء عن الزنازين إلا من لمبات الطوارئ فقط.

ولفت المعتقلون في رسالتهم، إلى أنهم بدأوا في تصعيد احتجاجهم بحرق بعض الأغطية وتعليق لافتات على الأبواب مكتوب عليها عبارات تؤكد على حقهم في الزيارة، فيما بدأ عدد منهم في الامتناع عن استلام التعيين مؤكدين على رفضهم لسياسة القتل البطيء التي يمارسها النظام المصري ضدهم في سجن بدر 3.

وأكد المعتقلون أن مطلبهم الوحيد هو فتح الزيارة لمعرفة أخبار أهاليهم وتشكيل لجنة تقصي حقائق دولية من خلال المفوضة السامية لحقوق الإنسان المجتمعة الآن في جنيف للوقوف على حقيقة ما يحدث في سجون الشرق الأوسط بدلاً من بيانات الشجب والإدانة خاصة وأنا عمليات محاولات الانتحار أصبحت ثقافة منتشرة بين المعتقلين.

ودعا المعتقلون وسائل الإعلام الجادة لنشر وفضح ممارسات النظام المصري ضدهم ودعمهم في الحصول على حقهم في الحرية ورؤية أهاليهم كما يطالبون المجتمع الدولي بوقف دعمهم للنظام المصري الذي يواصل انتهاكاته ضد حقوق الإنسان بما يخالف كل الأعراف والمواثيق الدولية التي وقعت عليها مصر.

وزادت مخاوف أهالي المعتقلين على حياة ذويهم، مع أول رسالة سربت من السجن في الثالث والعشرين من شباط/ فبراير الماضي، التي كشفت عن حجم الانتهاكات التي يتعرضون لها.

وتحدثت الرسالة عن محاولات انتحار شهدها السجن نتيجة الانتهاكات، إضافة إلى تنظيم عدد من السجناء إضرابا شاملا.

وتحدث المعتقلون في رسالتهم عن «تعنت شديد من إدارة سجن بدر3» تمثل في «عدم السماح للأهالي بزيارة ذويهم المعتقلين، الأمر الذي وصلت مدته إلى أكثر من 7 سنوات» إضافة إلى انتهاكات أخرى بحق المعتقلين، مثل، «عدم التريض بشكل كلي لكل المحبوسين سواء احتياطيا أو محكومين» كما إن «الوجبات المقررة ضعيفة جدا ولا تكفي لإطعام طفل صغير». ويضاف إلى كل ذلك «الحالة الصحية المتدهورة والمأساوية، وعدم وجود ماكينات للحلاقة أو شفرات مطلقا» حسب الرسالة.

الانتهاكات هذه دفعت المعتقلين إلى «فتح كل النظارات الخاصة بالأبواب الإلكترونية وغلق كل كاميرات المراقبة المتواجدة بكل الغرف ودخول قطاع 3، 4، في إضراب كلي».

وفي الرسائل التالية تحدث المعتقلون عن تسجيل 55 حالة انتحار خلال عشرة أيام داخل السجن، سواء بالشنق أو قطع الشرايين أو ابتلاع الأدوية وغيرها احتجاجًا على الانتهاكات التي يتعرضون لها.

ولفت السجناء في رسائلهم، إلى قيام إدارة السجن بمنع بتغريب «نقل» 50 معتقلًا يشاركون في الفعاليات إلى سجن بدر ١ وترحيل 200 معتقل محكومين في «قضايا النائب العام وحسم 1 وحسم 2 وكتائب حلوان» إلى سجون المنيا ووادي النطرون وبرج العرب وشديد جمصة.

الانتهاكات التي يشهدها السجن بحسب رسائل المعتقلين، دفعت منظمات حقوقية لإصدار بيان وصفت فيه مجمع سجون بدر بالنسخة الأشد قسوة وتنكيلا من سجن العقرب سيئ السمعة، وقالت إن هذه الممارسات الممنهجة وغير الإنسانية دفعت بعض المعتقلين إلى التخلص من حياتهم، وآخرين إلى الإضراب عن الطعام.

وطالبت المنظمات الحكومة المصرية، بالوقف الفوري لهذه الانتهاكات والتي تصنف جرائم تعذيب، والالتزام بسيادة القانون، وسرعة تشكيل لجنة تقصي حقائق من المنظمات المستقلة المصرية والدولية لزيارة السجن.

في المقابل، نفت وزارة الداخلية المصرية في بيان مقتضب نشرته على صفحته الرسمية على فيسبوك، وقوع انتهاكات في السجن، وقالت، إنه لا صحة لما تم تداوله في أحد القنوات التابعة لجماعة الإخوان بشأن وجود انتهاكات بأحد مراكز الإصلاح والتأهيل.

وأضافت: يأتي ذلك ضمن المحاولات اليائسة من الأبواق الإعلامية التابعة لجماعة الإخوان الإرهابية لمحاولة إثارة البلبلة بعد فقدانهم مصداقيتهم بأوساط الرأي العام.

وكانت السلطات المصرية سوقت لجمع سجون بدر الذي افتتح عام 2021 باعتباره سيكون نموذجا في توفير الرعاية الإنسانية والثقافية للمسجونين على الطراز الأمريكي، حسب تصريحات أطلقها الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي في أيلول/سبتمبر 2021.

ملف مصر الحقوقي

إلى ذلك ولأول مرة منذ 20 عاما، استعرضت لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة ملف مصر، وسط انتقادات دولية لاستمرار الانتهاكات الفادحة في البلاد.

حسام بهجت، مدير «المبادرة المصرية للحقوق الشخصية» قال في كلمته خلال الجلسة، إن «الحديث عن هذه الانتهاكات في مصر اليوم له ثمن».

وأضاف: «لقد قدمنا لكم إحاطة مماثلة منذ أكثر من عشرين عاماً في آخر مرة ناقشتم فيها الوضع في مصر عام 2002 ولكننا اليوم لا نستطيع المثول أمامكم لأسباب تتعلق مباشرة بوضع حقوق الإنسان في بلادنا».

وحسب قوله «تعرضت حركة حقوق الإنسان المستقلة، وعلى مدى أكثر من عقد لهجوم مستمر وغير مسبوق، فمنذ عام 2011 وبعد بضعة أسابيع من ثورة الشعب المصري ضد الديكتاتورية والفساد، استهدفت السلطات أبرز المدافعين عن حقوق الإنسان بإطلاق تحقيق جنائي لا يزال مفتوحاً».

المنع من السفر

وتحدث عن عدم قدرته المثول أمام اللجنة، وتوجيه كلمته عبر خاصية «الفيديو كونفرانس» بسبب منعه و17 مدافعا حقوقياً مستقلاً من مغادرة البلاد.

وزاد: «كواحد من هؤلاء المتهمين، فقد تم منعي من السفر للخارج منذ سبعة أعوام ودون أمد محدد، كما تم التحفظ على كافة ممتلكاتي الخاصة، كل ذلك على ذمة التحقيق في القضية 173 سيئة السمعة، كما يواجه ثلاثة زملاء آخرين من منظمتي نفسها إجراءات انتقامية مشابهة منذ 2020 بعد اتهامهم بالانضمام لجماعة محظورة بسبب عملنا على أوضاع السجون والعدالة الجنائية، وهم محمد بشير وكريم عنارة وياسر عبد الرازق».

وواصل: «بينما أتحدث إليكم، فإن زميلي الباحث باتريك زكي، يجلس الآن داخل قفص في محكمة أمن الدولة طوارئ، حيث يخضع لمحاكمة جنائية بتهمة نشر معلومات كاذبة، ضمن مقال كتبه حول أوضاع الأقباط في مصر، وهناك مدافع آخر لم يستطع أن يكون معنا اليوم، وهو المحامي الحقوقي البارز محمد الباقر، الذي ألقي القبض عليه في 2019 من داخل مبنى المحكمة وأثناء تقديم دفاعه عن سجين سياسي آخر، وحكمت عليه محكمة طوارئ استثنائية بالسجن أربعة أعوام بنفس تهمة نشر أخبار كاذبة حول السجناء السياسيين في مصر».

تضييق على الصحافة

وتناول بهجت في كلمته، «كيف يتم استهداف الصحافيين المستقلين» لافتا إلى أن «28 صحافياً على الأقل، يقبعون في السجون، ما يجعل من مصر أحد أسوأ بلدان العالم من حيث عدد الصحافيين في السجون، إضافة إلى حجب أكثر من 500 موقع إلكتروني بشكل غير قانوني، بما في ذلك جميع المواقع الصحافية المستقلة التي تجرؤ على انتقاد السلطات».

ومنذ أيام قررت السلطات إحالة ثلاث صحافيات في موقع مدى مصر، للمحاكمة الجنائية بموجب قانون الجريمة الإلكترونية الصادر عام 2018 بسبب تقرير خبري حول حزب الأغلبية الموالي للنظام حسب بهجت، الذي بين أن «السلطات قد حجبت منذ 2017 وبشكل غير قانوني، موقع مدى مصر الذي يعمل به، وهو أحد آخر المواقع الصحافية المستقلة المتبقية داخل مصر. وفي العام الماضي تم رفض طلبهم للحصول على تصريح بموجب قانون تنظيم الإعلام الجديد».

وبين أن «الهجوم المستمر على المنظمات الحقوقية، أسفر عن انكماش كبير في حجم الحركة الحقوقية المستقلة التي تميزت بالقوة والحيوية، حيث اضطرت أغلب المنظمات المستقلة لحل نفسها أو تجميد أنشطتها أو العمل من المنفى».

أما المنظمات المستقلة القليلة المتبقية داخل البلاد فإنها «مجبرة اليوم على الخضوع لقانون جديد للجمعيات الأهلية يمنح السلطات التنفيذية والأمنية حق التحكم الكامل والموافقة المسبقة على خططنا وأنشطتنا ومواردنا» طبقا للحقوقي المصري الذي اعتبر «هذه الأمثلة والكثير غيرها، لا تمثل فقط انتهاكات لحقوقنا الأساسية، بل إنها أيضاً تحد بشدة من قدرتنا على توثيق وكشف الانتهاكات وتقديم الدفاع والدعم لأعداد لا حصر لها من الضحايا».

وختم بأن مصر «تشهد اليوم أسوأ أزمة حقوقية في تاريخها، وتحتاج أكثر من أي وقت مضى لمجتمع مدني مستقل وصحافة حرة من أجل مواجهة تلك الأزمة».

تعرض 14 من أصل 31 متهما للتعذيب الجسدي أو النفسي

كتب

«فيلة سوداء بأحذية بيضاء» رواية الكاتبة المصرية سلوى بكر: الثنائيات المتضادة واستعادة الوعي

عادل ضرغام

يلحّ على قارئ رواية الكاتبة سلوى بكر «فيلة سوداء بأحذية بيضاء» أسئلة عديدة ترتبط بمداراتها الفكرية وحدودها المعرفية، وانفتاح هذه الحدود وتداخلها، وأهم هذه المدارات يتمثل في أثر السياق على الفرد، ومدى قدرته على المقاومة في ظل وجود سياقات خارجية ضاغطة، خاصة إذا كان كيانا يُمارس عليه نوع من القمع المؤسس تاريخيا، في محاولته لصنع وعي خاص قائم على الحرية والتفرد، وعلى تحديد طريق أو اتجاه للحركة دون وصاية أو استلاب من أحد.

هناك في ظل هذا الصراع تداخل بين حكاية الذات الأنثوية وحكاية الوطن، في فقدان الجزئيات واكتسابها، وكأن هناك وحدة تجمعهما، فليس هناك وجود فردي منعزل أو منفصل عن السياق العام، فكلاهما مشدود للآخر ومتأثر به، وإن كان مشهد النهاية يجعل ارتباط الرواية بالذاتي وبقسيمها الذي تنتمي إليه، ويجعل المدار النسوي أكثر حضورا، فالرواية في بنيتها بعيدا عن التأويل وثيقة الصلة بوعي أنثى في اكتسابها للمعارف ووعيها بذاتها، وتشظيها وتغييب صوتها في أحيان كثيرة، لتصل في النهاية إلى تكوين هوية قائمة على التحرر في الحركة والتوجه.

هذا التداخل بين الفردي النسوي والإطار العام للوطن يؤدي إلى تغريبة للبحث عن الإيقاع ومحاولة استعادته، ذلك الإيقاع الذي تحوّل إلى نشاز بالتعدد والتدابر والتباين على المستويين، فهناك إيقاعات متداخلة تشكل التباسا، وتشكل غيابا للطريق، بل تفتح طرقا متعارضة. الرواية تشكل سباحة ضد تيار جارف، يحتمي بالديني والسلطوي، فكأنها تعري نصاعته، وتشير إليه ضاغطة لتقيس حجم الاختلاف، وحجم الفقد، وحجم الابتعاد عن إيقاعاتنا القديمة، إيقاع البساطة والكفاف، والمتع الهائنة التي تشكل نهاية للسعي، ولو بشكل مؤقت. وتأتي اللقطة الأولى لتشكل مدخلا مهما لتلقي العمل، فتجلي العذراء ليس إكمالا لحكاية الفتاة، وإنما هي جزء أساسي من عطاء الرواية المعرفي، فالرواية بحث عن إيقاع ضاع داخل إيقاعات ملتبسة، فتجلي العذراء، وانتباه الجميع إليه (مسيحيين ومسلمين)، وإيمانهم بقدرتها إشارة لمكوّن أساسي داخل المصريين على امتداد العصور والأزمنة، يتمثل في قيمة المقدس، وقدرة هذا المقدس.

الثنائيات الضدية

في رواية سلوى بكر هناك اشتغال على الثنائيات المتضادة، سواء من خلال سيمياء الفقد أو التحول لدى بعض الشخصيات الأساسية في الرواية، أو من خلال المقارنات البسيطة التي تقاربها الرواية في بحثها عن إيقاعها القديم أو نفورها من الآني، حيث تتم معاينة جزئيات التحول الكاشفة، ولا يكفّ النص الروائي من الإلحاح إليها. فالثنائيات الضدية لها دور في قياس مساحة الابتعاد عن الإيقاع الخاص بالمصريين، فكل حركة أو توجه من هذه التوجهات له أثره في زحزحة المصريين عن إيقاعهم الممتد من الأزمنة القديمة.

لقد جعل ذلك الرواية مشدودة للسياسي والاجتماعي، وأحال الأبطال والشخصيات إلى مجرد أدوات لقياس درجة الاقتراب أو الابتعاد من إيقاع الانسجام، وجعل الشخصية الرئيسة (عفت) – نظرا لوظيفتها المراقبة والمؤطرة لوجهة النظر دون وجود وجهة نظر أخرى مباينة – أداة من أدوات المعاينة لمراقبة العالم داخل الحكاية بأفراده، والإشارة إلى تحولاته التي لا ترحم. وبقاء هذه الشخصية المراقبة متصدرة سلطة السرد من خلال المراقبة، يعطيها نوعا من الوجود الفائض غير المادي، فتتحوّل مشيرة إلى الجزء الصلب من تكوين المصريين الذي قد يختفي متواريا لأسباب عديدة، ولكنه يلحّ واضحا في اللحظات المفصلية، محافظا على خصوصيته من أية شوائب قد تعلق به، ارتباطا بتوجه خاص لفترة زمنية.

ووجود هذه الشوائب لا يعني استمرارها جزءا من مكونها الصلب، لأنها تراقب نفسها باستمرار، وتشير إلى غرابة هذا المكوّن، حتى لو امتدّ وجوده أو طالت هيمنته. فشخصية عفت هنا تمثل الوعي بالذات وحركة التاريخ، وأثرها في زلزلة الثبات، ووجود نوع من الابتعاد عن المكوّن الصلب للهوية. يتجلى ذلك واضحا حين تتوقف في إطار الثنائيات الضدية ومدارات التحول، في نقل الرواية لحديث البطل (حسام) – في ظل استحضاره خطابه الأول – عن الانحلال الأخلاقي الذي يجب أن يقابله ارتباط خاص بالدين تحت تأثير ارتباطه بشيخ من شيوخ النفط بوصف ذلك الارتباط عنوانا كاشفا عن المرحلة في جزئيات لافتة، من خلال تسويغ نقل العالم الغريب إلى السياق والبيئة المصرية، مثل إشارته أن تكون مادة الدين مادة رسوب ونجاح في كل مراحل التعليم، وإغلاق المحلات إجباريا وقت الصلاة.

الرواية باعتمادها على التواريخ المؤثرة تمثل محاولة جادة لمعاينة مساحات التبدل التي أصابت المجتمع نتيجة للسياسات المنحازة، ودخول نمط البداوة الصحراوي فاعلا، وما يتجاوب معهما من آثار سلبية في الابتعاد عن الوجه الحقيقي. وتقوم الشخصية الأساسية بعملية المعاينة والمقاربة وهي داخل النسق، موزّعة إلى إطار قديم مشدودة إليه، ومتمالئة لنسق تمارس وجودها داخله شدا وجذبا، وتفرق منه حنينا للسابق. فالرواية ليست معنية بإسدال الثنائيات الضدية بوصفها واقعا فعليا راصدا لمساحات التغيير والتبدل، ولكنها– فوق ذلك– تمارس نوعا من تفكيك هذا الخطاب من خلال تيار الوعي المرتبط بهواجس الذات واكتشافها الواعي لحدة المفارقة، فحين تبدّل قاموس حسام في رده على التليفون من (ألو) إلى (السلام عليكم) تقدم الرواية من خلال تيار الوعي رؤية تفكيكية لذلك الخطاب من خلال قولها (ولكن حضرته يستخدم عشرات الكلمات الأجنبية كل يوم، ويقول بانيو وأسانسير وتلفزيون).

والمتأمل للثنائيات المتضادة في هذه الرواية على اكتنازها وبساطتها البنائية يدرك أنها أخذت شكلا يمس كل تصاريف الحياة، بدأت من المأكل والملبس، ومرورا بالمتغيرات الخاصة بالقيم والأخلاق، وانتهاء بالنموذج الكاشف بوصفه شخصية حاضرة. فالرواية تلحّ على مجموعة من الأشياء التي يمكن أن تكون دالة على المقارنة بين الإيقاع وفقدان ذلك الإيقاع، والإيمان بالقيمة والجمال في مقابل الاستهلاك والقبح، لتشكل لنا مقابلة واضحة عن التباين الواضح بين نسقين وعصرين.

وإذا كانت الثنائيات المتضادة في الرواية شكلت سمة أساسية تمتد إلى عمق التكوين في مجمل البنيات المشكلة للمجتمع وطبقاته، وبالتوجه السياسي وانحيازاته، ولكن يمكن للمتلقي أن يعاين ذلك التقاطب الثنائي بشكل أكثر ثراء من خلال تأمل شخصية حسام، بوصفه نموذجا له هالة لدى الشخصية الأساسية في الرواية. ففي صوته أو صورته الأولى هناك اهتمام بالثورة ونماذجها الفكرية، وهناك تأسيس إطار معرفي خاص، يتجلى من خلال البعد عن النمط الديني المشبع بخرافات، فهو يخاطب عفت قبل أن تصبح زوجته: (عقبال ما تقودي مظاهرة... وتفردي صدرك للدنيا في أمور حقيقية.. يعني مسائل أكبر من العذراء والموالد).

استعادة الوعي

تبدو العناوين الكاشفة عن أحداث سياسية منطلقا مهما لمقاربة الرواية، ولمقاربة بناء الوعي الخاص بالبطلة التي تغادر حدودها المادية لتلتحم بنسق أكبر. فوضع 1968 في بداية الرواية يشير إلى دلالات فارقة ترتبط بالأفق السياسي المرتبط بالنكسة، بوصفها حدثا أفقد البشر اليقين، وثوابتهم وإيقاعهم، ليس على المستوى السياسي فقط، ولكن على المستوى الاجتماعي، خاصة في إجراءاتهم الدفاعية التي يتوسّل بها البشر للاستقواء على واقعهم. فحادثة تجلي العذراء– بوصفها الحدث الأساسي الذي تولدت من خلاله معظم الحكايا الجزئية الممتدة التي أصبحت عمودا أساسيا للرواية– تمثل آلية دفاعية للخروج من نفق الهزيمة، ومن الأسئلة التي تلح على الدوام للتبرير والتفسير.

فتعلق المصريين بالظهور والتجلي مسلمين ومسيحيين لا يحمل إلا بحثا عن يقين لا يتسرب إليه شك، حيث يحل بديلا عن اليقين المهتز المرتبط ببطولة كشفت عن عوارها الهزيمة، تقول الرواية (في الأعماق ولدى الجميع ظل الخلاص قرين المعجزة... كان ثمة آلاف من الناس وقتها يرغبون بحدوث خلاص ما). فمشهد التجلي في بداية الرواية ووضعه تحت عنوان زمني 1968 يبدو ذا دلالة مهمة خاصة إذا تمت مقارنته بمشهد الحلم الذي رأته الشخصية الرئيسة عفت في فصل بعنوان 1973، وفيه تقول الساردة: (إذ رأيت نفسي مع طنط لويزة في مولد العذراء، بينما حسام يقف بعيدا، ويلوح بالسوط الذي كان يحمله الهجانة وهو راكب على حصان يوم المظاهرات).

الرواية من خلال عنايتها بالتاريخ وبالحكاية الفردية تؤسس انفتاحا وتداخلا بين العام والخاص، فهي – أي التواريخ المثبتة– مؤطر للحركة الفردية، ومؤثر في تشكيل التوجهات سلبا أو إيجابا في سلوك البشر، وفي وجود نزوعات التحوّل والثبات. فقد صار حسام – بوصفه علامة على التبدل والتحول – ومن يشابهونه من المهندسين ومقاولي البناء سادة المرحلة وملوكها. وفي ظل هذا الوجود الثنائي الكاشف عن التباين بين الثبات والحركة يمكن قراءة مشهدين وردا في نص الرواية –نظرا لجدل العام والخاص– قراءة مغايرة تبتعد عن تجلي الحدث إلى آفاق أكثر رحابة، خاصة في ظل وجود مشابهة بين عفت وما تحيل إليه من معان تقربها من الارتباط بهالة من الرموز مشدودة إلى الروح المتأصلة التي تزيل ما علق بها من ظواهر ليست حقيقة.

وحين نعاين فكرة عدم الإنجاب تتأكد لنا التأويلات المفترضة أو المقترحة في كون الشخصية الرئيسة (عفت) لا تمثل وجودها المادي، بل تأخذ مدى يبدأ في النمو، ترتبط بالأثر الأساسي الممتد حيث يمكن أن تغيب بعض توجهاته تحت انحيازات مؤقتة لفترة من الفترات، تقمع فيها الروح، وينحسر الإيقاع، ولكنها تبقى منزوية لا تنتهي، لتطل في اللحظات المفصلية بحثا عن تجليها القديم، وبعيدا عن سجن الأيديولوجيات المتباينة من لحظة إلى أخرى.

فعدم الإنجاب يشير إلى جزئية الخروج، وهشاشة تأثيره الذي لا يطمس مشروعية التكوين المتنامي والمؤسس تاريخيا وحضاريا، ولكنه يؤكده على نحو خاص، فنحن لا نشعر بالإيقاع وهيمنته إلا من خلال هذا الخروج الجزئي الناتئ، لتتأسس العودة إليه مرة أخرى. يكشف عن ذلك مشهد النهاية الخاص بحتمية الانفصال، وحتمية ضرورة إزالة هذه التكوينات الهشّة التي تعكّر صفو الروح الدائمة في بساطتها، وفي بحثها الدائم عن إيقاعها في تمدده التاريخي، فلا هوية حقيقية إلا بالتصالح مع ذلك التاريخ، ومع روحه التي تظلّ هائمة متحدة مع الشخصية الرئيسة، ومنبهة إلى كل لحظة من لحظات الالتباس، تفقد فيها الروح انسجامها.

سلوى بكر: «فيلة سوداء بأحذية بيضاء»
دار دون، القاهرة 2022
127 صفحة.

«الأفق الأعلى» رواية الكاتبة السعودية فاطمة عبد الحميد: أشكال الحياة في الموت والنقصان

سارة سليم

يقول الكاتب السنغالي بوبكر بوريس ديوب في روايته «موراميي» كان حينها الموت يسبق الحياة. وهذه العبارة جعلتني أتوقف مليا عند شرح معنى الموت بالحياة، كيف يسبق الموت الحياة، وهل يمكن توقع الحياة دون توقع الموت، أم أن كلاهما مرتبط ببعض أو لربما بالفعل الموت يسبق الحياة.

لكن تبقى الحقيقة الأكيدة التي لا مفر منها أننا كلما نقترب من الموت، تنقص أعمارنا ويكبر حجمه داخلنا، حتى وإن لم نستوعب ذلك في غمرة الحياة، لذا يظل الهاجس الوحيد الذي يشغلنا ليس الخوف من المجهول، وإنما الخوف من الموت وحده، وكأنه المصير الوحيد الذي يدعو إلى الهلع. وما زاد من تعميق هوة هذا الشعور في أنفسنا هو مراسمه وليس الموت ذاته، فكيف نخاف من شيء لم نلمس بعد حقيقته، بل كل ما عرفناه عنه من الآخرين الذين سبقونا إليه، وتلك المعرفة تبقى سطحية لأننا لم نعرف كيف واجهوه وماهي مشاعرهم الأخيرة تجاهه، كل ما نعرفه هو لحظة مغادرتهم دنيانا، لذا يظل بالنسبة للكثيرين اللغز المحير.

فكيف لجسد كان يتغنى بالحياة، يصبح جثة هامدة دون حراك، وكيف من كان يظن أنه يستطيع فعل الكثير من الأشياء الإيجابية والسلبية يصبح في لحظة واحدة تحت التراب!

هذه التساؤلات وأخرى أعادتني لرواية «الأفق الأعلى» للكاتبة السعودية فاطمة عبد الحميد التي طرحت فيها فكرة الموت أو حاولت شرحه من وجهة نظر الموت نفسه.

ماذا لو تكلم الموت؟ ماذا تراه سيقول وهل يمكن أن يتجسد روائيا من خلال قراءة سيرة روائية متخيلة تقارب فكرة الحياة نفسها عنه، وإن نحن تحدثنا عن الحياة، فالأكيد نتحدث عن أنفسنا، كيف نرى الأشياء وكيف نتعامل مع الموت ولماذا دائما نرتعب حين يأتي أحد على ذكر سيرته؟ مع أنه عبارة عن نهاية وجودنا المادي على هذه الأرض، في حين أرواحنا ستنتقل إلى الرفيق الأعلى، وعلى الرغم من أن الحياة لا تعدنا أحيانا بما نحب، لكننا في المقابل نسعى جاهدين إلى أن نبقى فيها أكبر وقت ممكن، دون محاولة التفكير ولو لبرهة من الزمن في الأشياء التي قد تعترض طريقنا.

وهنا الكاتبة شرحت الموت أو نظرت إليه من زوايا أخرى قد لا نفكر فيها بالمرة، لكنها تعد أحد أشكاله الدنيوية القاسية، تقول الرواية: «كلُّ الأمور السَيّئةِ مِنْ حولنا مُقدّماتٌ للمَوت». وهي محقة تماما، لكننا لا نجرؤ على التفكير بذلك، لأن خوفنا منه هو في حقيقة الأمر خوفنا من نهاية وجودنا في الحياة، فرغبة الحياة وسحرها الذي لا يقاوم دائما ينتصر عند بني البشر ويتفوق على كل شيء، حتى وإن تقاطعت مساراتنا مع الموت بطرق أخرى أكثر قسوة من الموت الفعلي لكن لا نلقي لذلك بالا.

وهذا ما نستدل عليه من خلال علاقة سمر والجد سليمان التي يقودنا من خلالها الراوي أي الموت إلى الحديث عن سيرته في الحياة مع بشر لديهم الكثير من القصص المبتورة والأحلام المعطلة، قصص تعيد تتبع مسار الموت الفعلي وليس ما نعتقد أنه ذلك الذي يختم على جواز سفرنا إلى الآخرة.

فحين يزوجك أهلك في سن الطفولة بامرأة أكبر منك سنا هنا أنت جربت الموت بأكثر طرقه بشاعة، لأنك حرمت من حقك الطبيعي في أن تكون طفلا. وحين تحب في الوقت الخطأ الشخص الخطأ أنت أيضا جربت فكرة الموت، تجرب فكرة الموت أيضا حين تجتهد قدر الإمكان في أن تطيل عمرك بالحياة دون أن تفكر للحظة واحدة هل أنت فعلا تعيش اللحظة أو تستثمرها للتفكير في المستقبل الذي قد لا يكون مسايرا لتوقعاتك، أو كما عبرت عنها الكاتبة بقولها: «تربي عمرك ليطول». تقول الرواية على لسان الموت: «في البداية ظننتُها ستَشْخَطُ على هذا الأجَل غيْرِ المتوقّع مِنْ سَيِّدة تُرَبّي عمرها ليطولَ، كحالِ جميع الرِّياضِيِّينَ حينَ اللقطِ لأوْراحِهُم وهم في غُنْفُوانِ صِحّتِهم، فلا يأخُذُونَ مَسْألةَ حَتْمِيّةِ الموْتِ بهذِهِ البَساطَة.»

يعود مرة أخرى للقول: «لكنها كانت سَعيدة، وتلقّتْني بشغف يشبه حماسَ مُتسلقِي الجبال، إذا اقتربُوا من القمّة، بل تصَرّفتْ كروحٍ قديمة، مَلّتْ مِنْ كثْرةِ تنقُّلِها في أجساد جديدَة».

تذكّرت وأنا أقرأ «الأفق الأعلى» عبارة أحبها للكاتب الفرنسي جان دورميسون يقول فيها: «هناك شيءٌ أقوى بكثير من الموت، هو حضور الغائبين في ذاكرة الأحياء» لكن ماذا لو أعدت صياغة هذه العبارة بما يتناسب وموضوع الرواية، فالأكيد سوف أتساءل عن ذاكرة الموت بالنسبة للموت نفسه حين يحكيها روائيا من خلال تجاربه مع البشر التي لا نتطلع من خلالها على حكايات خارقة تقف عاجزين عن تصديقها، بل على حقائق لم نقف لمرة واحدة عندها لأنها ضمن ما نتداوله يوميا في حياتنا حتى تصبح مع الوقت أمرا نقوم به دون النظر فيه حتى، بمعنى يصبح الصح والخطأ متساويان في خط الحياة الذي نعتقد أنه يسير مستقيما. لذا يظل شغلنا الشاغل هو ذلك الخوف من مغادرة الحياة من باب الموت، هذا الباب الذي لا نجرؤ على طرقه أبدا، لكنه الباب الوحيد الذي لا يخطؤنا عندما يحين الأجل، تقول الرواية: «لا توجد في الموت أيُّ مصادفة، هكذا هو الأمرُ، فما يأتي إليك، يأتي إليك بأسمك شخصيًا، لكنَّ النّاسَ يأبَوْنَ التّصْديقَ، إذْ يرفُضُ الجميعُ هَذا النّوعَ مِنَ الألم، ألم وضْع النّقطة الدّاكنة في نهايةِ السّطرِ الأخيرِ مِنْ حياةِ أحدِهم، ويَصعُبُ عَليهم تحمُّلُه».

لم تشأ الكاتبة برأيي الخاص الحديث عن فكرة الموت كموت، ولكن الحديث عن تأثيره في الأحياء، أي نظرتهم له، لربما أكون مخطئة، لكن تفسيري للرواية قادني إلى هذا التأويل، تقول الرواية: «وصل أبناءُ سليمانَ مِنْ أحياءٍ مختلفَةٍ عَشِيّةَ تلكَ اللّيلة، وتعامَلوا مع الحدَثِ بنفْسِ الطّرقِ السّاذجةِ الّتي يتعامَلُ بها البشَرُ مَعَ لحْظةِ الموْتِ منْذُ آلافِ السّنين: أصْواتٌ مبحوحَةٌ تتلمّسُ غِيابَ صوْتِ الأمّ، وترتيباتٌ مملّةٌ للّحظاتِ العَزاء..»

ثم تعود مجددا للقول: «يمتدُّ المجرّبونَ التّكَتّلُ البشَريُّ أيّامَ العزاء، فذاك التّجمّعُ يمثّل عندهم دافعًا قويًا في مُواجهةِ الموتِ، وأضيفُ بدوري أنّ جَمْعةَ الأهلِ والأقارب، في مثلِ هذهِ الظّروف، تُقابَلُ باحترامٍ شديدٍ وسَطَ السّماء، خصوصًا إذا أبقَوْا أفواهَهُم مُغلقةً، للتّقليلِ مِنْ أخطائِهم.»

وفي عبارة أخرى تقول: «من قَبَضَ روح الجنين، لكنّكم لا تعتبرونه موتًا، لأنّكم ببساطةٍ ترون الموت نقيض الحياة.»

وهنا أوضحت الكاتبة فكرة أن الموت هو أحد أشكال الحياة وليس أبداً نقيضها بالمفهوم المتعارف عليه، لكنها في المقابل تلمح إلى أن الموت راحة، وهو جزء لا يتجزأ من حياتنا، بل من الحياة يأتي الموت، في الرواية عبارة أراها الأعمق في وصف الموت، تقول: «لمْ تُقاوِم الموتَ بالتّشبُّث بصَدْرِ زوْجِها أو بكتفه، ولمْ تُصْدِرْ أيَّ ضجيجٍ، حتّى إنّ الرّائيَ البعيدَ يظُنُّ أنّها مالَتْ لتستريحَ على الرّصيف».

وكوجهة نظر خاصة من منطلق تأويلي للعمل الذي قد يتوافق وما تريد الكاتبة قوله وقد لا يتوافق، أعتقد أن العمل ليس على لسان الموت لأن الموت هو شيء يفوق تخميناتنا عنه كبشر مهما اجتهدنا في تفسيره، ولكن في ما يبدو أن الكاتبة تحدثت عنه انطلاقا من الحياة نفسها.

من الأمور غير المحببة في الأعمال الأدبية بالنسبة لي هي تلك النهايات التقليدية التي تحصر أفق توقعات القارئ فيما تريد الكاتبة إيصاله، لا ما في تريد الرواية طرحه، وهذا ما لمسته في الأفق الأعلى. أيضا شعرت أنها تميل إلى الحديث عن الموت من منظور وعظي لا روائي محظ، وكأنها تخنق الرواية ولا تترك لها تلك الفسحة الرحبة التي يمنحها الأدب لنا، عدا ذلك فالأفق الأعلى هي رواية عن الإنسان قبل الموت، الإنسان الذي يحاول بشتى الطرق أن ينجز كل ما يحلم به، تطول أحلامه وتمتد عاليا لتتجاوز أفق توقعاته، لكنه ينسى أن يعيش اللحظة كما يفترض بها أن تعاش.

إنها أيضا رواية عن النقصان الذي يبدأ مع أول خسارة في حياتنا ليخلق مع الوقت فجوة يصعب سدها. ما يذكرني بعبارة قرأتها في رواية «1234» لبول أوستر يقول فيها: «الموتُ الصغير والموت الكبير، وبينهما عشر ثوان – أن تأتي وتمضي في مكانٍ من ثلاثة أنفاس.»

فاطمة عبد الحميد: «الأفق الأعلى»
دار مسكلياني، الشارقة 2022
229 صفحة.

المقال

زياد ماجد

في تحدّيات التطبيع السعودي الإيراني

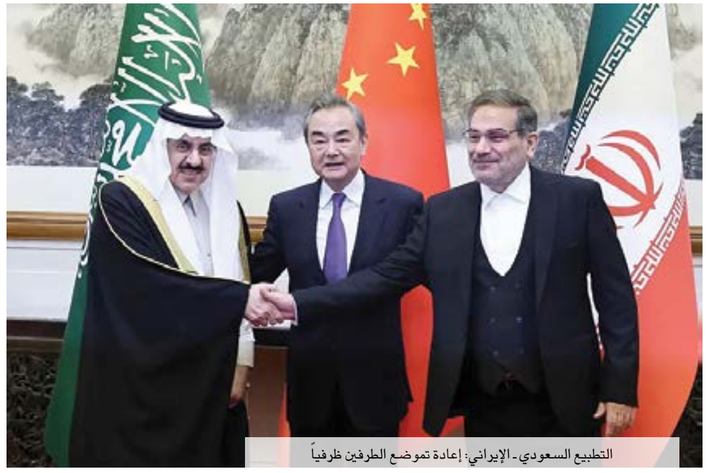

التطبيع السعودي ـ الإيراني: إعادة تموضع الطرفين ظرفياً

اتفقت السعودية وإيران، برعاية صينية، على استئناف العلاقات الديبلوماسية المنقطعة بينهما منذ العام 2016، وعلى التنسيق في الملفّات الإقليمية ذات الاهتمام الأمني والسياسي المشترك.

وإذا كان من المبكر التكهّن بما سيُفضي إليه الاتفاق ومساراته التفاوضية الشائكة على أكثر من جبهة أو صعيد، فإنه من الممكن التوقّف عند مجموعة أسباب أنتجته وذكر العديد من التحدّيات التي تنتظره في الأشهر المقبلة.

العقوبات وانعدام الثقة

لعلّ أبرز ما يمكن إيراده في معرض الحديث عن خلفية الاتفاق هو ما استجدّ منذ سنوات في منطقة الخليج وفي علاقتها مع الولايات المتحدة الأمريكية.

ففي الرياض، ثمة قناعة تترسّخ يوماً بعد يوم مفادها أن واشنطن لم تعد الحليف الأمين والراعي والحامي للحُكم السعودي واستقراره على النحو الذي كانته منذ الاتفاق الشهير في شباط/ فبراير 1945 بين الرئيس روزفلت والملك عبد العزيز على متن البارجة كوينسي وحتى بداية عهد الرئيس أوباما في كانون الثاني/يناير من العام 2009. ذلك أن الأخير آثر الإعلان تكراراً خلال حملته الانتخابية ثم تولّيه المسؤولية عن ضرورة إعادة النظر في السياسات الأمريكية في «الشرق الأوسط»، انكفاءً من العراق وتموضعاً إيجابياً تجاه إيران وتعديلاً لقواعد العلاقة مع السعودية. وتترجم ذلك بالفعل مفاوضات نوويةً مع طهران، وسحباً للقوات من العراق، وتراجعاً للصلات مع الرياض بالتزامن مع تراجع الارتكاز الأمريكي بالنفط الخليجي (وتراجع مخزون الأخير كما مخزون النفط عامة في العالم). وكان لاندلاع الثورات والانتفاضات العربية بموازاة ذلك، في تونس ومصر ثم في ليبيا واليمن والبحرين، وصولاً إلى سوريا، أن أربك الأمريكيين في توجّهاتهم الجديدة ووضع السعوديين في مأزق كبير. فواشنطن تخلّت سريعاً عن حليفين لها (وللسعودية) هما بن علي ومبارك (ولو أنها فاوضت السعوديّين في البلدين، وخاصة في مصر، على معالم المرحلة اللاحقة لسقوطهما). وتدخّلت في ليبيا بدفع فرنسي أوروبي لم تمانعه السعودية لإسقاط القذافي، ثم اكتفت بانتقاد سحق السلطات في المنامة بمساعدة سعودية مباشرة للانتفاضة في البحرين.

في المقابل، بدت الأمور بالنسبة للأمريكيين والسعوديين على حَد سواء أكثر تعقيداً في اليمن وسوريا. ففي الأولى، ثمة حدود برية حيوية مع السعودية، وثمة انقسامات داخلية قبلية وجهوية ومذهبية وسياسية لم يكن من الواضح ما قد ترسو عليه بعد «إقصاء» علي عبد الله صالح. وفي الثانية، ثمة تحالف وثيق مع إيران، وحدود مع إسرائيل والعراق وتركيا ولبنان وأسلحة كيماوية تُملي أولويات التعامل مع بشار الأسد في الكثير من العواصم في المنطقة والعالم. ثم هناك قطر، الصاعد دورها الإقليمي معزّزاً بتحالفها مع أنقرة، وبدور قناة الجزيرة العميق التأثير، وبقدرتها على التعامل مع تيار الإخوان المسلمين المتقدّم في أكثر من بلد. وهذه جميعها، تحدّيات تؤرق السعوديين وتسبّب «الإزعاج» للأمريكيين الذين لم يكونوا على استعداد للتعامل السريع والحاسم معها.

على أنها في نفس الوقت، دفعت واشنطن والرياض للتنسيق سورياً، كلٌ لأسبابها. واشنطن لخلق مظلة عربية – دولية تتيح حلاً تفاوضياً بعد إضعاف النظام لدفعه «لتبديل سلوكه»، والرياض لمواجهة النفوذ الإيراني هناك واستنزافه ميدانياً. لكن الاتفاق النووي الأمريكي الإيراني من جهة، وتمدّد تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» في العراق وسوريا وإعلانه الخلافة، والحرب الأمريكية عليه في البلدين من جهة ثانية، زعزعا التنسيق الأمريكي السعودي، وأظهرا حدود التفاهم الإقليمي بين واشنطن والرياض. ولم يتبدّل الأمر كثيراً رغم دعم أمريكا المحدود للتدخل العسكري السعودي في اليمن إثر سيطرة الحوثيين المسلّحين من إيران على الصالة في صنعاء واحتلالهم أجزاء واسعة من البلاد.

ومع بدء عهد دونالد ترامب، كانت الأحوال قد تغيّرت جذرياً في المنطقة. فروسيا تدخّلت عسكرياً في سوريا لإنقاذ النظام المتهالك، مستفيدة من السلوك الأمريكي المكتفي بقصف «داعش»، من دون الدفع الجدّي بالتزام مع ذلك، لإسقاط الأسد رغم استخدامه السلاح الكيماوي (خط أوباما الأحمر الوحيد). والثورتان المضادتان في مصر وليبيا بدعم إماراتي وسعودي كانتا قد أنهتا مفاعيل الثورتين هناك وأضعفتا تيار الإخوان المسلمين (المدعوم قطرياً) وأعادتا الأمور إلى سابق عهدها في القاهرة (مع قمع أوسع للمعارضين لحُكم عبد الفتاح السيسي) وإلى فوضى عارمة في الأراضي الليبية التي فشل فيها بناء حكم مركزي جديد. والحرب في اليمن تحوّلت إلى مستنقع للسعوديين وإلى تنافس مع الإماراتيين لبسط السيطرة على المناطق التي ضُرب الحوثيون فيها، مع بقاء الأخيرين ممسكين بالسلطة في صنعاء ومهدّدين دورياً لحقول النفط السعودية وليبعض المنشآت الإماراتية. وحزب الله الحليف الوثيق لإيران كان قد أمسك رسمياً بمفاتيح السلطة في لبنان عبر انتخاب ميشال عون رئيساً للجمهورية. وفوق ذلك، الأزمة مع قطر كانت قد أدّت إلى قطع معظم العلاقات الخليجية مع الدوحة والسعي السعودي–الإماراتي لعزلها...

والتعامل مع هذا كلّه لم يكن على أجندة الرئيس الأمريكي الجديد، الذي اكتفى بمقاربة المنطقة وفق معادلتين: إلغاء الاتفاق النووي مع إيران وفرض العقوبات عليها، ودفع الأنظمة العربية للتطبيع مع إسرائيل مقابل حمايتها أو الاعتراف ببعض مصالحها. وعلى الرغم من الارتياح السعودي للضغط الأمريكي المتجدّد على إيران، إلا أن الرياض التي صعد فيها نجم ولي العهد محمد بن سلمان حافظت على هامش مناورة عبر تأجيل التطبيع مع إسرائيل، وتفعيل التقارب مع روسيا والصين، وإظهار استقلالية نسبية عن واشنطن تأكيداً على استمرار الاعتراض على «الانعزالية» الأمريكية التي استهلّها أوباما ولم يشذّ ترامب كثيراً عنها رغم بعض التناقضات الموضعية مع سلفه والاختلاف في أسلوب الحكم وفي خصائص العلاقات مع «الحلفاء» و«الأعداء».

على أن وصول جو بايدن إلى البيت الأبيض العام 2021 أعطى السعوديين انطباعاً أن هناك عودة قوية «للسياسية الأوبامية» إلى واشنطن تؤكّد تقييمهم للتغيّر الحاصل في أمريكا تجاههم. وهذا ما دفعهم للتقارب الإضافي مع الصين، المتحوّلة إلى المنافس الوحيد لأمريكا، اقتصادياً بالتأكيد، وسياسياً أيضاً في بعض المناطق، في أفريقيا وفي منطقة الخليج تحديداً.

والأرجح أن الرغبة السعودية في «ابتزاز» الأمريكيين وفي إظهار استقلالية متزايدة عنهم زيّنت للحُكم في الرياض القبول بمبادرة صينية تُطلق مسار تصالح مع إيران سيشمل مفاوضات حول اليمن وسوريا ولبنان والعراق، وحول الطاقة وأسعارها وحول منع إسرائيل من استخدام الأجواء السعودية إن أرادت قصف المنشآت النووية الإيرانية.

إيران من جهتها، تواجه أحوالاً متناقضة منذ أكثر من عقد. فرغم تقدّمها في العراق بعد الغزو الأمريكي وإسقاط صدام حسين، ورغم سيطرتها على أجزاء من سوريا وعبر حزب الله على السلطة في لبنان، ورغم نجاحها في إدخال السعوديين في حرب طويلة في اليمن وتطويرها قدراتها العسكرية وبرنامجها النووي، إلا أنها ما زالت تعاني من متاعب اقتصادية جمّة، ومن عقوبات لم تكن فترة رفع بعضها الطبيعية! وهذا في ذاته دلالة على أنية الأمور، أو لنقل على إعادة تموضع الطرفين ظرفياً في انتظار تطوّرات حرب روسيا في أوكرانيا وأزمة الطاقة الكونية وتبعات الملف النووي وعلاقة بكين بواشنطن وانتخابات أمريكا الرئاسية المقبلة.

كاتب وأكاديمي لبنان

ويمكن اعتبار استمرار الحرب الروسية في أوكرانيا، وتصاعد العقوبات الدولية على موسكو بموازاة العقوبات على إيران نفسها، سبباً أساسياً دفع الأخيرة للمزيد من التنسيق مع الصين، والاتكال عليها لتصدير النفط والغاز، وللتبادل السلعي والتكنولوجي. وهذا بالطبع يمنح بكين القدرة على طلب «تنازلات» إيرانية إقليمية أو القبول بمبادرات تجاه أطراف مثل السعودية تعوّل الصين عليها أيضاً في مسائل الاقتصاد والأدوار الجيوستراتيجية في منطقة كانت «ملعباً خلفياً» أمريكياً غير بعيد عن أراضيها.

تحدّيات الملفات الشائكة

هكذا إذاً، تحوّل التوجّه نحو الصين والقبول بالمصالحة مع السعودية عنصر سعي إيراني لفكّ العزلة أو الطوق عن الاقتصاد، وعنصر ابتزاز سعودي لواشنطن وتخفيض للتوتر العسكري المكلف في اليمن. وأصبح مع ذلك وإضافة إليه عنصر تحدّ صيني جديد لسطوة أمريكا.

لكن المصالحة الإيرانية السعودية هذه (بعد جولات تفاوض في العراق وسلطنة عُمان خلال السنوات الثلاث الماضية)، ستلاقي في المقبل من الأشهر الكثير من الصعوبات. فإيران القوية ميدانياً في العراق واليمن ولبنان وسوريا، والمُنهكة اقتصادياً، والمقتربة من إنجاز مشروعها النووي (العسكري) وما يعنيه من تهديد بمواجهة مع إسرائيل، قد لا تقدّم أكثر من تجميد للصراع على حدود اليمن السعودية، مقابل رفض «التنازلات» في العراق وسوريا ولبنان التي لا تملك السعودية فيها أصلاً أي قدرة على تعديل موازين القوى. والثمن هو بالطبع منع إسرائيل من استخدام الأجواء السعودية عسكرياً، ووقف الحملات الإعلامية والتحريضية المتبادلة في المنطقة.

والسعودية من جهتها لا تستطيع الاكتفاء بتجييد الجبهة اليمنية إن كانت تزعم العودة إلى لعب دور إقليمي قيادي، تحضّر له منذ عامين عبر المصالحات مع قطر وتركيا والتميّز عن «التطرّف الإماراتي» (الآخذ بدوره بالتروّي منذ أشهر). فهي تحتاج للعب أدوار مؤثرة في ساحات التوتّر وتحتاج إلى حضور سياسي مستديم فيها، ليس من المؤكد أن تقبل إيران بحصوله.

لذلك، تبقى المصالحة على أهمّيتها للبلدين، منطلقاً لبعث رسائل باتجاه واشنطن أكثر منها تسوية لصراعات في بلدان منهكة بالكوارث الحربية والاقتصادية والطبيعية! وهذا في ذاته دلالة على آنية الأمور، أو لنقل على إعادة تموضع الطرفين ظرفياً في انتظار تطوّرات حرب روسيا في أوكرانيا وأزمة الطاقة الكونية وتبعات الملف النووي وعلاقة بكين بواشنطن وانتخابات أمريكا الرئاسية المقبلة.

كاتب وأكاديمي لبنان

رأي

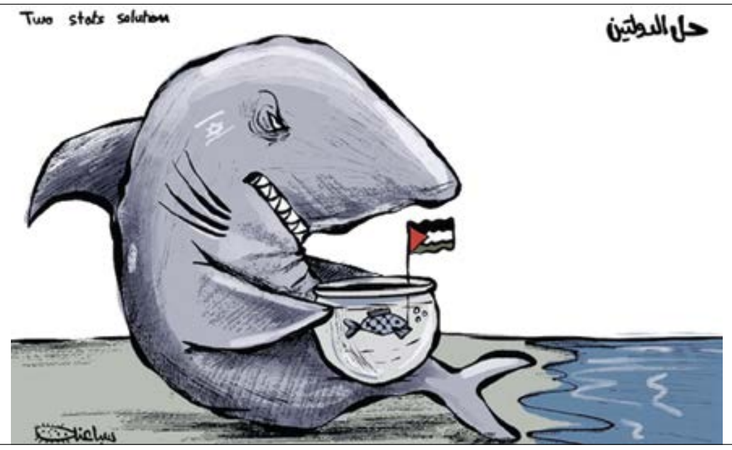

كاريكاتير: محمد سباعنة

نادية هناوي

المنصات وأعرافها

ظاهرة المنصات التي انبثقت في حياتنا الثقافية بعد الجائحة أقل ما يقال فيها إنها ظاهرة صحية جداً، وربما تدعونا إلى القول (ربَّ ضارة نافعة) إذ يتابع، من خلال هذه المنصات، جمهور واسع ومن أصقاع متباعدة في أرض الله الواسعة محاضرين مختصين في موضوعات مختلفة. يحاورهم فيها نخبة من المعنيين بذات الاختصاص أو من اختصاصات مجاورة، وجلّهم من الأكاديميين أو المثقفين المبدعين الذين يلتزمون بأعراف أكاديمية وثقافية عامة في تعاطيهم مع ميادين المعرفة المختلفة. ويتابعهم عادة من هو حريص على الفائدة ونهل المعرفة وإلا ما أفرد حيزاً من وقته لمتابعة مجريات المنصات سواء التي تتسم بطابع نخبوي أكاديمي أو التي تتسم بطابع عام وغير رسمي. ومن الأمور الضرورية والمشروطة التي بها تصل المنصات إلى غاياتها المرجوة؛ هو التزام حاضريها بأعراف محددة في التحاور وآداب التعقيب والتداخل المعهودة في الحضور والتفاعل سؤالا أو جوابا فتسود أجواء الحوار الهادف البناء مع سلامة النية، سواء اتفق الحاضرون أو اختلفوا.

إن أهمية المنصات أوجدتها جائحة كورونا فكانت خير أداة في مواجهة الحجر الصحي والتباعد الاجتماعي واستطاعت أن توصل بين المتقاطعين، وتقرّب بين المتباعدين مكانياً وزمانياً. وعلى الرغم من أن خطر الجائحة زال، والحياة عادت إلى طبيعتها بلا موانع أو احترازات، فإن بعض هذه المنصات بقيت لها أهميتها واصل القائمون عليها نشاطاتهم واستمر عملهم، نظرا لما فيه من فائدة سواء في اختزال الموارد أو استثمار أوقات الفراغ. والمؤسف أن المنصات الافتراضية وبعد مرور أكثر من ثلاث سنين تقريباً على بدء العمل بها ما زال كثيرون يجهلون ما ينبغي أن يكون لعملها من مناهج محددة وأعراف معروفة وسبل واضحة كي لا يستغلها بعضهم لأغراض خاصة، وكي لا تخضع لرغبات من ليسوا أكفاء لها، ليأخذوا من حق غيرهم ممن هم أجدى منهم وأغنى وأنفع ويهدروا وقت الذين يتابعونهم، وبعض منهم لديه التزامات وآخرون يعانون من مواءمة أوقاتهم المحلية مع أوقات المكان الذي منه تبث المنصة.

ومن الأعراف الواجب الالتزام بها الارتفاع عن حب الظهور والتعالم والتعالي، والنأي بالنفس عن التشهير والتجريح أو الاحراج؛ فذلك مكانه المقاهي والحانات أو الشوارع الموبوءة بالمنقلبين والمتنطعين. ثم ما ذنب الجمهور المتلقي وهو يجد نفسه أمام محاضر فارغ يجتر ما يقرأ وهكذا من دون مبالاة ولا مراعاة لشعور الحاضرين.

ومن الأعراف التي ينبغي أن تسود في المنصات لاسيما الثقافية منها، الغنى النوعي بالأفكار والمفاهيم التي تضيف لفكر المتلقين جديدا مع الرقي في التعامل المثمر وتقديم الزاد النافع والمقنع لا أن يأتي المنصة فلان وعلان ليقرأ نصوصه السردية أو المسرحية أو مقالاته الأدبية. فهذا أمر غير مستساغ ولا منطقي، ولقد ولّى ذلك العهد الذي فيه يقرأ الأديب نصوصه على مسامع جمهوره لأكثر من ساعة وبلا فواصل أو مداخلات. وإذا كان هذا الأمر غير لائق في قراءة النصوص الشعرية، فما بالنا إذا كانت القراءات لبحث من الأبحاث أو مسودات قصص أو نصوص مسرحية. ومن الأعراف أن تقدم المنصة أشخاصاً معلومة تجاربهم ولهم وزنهم ومعروف باعهم في ميدان تخصصهم أو الوسط الذي يعملون فيه. أما أن يأتي شخص بلا حضور إبداعي أو بإمكانيات ضعيفة أو ما زال على عتبة المضمار الذي يريد التخصص فيه ثم يحاضر على رؤوس الأشهاد وكأنه قضى دهرا في التخصص، فذلك ما لا نفع فيه ولا جدوى، بل هو الخواء والخسران وإهدار الوقت والجهد.

ما دفعني للتطرق إلى هذا الأمر الذي هو من البديهيات، ما رأيته وسمعته في إحدى المنصات الافتراضية وفيها حاضر أحدهم فأنهك الحاضرين بقراءة نصوصه وبمطبات انفلات النص من حاسوبه فضلا عن تضييعه موقع الإعدادت التي لا يعرف كيف يستخدمها بشكل صحيح.

إن للمنصات أسسها التي يعرفها من يريد أن يكون محاضرا فيها ومحورا من محاورها، فذلك هو الذي يحفظ للمنصات هيبتها ويؤكد أهميتها ويعزز ضرورات الاستمرار على المشاركة فيها والمتابعة لها. والتقيد بهذه الأعراف هو الذي يجعلنا نبارك مساعيها ونعزز دورها ونشد على أيدي القائمين عليها وندعو إلى انتشارها. أما أن تصبح المنصات جوفاء بلا أعراف ولا أسس ولا عطاءات نوعية فذلك ما يجعلنا ندعو إلى تقليص فاعلياتها والحد من انتشارها أو استمرارها لأنها صارت من سقط المتاع الذي يجب التصدي له وربما محاربته كي لا نقبل مثل هذا الاستخفاف بالمتلقين واستمراء الظهور الرخيص.

أقول إن الذي يحفظ للمنصة هيبتها هو تقديرها للجمهور لا لدوره كمشارك فاعل حسب، بل لانه عنصر مهم في التباري بين المنصات. وما يعزز هذا التباري هو استقدام مبدعين أكفاء ومحاضرين ذوي باع. وبوجود أساتذة ذوي اختصاص أو أكثر من اختصاص، يغتني الجمهور ويغدو متحفزا للتعقيب والتداخل والتفاعل معه والثناء بروح إيجابية. ولا نستبعد أن تشهد المنصات بسبب مشاعية الحضور في قسم منها خروج مئتلق من المتلقين بسلوك شاذ عن المناخ المعرفي الذي يسود المنصة على طريقة «خالف تعرف» فهذا وارد، ولكن وجود الاعراف يمنح مدير المنصة ضبط الاجواء وبما يجعل الفائدة عامة للجميع يضيف جديدا أو يطرح اختلافا موضوعيا.

إن الالتزام بأعراف المنصات أمر واجب لا ينبغي أن يغفل عنه أي محاضر نبيه، يدرك أن للمنصة طبيعتها ولها أغراضها، وعليه أن يسعى إلى تحقيقها لا أن يقوم بخرق الأعراف الأكاديمية للمنصة التي تستضيفه فيستطرد ويخرج عن الموضوع أو يوجّه المنصة لأغراضه الشخصية سياسيا أو شعاراتيا.

ومن غير اللائق أبدا أن يأتي المحاضر وهو لا يعرف كيف يستعمل إعدادات المنصة مستغلا وقت الحاضرين وظاهرا بمظهر المتعلم المبتدئ كما لا يجوز أن يستغل حضوره ليمارس سلوكيات أو يقوم بحركات غير لائقة كأن يظهر ماسكا – طيلة حديثه – سيكارته ودخانها الكثيف ينتشر في فضاء المكان الذي يجلس فيه محاولا أن يجعل – السيكارة– ترسم له صورة المتعالي الذي يراد هذا الشخص أن يوحي بها إلى رائيه؛ ومشاهد أخرى فيها يحصل التنابز والصلف وسلاطة الألسن مما قد لا نجدها سوى عند ثلة من الموتورين يمارسونها في بعض المقاهي التي قد لا يسلم من أذاها روادها الطيبون.

ويبقى لمدير الجلسة دوره المهم في حفظ الاحترام لمنصته، فإن رأى أمرا منبوذا أو خرقا أو مشاكسة قام بمهمته في إيقاف هذا الخرق، محافظا على مناخ الجلسة العلمي من دون أن يتهاون في السماح لأحد الحضور بالتمادي أو المغالاة كي لا يحرج المحاضر ويؤثر سلبا على سير الجلسة بل يوزع الدقائق بانتظام ما بين (المحاضر) و(المتداخلين) وبذلك يجري الحوار سلسا مفيدا.

إن هذه الممارسات النابية لو تكررت ستتفاقم السلبيات كما أن شيوع مثل هذه التصرفات داخل المنصات سيدفع المبدعين – أكاديميين وغير أكاديميين– إلى التردد في قبول دعوات المشاركة فيها. وتصبح المنصات من ثم عائقا في تطور هذه الفعاليات النافعة بدل أن تكون وسيلة مهمة في هذه المرحلة في التفاعل المعرفي وإشاعة الجمال وإغناء الثقافة.

ولمعالجة حال كهذه ينبغي أن يصار إلى وضع شروط صارمة لحضور المنصات ولائحة تعليمات ملزمة للسماح للمشاركة فيها، أما من يخرقها فليس لمدير الجلسة سوى أن يوقفه فورا أو حتى أن يخرجه من دائرته نهائيا، حفاظا على سلامة هذه المنصات واستمراريتها وأداء دورها المهم في رفد الثقافة الخاصة والعامة بزادها المعرفي المتنوع وحرصا على محاضريها ومتابعيها من عبث متصيدي الظهور والمتطفلين المتعالين والمتعالين.

ونُشيد في هذه المناسبة ببعض المنصات التي حققت لنفسها حضوراً واضحاً بسبب التزامها بالأعراف الأكاديمية سواء مع المحاضرين أو الجمهور فضلاً عن رجاحة ومهنية من يقومون عليها، وأغلبهم من المبدعين والأكاديميين من أصحاب الهمة والأناة والدربة.

كاتبة من العراق

ميلوني تؤكد عزمها على مكافحة الهجرة غير الشرعية

أكدت رئيسة الوزراء الإيطالية جورجيا ميلوني عزمها على مكافحة الهجرة غير الشرعية والمهربين اثر اجتماع حكومتها في جنوب البلاد حيث أدى غرق قارب مهاجرين إلى مقتل 72 شخصًا على الأقل في نهاية شباط/فبراير.

واستنكرت جورجيا ميلوني المأساة الإنسانية وأعربت عن دعمها لعائلات ضحايا غرق القارب، وانتقدت خصوصا «الإتجار بالبشر» قائلة إن «ردنا على ما حدث هو اتباع سياسة أكثر حزما».

وفتح القضاء تحقيقا حول تأخر وصول الإغاثة. وبحسب وكالة فرونتكس الأوروبية، رصدت إحدى طائراتها زورقا مكتظا مساء 25 شباط/فبراير انطلق في الأسبوع السابق من تركيا نحو إيطاليا وأبلغت السلطات الإيطالية.

وتظاهر عشرات المعارضين وسط انتشار كثيف لشرطة مكافحة الشغب احتجاجا على سياسة الهجرة التي تعتمدها الحكومة في وسط كوترو حيث اغلقت كل المتاجر احترازا. وكتب على لافتات «احموا الناس وليس الحدود» و «كان يمكن انقاذهم».

أدب وفنون

الحداثة الصوفية وتذكر النسيان

محمد الديهاجي

ليس من شك أن الحداثة بوصفها تجربة إنسانية هي ظاهرة قديمة قدم الإنسان. الحداثة بما هي روح وقيم موجودة في الحاضر كما في الماضي، والتي تَنكَرَ لها المتشبعون بالماديات، من دعاة الحداثة المعاصرة. ومن ضمن الحداثات التي نعثر عليها في تراثنا العربي الأصيل نذكر أساسا الحداثة الصوفية بامتداداتها المتعددة، التي تعرضت للتعسف الممنهج، والتجاهل والنسيان أو الثني، من قبل المؤسسة الثقافية المركزية.

في الأدب العربي، وفي الشّعر تحديدا، هناك الكثير من النّسيان والتجاهل والكبت، لأنّ القصيدة العربية قد حُدّدت شعريتُها، في عصر التدوين وما تلاه، انطلاقا مما أنجز في العصر الجاهلي تحديدا، وعطفا على ذلك، لأنّ اللّغة العربيّة تهندمت، بُعيد مجيء الإسـلام، بلُغة الوحي.

ولئن كـان نسـيان الذّنبي (تذكر النسيان)، فعلا ممنهجا، قام به الوعي المُؤسّس، باعتباره سلطة، خضعت للمؤسّسة الثّقافية الرّسمية، التي كان لها دورٌ رئيس في رسم خارطة طريق الشّعرية العربية، فإنّه، ليس من شك، أنّ هذه الرُّؤية ستُغذّي وتُقوّي أصولية/سلفية شعرية، كانت وما تزال إلى يومنا هذا، قدر الأمّة العربية.

مهما سلف، نعتشق استنتاجا صادما، مفاده أنّ أصل البويطيقا العربية تأسّس على التّصدّي الفادح لبسط الثّني، والعمل على طمره. بمعنى آخر، إنّ حضور هذه البويطيقا كان مرتهنا بنسيان الآخر الشّعري، الخارج عن منطق الإجماع، والمتمرد على كلّ أصولية شعرية، جعلت من الذّوكسا الشّعـري، كميثافيزيقا، في مواجهة جمالية الخرق والمخالفة.

الذّائقة العربية، لم تكن البتة في معزل عن هذا الشرط الفنّي المُستبد. فلما كانت الشعرية العربية، شعرية إجماع، فإنّ جمهور الشعر ظل يمجّ كلّ ما هو شاذّ أو منحرف عن السّياق، لأنّ العقلية العربية، كانت وما تزال، كما تبين، لا تطمئنّ سوى للإجماع، إلاّ فيما ندر. هكذا هي العقلية النكوصية، عقلية يُصيبها الرّهاب والفزع كلّما بانغتها الطارئ والمغاير، لتتحصن ضده بالانكماش والتكتّل حول الماضي أو ما قرّه الإجماع. وحتى الفعالية النقدية، التي تُعتبر قراءة عالمة ونموذجية، في حوزتها القدرة على التّشوُّف إلى ما هو أبعد من الحدود التي رست عندها الشعرية العربية، ظلت بدورها وفيّة لهذه القاعدة، مع بعض الاستثناءات.

ولأنّ الأصولية النقدية العربية، كانت تابعة لعقلية الإجماع، فقد تمّ القبْول ببعض التجارب الشعرية المعتبرة والمائزة، في مملكة الشعر، على مضض؛ في حين زُجّ بأُخرى جديرة بالرّعاية، في المهب. ألم يعتبر النُّقّاد شعر أبي تمام نوعا من الكساد الشعري؟ ألم يُتّهم أبو نوّاس بالشُّعوبية والتّآمر على المنظومة الخُلقية العربية؟ حدث هذا، فقط لأنّهما خرجا عن الإجماع، وتمرّدا على النظام الشعري المعطى. إنها رُؤية شعرية نكوصية للغاية. رؤية جعلت من نظام القصيدة الجاهلية مجدّدا أبديا للشّعرية العربية. منذ تلك اللّحظة، تحوّل هذا النّظام إلى ما يمكن تسميته، كما سلف، بالدُّوكسا الشّعري، الذي كان العلّة في هذه الفداحة.

ثمة إذن، في الشعرية العربية، الكثير من الانسداد، والكثير من الأسيجة والمتاريس، أقصد المعايير. هذا الأمر جعل جمهور الشعر العربي، يصاب منذ القدم بفوبيا التغاير. فالمختلف محدث، وكل محدث بدعة، وكل بدعة ضلالة. نجم عن هذا الأمر نسيان الوجه الآخر للشعر العربي، الذي كان بإمكانه أن يغير مجرى النهر الشعري العربي بدرجة أكثر انحرافا. والغريب في الأمر هو أن مبرر النسيان عند الأصولية/السلفية الشعرية يكمن في اختلاف المنسي ومغايرته للنسخة الأصلية. الشيء الذي يجعلنا نستنتج، حسب هذا المنطق، أن الاختلاف اغترابٌ ومنفى، في حين يصبح التماثل والتطابق، هو الأجدر والأحقّ، نظرا لقدرته على المحاكاة.

مصير الشعر الصوفي مثالا، لم يكن ليخرج عن هذا التفكير، إن شئتم التكفير، فقط لأن الصوفي يرى في الإنسان قدرة كبيرة على الخلق والإبداع، انطلاقا من مقولة (وحدة الوجود)؛ وعطفا على ذلك، لأن النص الصوفي خلق شعرية جديدة في معزل عن الشعر الموزون كما يقول أدونيس. لقد كتب أبو حيان التوحيدي، منذ زمن طويل، قائلا: «الصديق أنت إلا أنه بالشخص غيرك»، وهو بذلك يعلن تمرده على منطق الشبيه وإمبريالية النموذج. والبين من هذا القول أن الاختلاف، هو نوع من المسافة والبعد، حيث تتحقق الصداقة كما يقول موريس بلانشو. إنها رؤية مبدعة تُقوّض كل تطابق أو تشابه، منتصرة للمغايرة، تلك التي تؤسس للصداقة، وتنبذ كل اختلاف وحشي، وكل تنميط أو تحنيط.

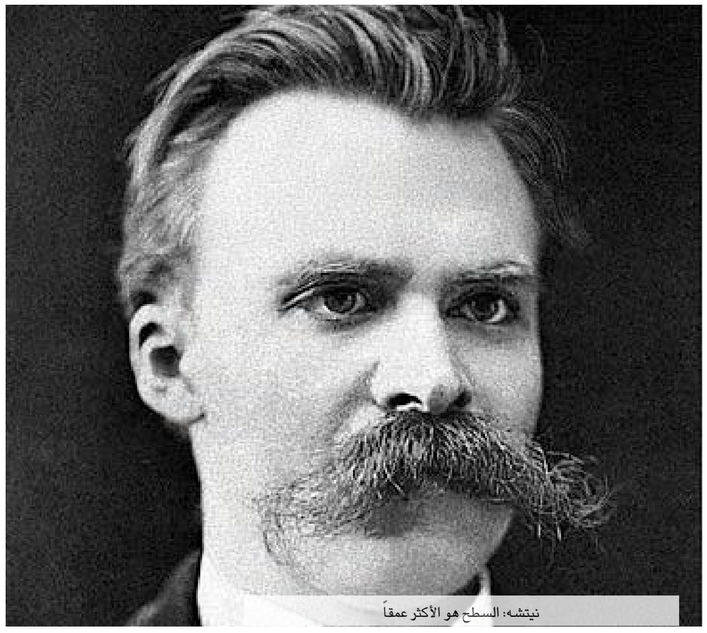
نيتشه: السطح هو الأكثر عمقاً

النفري هو واحد من الشعراء الصوفيين الذين طالهم النسيان. ولعلّ من بين الأسباب الرّئيسة الكامنة وراء هذا التّجاهل كون الكتابة عنده مُلغزة ومُرمزة، صعبة التّداول. وربما قد «يكون نتاج النّفري في لا تمركزه سببا في عدم انتشاره»(أدونيس). هكذا هي كتابة الهامش ، كتابة مستفزة، ومصيرها الإقصاء ، علما أنّ الهامش عند النظريّات الما بعدية، هو أكثر مركزية من المركز نفسه. فالسّطح بالنّسبة لنيتشه هو الأكثر عمقا، فقط لأنّ للسّطح عمقا وقاعا، فيما لا عمق ولا قاع للعمق.

واللاّفت في النّص النّفري هو فعل التّشظّي والانشطار، أو ما يمكن نعته بالكتابة البرزخية، القائمة بين النُّطق والصّمت، حيث قبر العقل، وقبور الأشياء، كما يقول هو بنفسه. إنّه نصّ يتحرّك «صامتا في نطقه، وناطقا في صمته»، الشيء الذي يجعل القارئ يقف على مسافة البين- بين حائرا، وكأنّ الرّيح تعصف به من تحته. هو إذن ، نصٌّ شذري مصابٌ، إلى حدّ كبير، بالشّك والتّردد ، لكأنّ مزاجه من مزاج الرّيح. نصٌّ «كُتب بأسلوب رُؤيوي مُعقد يُقلق النّص الصُّوفي الذي كُتب في القرن الرابع الهجري» (أدونيس). وسيتضح جليا، من خلال ما سيأتي، كيف أن النص النفري نصٌّ لا يُؤمن بالانتماء أو النموذج، بل يسعى أبدا إلى مغايرة أصله. يقول أدونيس «هكذا يبدو نص النفري قطيعة كاملة مع الموروث في مختلف أشكاله وتجلياته. وبهذه القطيعة، يُجدّد الطّاقة الإبداعية العربية، ويجدد اللغة الشعرية في آن. إنه يكتب التاريخ برؤيا القلب، ونشوة اللغة» (الشعرية العربية).

وليس من شك أن سبب التعقيد والغموض في الكتابة النّفرية يرجع إلى الصمت الذي يلفّ لغتها، علما أن قول ما لا يُقال يحتاج دائما وبالضرورة إلى أثر اللُّغة لا اللغة المعيارية. يقول قاسم محمد عباس في تقديمه لكتاب (النُّطق والصمت) للنفري: «يمكن أن نلمس ما تُضمره ثنائية التصريح والكتم في إخفاء هذا التصريح، أو تقنعه بمفهومي الرمز والصورة، تلك الإشكالية الأساسية التي يتوفر النفري على مفاصل معالجتها، وعلى آليات التعبير التي تنشدُّ إلى التجربة ولا تنفصل عنها».

صفوة القول إن الكتابة عند النفري وحدة بين الشّعرية والفكر، وبين التخيل والتأمل. إنها كتابة لا تُذعن لأيّ نموذج مسبق أو معياري. كتابة تغوص في أعماق النفس، لكي تستكشف الباطن والغيب بكثير من الشّك واللاّيقين. وكأن الصوفي، بقدر ما يعلم يقول: أعرف أني لا أعرف. والنفري، يُدرك، أكثر من غيره، أن الكلام عن هذه المجاهل، هي في حاجة إلى لغة تتفلّت، بجحود واثق، من المشترك. فاللغة هنا مغامرة لقول ما لا يُقال. لأجل ذلك عاد النفري باللغة إلى درجة الصّفر، أي إلى وضعها البدئي، وحالتها السّديمية، مُعلنا بذلك عن حوارٍ مسجور بالغموض والدّهشة بين النُّطق والصمت. إن الكتابة عند النفري كتابة قلقة ومُستفزّة باستجلائها الكامن والغامض. وهي بذلك تستثير عند القارئ العاشق، تأمُّلات متشعّبة، حول أسئلة متجذرة في الكينونة المسكوت عنها.

فما أحوجنا اليوم إلى تحرير حقيقي للمكبوت في شعرنا العربي، لأنّ في ذلك إظهارا للثني وبسطا له، إذ لا يمكن البتة تحرير الشعر العربي، الذي تعرض لكثير من النسيان والتهميش، خصوصا الحداثة الصوفية، إلا من خلال عملية الانكشاف بما هو بسط للثني بتعبير هايدغر.

معرض بانكسي في زيورخ:
الجدار العازل والغبن السوري

إسماعيل كرك

في ثمانينيات القرن العشرين كانت منطقة بارتون هيل في بريستول جزءاً مخيفًا من المدينة، حيث سكنتها غالبية من البيض ولم يكن هناك أكثر من ثلاث عائلات ذات أصول أفريقية ممن ينتمون إلى الطبقة العاملة ولم يكن مُرَحّباً بهم كغرباء، لذلك عندما قرر بانكسي الذهاب في أول «غـزوة» له هناك، كان متوتراً ومضطرباً حسب ما رواه لزميله فنان الغرافيتي والمؤلف فيليكس براون: «لقد تعرَّض والدي للضرب المبرح هناك عندما كان طفلا.» وقتها كان بانكسي يجرب العديد من الأسماء الحركية، وأحياناً يُوَقّع باسم روبن بانكس الذي سرعان ما تطور إلى بانكسي بعد أن استقر عليه باعتباره أسهل في الكتابة على الحائط. في هذا الوقت تقريباً، استقر أيضاً على أسلوب (استنسل) في الكتابة على الجدران وهو أسلوب سهل لأن الرسم به يعني استخدام ورق بلاستيكي شفاف يشبه ورق الأشعة السينية بحيث يكون كل ما على فنان الغرافيت فعله هو التلوين فقط، فهذا الأسلوب لا يتطلب موهبةً بالرسم، ولكنه يحتاج إلى تنسيق جيد للألوان بالإضافة إلى مهارة في استخدامها، لكن تقنية الاستنسل لها تاريخ إضافي بسبب استخدامها لبدء الثورات ووقف الحروب. من هذا الباب الكبير دخل بانكسي إلى عالم الغرافيت الذي غير حياته.

يُعتَبر شعـاره المميز «حـقـوق الطبع والنشر للخاسرين» عنواناً عريضاً لكل أعماله، فهو ناشطٌ منذ سنة 1990 لكنه وصل بعد ثلاث عشرة سنة إلى الشهرة عندما تجاوزت أعماله حدود سوق الفن وذلك منذ بداية مسيرته الفعلية سنة 2003. ليست له أية مقابلة إعلامية تُظهر تفاصيل وجهه، لكنه عَبَّر عن حضوره بهولوغرام أسود داكن يتحدث بصوت أجش غامض يتلوى في حلم مسوخ الهوية. إنه غامضٌ كما عالم اليوم، طويلٌ كصبر الشعوب، وقصير كمفتاح صغير يفتح حقائب الوقت المُهمَلة ليرى كل ما يجري.

خلال حياته المهنية، تأمل بانكسي وأعاد النظر في نقده للرأسمالية وللنزعة الاستهلاكية، وهذا بالفعل موضوع العديد من مطبوعاته ذات الإصـدار المحـدود: كعربات التسوق، والبـاركود، والتي تُستخدم على نطاق واسع كرموز للمادية التي تؤدي إلى تجاوزات الثقافات الغربية الحديثة على وسائل الإعلام المختلفة!

كما يُنظر إلى بانكسي تدريجياً على أنه ذروة فن الشارع الحديث، لأن قدرته على تلخيص قصة أو أسلوب تفكير في صورة والتشكيك فيها بشكل مثير للسخرية، خَلقتْ إشارات في جميع أنحاء العالم.

يكتب موقع آرت ستوري: «استطاع فنان الغرافيت الإنكليزي بانكسي أن يصبح أحد أشهر الفنانين في العالم، بينما ظَل مجهول الهوية نسبياً مع الحفاظ على وفائه لمعتقدات فن الشارع، فقد قام ببناء مجموعة أعمال مشهورة دائمة وغير دائمة، تَستخدم السخرية والتخريب، الفكاهة السوداء والمفارقة، لتمرير رسائل اجتماعية سياسية وإنسانية للجماهير على المستوى العام وأضحى أسلوبه مألوفاً عالمياً، وقد تأسس على جمالية حوَّلتْهُ من مجرد رجل بعلبة رذاذ إلى فنان مبدع للغاية».

في زيـوريـخ–أورليـكون يتم تقديم أعماله في بيئة مرحة ومبهجة تتكيف مع الموضوع، وتقفز أعماله فوق سطوح العالم، شوارعه وأزقته الفقيرة لترسل ذبذباتها المستمرة من خلال «ميكروفونات تشكيلية» رأسمالها ليلٌ، شارعٌ رئيسي أو ميترو أنفاق، وبوهيمية البخاخات ضد رياء الواقع وما اتُّفِقَ على تسميته بالوقائع!

لأول مـرة في سويسرا واعتباراً من 2023/02/24 وحـتـى 2023/05/31 تعرض الصالة 622b أكثر من 150عملاً فنياً من أعمال بانكسي في زيوريخ– أورليكون، فتُقدِّمُه صالة العرض كنجم شارع شهير بعنوان غرائبي مثير: «لغز بانكسي – عقل عبقري». ليعيد المعرض الكبير إنتاج رسوماته الغرافيتية والصور الفوتوغرافية، المنـحـوتـات، تركيبات الفيديو والمطبوعات على مواد مختلفة مثل القماش، النسيج، الألمنيوم، الفوركس، والبليكسيغلاس معاً وبطريقة مبتكرة.

عند الدخول إلى صالة العرض سيمر الزائر بطريق ملْتوية ليرى عامل الاستقبال قرداً ببزَّة وردِيَّة يقف على حقيبتَي سفر، ويحمل جرساً بيده اليمنى مشيراً إلى اسم فندق بانكسي أو «فندق الجدار العازل» وهو الفندق الذي أنشأه بانكسي قرب الجدار العازل على الحدود الفلسطينية الإسرائيلية في الضفة الغربية.

في مدخل المعرض وعلى الجهة اليمنى يقف عمل بانكسي «زيـارة تاريخية إلى فلسطين» التي تُظهر برج مراقبة من بقايا الحرب بمُفصَّلاته، وقد فتَحَ نوافذ «عينيه» ورُسِمَتْ قلوبٌ حُبٍّ وأزهـارٌ على جزئه السفلي بينما استمتع الأطفال بدورانهم الدائري كمركز جذب للمتعة، لتأتي عبارة بانكسي فتفضح هذا الزيف عندما يكتب أسفل الملصق عبـارةً بخط اليد تحت اللوحة: «الجيش الإسرائيلي يحبهم كثيراً لدرجة أنه لا يحبهم أبدا!».

في عمل آخـر على الجـانـب الأيسر في القاعة الأولى، وبحلقات طوق كبير مصنوع من الأسلاك الشائكة (رمز تقسيم القـدس)، يقف مُلصَق فلسطين والذي أنجزه بانكسي سنة 2018 وهو عبارة عن قطعة أخرى من«Walled Off Hotel فندق الجدار العازل، الذي يَظهر كمُلصَق إعلاني كلاسيكي يعود إلى خمسينيات القرن الماضي. في ذلك الوقت، كان شعار «زوروا فلسطين» جـزءاً من إعلانٍ حملة لتعزيز السياحة بنسخة بانكسي المُبتكرة!

على عكس الملصقات القديمة، لا تبدو المناظر الطبيعية جذابةً، حيث يَعْبُر عمل بانكسي إلى الضفة الغربية من خلال الجـداريـات على طـول حـائـط الفصل العـنـصـري، جـدار القـدس وبـيت لحم وعلى المباني المدمرة، إلى فندق في بيت لحم، ثم إلى حملة إعلانية تتضمن فيديو سياحياً يعلن بسخرية عـن فلسطين كوجهة «جـذابـة» للعالم الغربي! بعض الأعمال أُنتجَتْ في أوائل عام 2003 وتم رسمها مرة أُخرى من قبل فنانين آخرين.

من خـلال فنِّه يسلط بانكسي الضوء على مسألة الحرية ومعاناة الفلسطينيين من القمع العسكري الـذي يحدث تحت إشـراف العالم، فيمتد «الـجـدار العازل الإسرائيلي» على طول الخط الفاصل بين إسرائيل والضفة الغربية، ويمتد الجدار في الغالب إلى أمكنة أخرى تتقطع فيها السُّبل بالعائلات والمجتمعات وطرق التنقُّل. وعلى الرغم من أن الجدار العازل غير قانوني بموجب القانون الدولي– وفقًا لـمحكمة العدل الوطنية – يستمر البناء حتى يومنا هذا! خلال 21 عاماً، أي منذ بدأت إسرائيل في بناء الجدار العازل، استخدم الفنانون القادمون من عدة

لوحة قتال الوسائد

في الخلفية لوحة الفتاة والبالونة الحمراء

دول كسطح أبيض يرسمون عليه رؤاهم السياسية التي تُخَلِّدُ جـدران فلسطين المـقـاومـة والـتـي أصـبـحـت رمـزاً ناقلاً لرسائل الأمل، ويبدو الجدار العازل من جهة الجانب الفلسطيني وقد التفّتْ عليه الأسلاك الشائكة واخترقت طائرة حربية خريطة فلسطين وعبرت فوق ذلك الجدار لتلقي بحمولتها الثقيلة من القنابل على الأراضي الفلسطينية.

في القاعة الثانية من المعرض، تقف لوحة قتال الوسائد التي أنجزها بانكسي سنة 2017 ويظهر فيها شرطيٌّ حدود إسرائيلي بزيه العسكري وفلسطينيٌّ ثائر وهما يتشاجران بوسادتين داخل إحدى غرف فندق الجدار العازل، تلك الغرفة التي تُعتَبر أحد المعالم البارزة والمعروفة باسم «غرفة بانكسي»، حيث يُمضي الضيوف ليلتهم في سرير بحجم ملكي تحت أعماله الفنية.

في المعرض أيضاً، تقف لوحة «التغطية الإعلامية» والتي أنجزها بانكسي سنة 2006 ومن خلالها تتكرر صور الأطفال الفلسطينيين أثناء الحروب التي تشنها إسرائيل بقوتها التدميرية لينقل من خلال تلك اللوحة نفاق وسائل الإعلام بطريقة استفزازية للغاية، حيث تقف فتاة وحيدةً تنزف من أنفها وفمها في كومة من الأنقاض وتمسك يدها بإحكام بـ«دبدوبها» بينما يتم منع المسعفين من الاقتراب للمساعدة كيلا يشتتوا انتباه الصحافيين عن التركيز على المعاناة، فيضطر المشاهد إلى النظر إلى ما هو أبعد من ذلك فيظهر الإعلام ويتعامل بشكل مباشر مع الحرب والدمار!

المشهد الفلسطيني ليس بعيداً عمّا جرى في سوريا، ففي مقطع فيديو يصمم بانكسي تركيب فيديو حزيناً لطفلة سورية تمسك بخيط رقيق بالونا أحمر وتصعد إلى السماء بابتسامة بريئة بعد أن طبع بانكسي على خلفية غرافيتية بيضاء منقطة بنقط حمراء صغيرة، وبعبرية واضحة عبارة: «هناك دائماً أمل»، تتبعها دمعة ساخنة خائفة عندما يحل المساء وهي ترى بالونات حمراء أخرى، فتنظر إلـى الأسـفـل ويـتـزايـد خوفها وتنهمر دمعتها، تستأنس بطفل آخر يطير ببالون مماثل ليتبعها، يبتسمان لبعضهما لكنهما يطيران إلى أعلى وتلحق بهما أمّ وطفلها، ما تلبث بعدها أن تُغطّى الخلفية الغرافيتية البيضاء بأعداد هائلة من أمهات يصعدن مع أطفالهن إلى السماء بمشهد مُنَقَّط بالأحمر والأسود وتتخلل تركيب الفيديو عبارات مكتوبة بالإنكليزية عن الحرب في سوريا وإحصائيات الموت و الهجرة القسرية.

بانكسي شخصية فريدة من نوعها يفضل البـقـاء مـجـهـولاً لأنـه يعتقد أن رؤيته الفنية يجب ألا تتأثر بهويته، ومع ذلك يشعر الكثيرون بالحيرة من السمة المميزة للفنان، ويحاولون التعرف على اسمه الحقيقي بناء على الموقع الجغرافي لعمله، لأنه من غير المألوف أن يختار فنانو الشوارع البقاء مجهولين، فمن ناحية يجب أن نتذكر أنهم كثيرا ما يرسمون بشكل غير قانوني على الجدران من أجل إنشاء أعمالهم الفنية، ومن ناحية أخرى فَهُم يمارسون حريتهم التعبيرية، والتي غالبا ما يتغلغل فيها المشهد اليومي المرّ والذي يعتمد على مبادئ ثابتة تُمَيِّز بين القاتل والضحية ولا تفصل بين الفقير والمسروق.

تحقيقات

فرنسا تبحث عن مواقع نفوذ جديدة في أفريقيا بعد أن أضاعت شركاءها التقليديين

رئيس الكونغو يستقبل نظيره الفرنسي

باريس–«القدس العربي»: آدم جابر

عاد الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون ليلقي يوم الإثنين الماضي في قصر الإليزيه، خطاباً جديداً وُصف بـ«المهم» حول استراتيجية بلاده الدبلوماسية والعسكرية الجديدة حيال القارة السمراء، لاسيما مستعمراتها السابقة. خطابٌ، أتى في وقت يشهد فيه نفوذ باريس في القارة تراجعاً واضحاً وبشكل متزايد، مقابل تصاعد لنفوذ روسيا والصين. وجاء خطاب ماكرون هذا بعد خمسة أعوام وثلاثة أشهر على خطابه الشهير في واغادوغو عاصمة بوركينا فاسو يوم 28 تشرين الثاني/نوفمبر عام 2017 إلى الأفارقة والذي أعلن فيه عن عزمه طي صفحة ما يُعرف بسياسية «فرانس–أفريك» (فرنسا–أفريقيا) الموروثة من الحقبة الاستعمارية والتي شهدت تواطؤا سياسياً بين قيادات فرنسا وقيادات دول أفريقية تأخذ عليها شعوبها كثيرا من المآخذ منها تسخير جزء كبير من أموال الخزينة العامة لخدمة مصالحها الشخصية لا لخدمة هذه الشعوب.

خطاب الإليزيه الجديد حول أفريقيا

في مواجهة المنافسة الصينية–الروسية، بما في ذلك في مناطق نفوذ باريس التقليدية في أفريقيا، يسعى إيمانويل ماكرون إلى إحياء النفوذ الفرنسي في هذه القارة الواعدة اقتصادياً، بما في ذلك من خلال الرّهان على «القوة الناعمة» بدلاً من السياسة أو الجيش: أدوات النفوذ الفرنسي التقليدية في القارة الأفريقية. في هذا الإطار، أتى خطاب الإليزيه يوم الـ 27 شباط/فبراير عام 2023 حيث دعا إلى «علاقة جديدة متوازنة ومتبادلة ومسؤولة» مع دول القارة الأفريقية، رافضاً، في الوقت نفسه، أن تكون القارة الأفريقية مسرحاً لـ«المنافسة» الاستراتيجية التي يفرضها من «يستقرون في بعض البلدان مع جيوشهم ومرتزقتهم» على حد قوله، في إشارة إلى الوجود الروسي. كما رفض ساكن الإليزيه «قراءة شبكات من الماضي» موضحاً أن أفريقيا ليست «محفوفة بالمخاطر»، ومشدداً على ضرورة «انتقال فرنسا من منطق المساعدة إلى منطق الاستثمار» في علاقاتها مع الدول الأفريقية، قائلاً إن زمن الحديقة الخلفية لفرنسا في غرب أفريقيا انتهى، وداعياً إلى شراكات جديدة في القارة بعيدًا عن العلاقات المبهمة وعن دعم القادة الحاليين.

فشل دبلوماسية العمل العسكري

ماكرون، أعلن أيضا عن «خفض ملموس» مرتقب في عدد العسكريين الفرنسيين في أفريقيا و«نموذج جديد للشراكة» يتضمن «زيادة قوة» الأفارقة، واعداً «بزيادة الجهود من جانب فرنسا فيما يتعلق بالتدريب والمعدات». والحقيقة أشهر، تماماً كما حصل في مالي. ويبدو أن باريس «استسلمت لخسارتها، كما هو واضح من خلال التعاطي إزاء انسحاب القوات الفرنسية من مالي وبوركينافاسو، لأن المد الشعبي الذي هو أساس رفض وجودها هناك، أقوى منها ومن الأنظمة العسكرية الحاكمة في هذين البلدين، كما يقول الباحث في الشؤون الأفريقية محفوظ السّالك لـ«القدس العربي» مضيفا أنه «لذلك سعت فرنسا بدل مواجهة روسيا، إلى تحصين ما تبقى من نفوذ لها في المنطقة، وقد تجلى ذلك في استقبال ماكرون مؤخرا في الإليزيه رؤساء تشاد والنيجر والسنغال وكوت ديفوار، وهذه الدول جميعها محسوبة تقليدياً على فرنسا، التي تحافظ على حضور وازن فيها وعلاقات هامة معها».

من الغرب إلى الوسط

وسط مناخ عدم الثقة والمساعي الروسية لتجسيد بديل للنموذج الغربي الذي تجسده فرنسا في أفريقيا والنفوذ الاقتصادي المتزايد لدول كالصين وتركيا، حط الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون هذا الأسبوع الرحال في القارة السمراء، ضمن جولة إلى أربع دول تقع وسط أفريقيا هي الغابون وأنغولا والكونغو–برازافيل والكونغو الديمقراطية. اختيار ماكرون لزيارة هذه الدول الأربع، يستحضر، وفق الباحث محفوظ السالك خلفية التنافس مع روسيا، لأن ثلاثاً من هذه الدول رفضت مؤخرا التصويت على مشروع قرار أممي يطالب بانسحاب روسيا من أوكرانيا. كما أن الغابون التي شكلت أولى محطات الزيارة، انضمت قبل أشهر إلى منظمة الكومنولث، في إشارة إلى البحث عن بدائل لفرنسا. لكن، علاوة على ذلك، فإن زيارة هذه الدول الواقعة في وسط القارة الأفريقية تعكس، وفق الباحث في الشؤون الأفريقية، مساعي باريس إلى إيجاد منطقة نفوذ جديدة لها بالقارة وإيجاد شراكات لها خارج الفضاء غرب الأفريقي، بما في ذلك من خلال الاهتمام الآن بدول وسط أفريقيا، في ظل تضييق الخناق الروسي عليها في منطقة نفوذها التقليدية بالساحل وغرب أفريقيا. وذاك هو الحال بالنسبة إلى أنغولا. فالعلاقات التي تعتزم فرنسا تطويرها مع هذه المستعمرة السابقة الناطقة بالبرتغالية والمستقلة منذ عام 1975 ستوضح النهج الفرنسي الجديد للقارة، على غرار ما هو حاصل مع «دول محورية إقليمية» أخرى مثل إثيوبيا أو نيجيريا أو كينيا. وترى باريس أن هذه الدول يمكن أن تستجيب لطموحها الرامي إلى تنويع شراكاتها الواقعة خارج حديقتها الخلفية التاريخية، حيث تعرضت لانتكاسات سياسية ودبلوماسية.

في ليبرفيل، المحطة الأولى في جولة ماكرون عبر عدد من البلدان الأفريقية، شدد الرئيس الفرنسي أن بلاده اضحت «محاوراً محايداً في القارة أفريقيا، يتحدث إلى الجميع ولا يتمثل دوره في التدخل في المنازعات السياسية الداخلية» وإن عهد ما يعرف بـ«فرانس– أفريك» قد ولّى، علما أن لهذا المصلح دلالات سلبية، إذ يُستعمل لوصف العلاقات المعقّدة التي ربطت فرنسا بمستعمراتها السابقة بعد استقلالها. كما أوضح ماكرون، على صعيد آخر، أن إعادة تنظيم انتشار القوات الفرنسية في أفريقيا الذي تحدث عنه في خطابه بباريس الإثنين الماضي لا تشكّل «لا انسحابًا ولا فكّ ارتباط» معتبراً في الوقت نفسه أنه تبقى هناك احتياجات، ومشيرا في هذا الصدد إلى حوادث القرصنة البحرية في خليج غينيا والتنقيب غير الشرعي عن الذهب وجرائم «الإتجار بالمخدرات» التي تغذّيها «حركة إرهابية تنشط أيضا في منطقة بحيرة تشاد» في إشارة إلى تنظيمي بوكوحرام و«الدولة الإسلامية» في غرب أفريقيا. وتتعلّق إعادة التنظيم بالقواعد الفرنسية في ليبرفيل وأبيدجان وداكار، لكنها لا تشمل القاعدة الموجودة في جيبوتي والتي تتولى مهام أكثر ارتباطاً بالشراكات في المحيط الهندي.

جولة الرئيس الفرنسي هذه الوسط–أفريقية، قوبلت أيضا برفض من بعض الأوساط الغابونية، كما احتجت عليها بعض الأوساط الكونغولية. وبعد مظاهرات صغيرة هذا الأسبوع، أعلنت عشرات المنظمات غير الحكومية في الكونغو الديمقراطية أن الرئيس الفرنسي «غير مرحب به». ويعكس كل ذلك، حسب الباحث محفوظ السّالك «تمدد الرفض والامتعاض من السياسة الفرنسية في القارة الأفريقية». وهو رفضٌ، يمكن، وفق هذا الأخير، أن يتغير «إذا ما قدم الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بشكل ملموس، ما يجسد بالفعل طي صفحة منطق الحديقة الخلفية، وسياسة الأبوة والإخضاع، وفتح صفحة جديدة قوامها الشراكة والتعاون. حينها قد تغير فرنسا من صورتها وسمعتها في أفريقيا». وهذا ما سمعه ساكن الإليزيه من نظيره الكونغولي فيليكس تشيسيكيدي، خلال المؤتمر الصحافي الذي جمعه في كينشاسا يوم السبت المنصرم، حيث شدد رئيس كونغو الديمقراطية على ضرورة أن «برخان» ضد الجماعات الجهادية في البلاد ومنطقة الساحل. السيناريو المالي انتقل إلى بوركينا فاسو، المستعمَرة السابقة لفرنسا أيضا، ما بعد الانقلاب العسكري الأخير الذي شهدته. تمثلت آخر حلقات العداء الحاصل في إعلان الحكومة البوركينابية أو البوركينية هذا الأسبوع عن وقف العمل بـ«اتفاق المساعدة العسكرية» الموقع عام 1961 مع فرنسا، وذلك عقب بضعة أسابيع من مطالبتها القوات الفرنسية بمغادرة أراضيها في غضون شهر، وسط احتجاجات شعبية على هذا الوجود الفرنسي مستمرة منذ

متظاهرون ضد فرنسا في الكونغو

أنتوان جلاسر، معتبراً أيضاً أن الأفارقة باتوا يرفضون اليوم الاختيار بين هذا المعسكر أو ذاك في إشارة أساسا إلى نفوذ لها في القارة السمراء هي روسيا والصين وتركيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية التي نشطت دبلوماسيتها كثيرا في هذه القارة بعد وصول جو بايدن إلى البيت الأبيض في كانون الثاني/يناير عام 2021 لاسيما وأن «رؤساء الدول الأفريقية لديهم العالم كله في غرفة الانتظار الخاصة بهم الآن» حسب أنتوان جلاسر الذي يضيف في هذا الشأن فيقول: «لا ينبغي الاستهانة بعولة أفريقيا». غير أن الرئيس الفرنسي يواجه انتقادات متزايدة من الشباب الأفريقي بسبب علاقته واجتماعاته مع القادة الأفارقة الذين يعتبرون سلطويين. ويعد ذلك من التحديات الأفريقية التي تواجه ساكن الإليزيه. ففي الكونغو– برازافيل التي يحكمها دينيس ساسونغيسو بقبضة من حديد منذ نحو أربعة عقود، دعت منظمات حقوقية الرئيس الفرنسي إلى التطرق لمخاوفها، والضغط على مضيفه من أجل الإفراج عن الرئيس السابق لأركان الجيش الجنرال جان ماري ميشيل موكوكو والوزير السابق أندريه أوكومبي ساليسا اللذين سجنا بعد الانتخابات الرئاسية التي جرت عام 2016 والتي خسراها وطعنا في نتائجها. قبل جولته الأفريقية هذا الأسبوع، قام إيمانويل ماكرون بأخرى مماثلة شملت الكاميرون وبنين وغينيا بيساو، والتي جدد فيها ما جاء في خطاب واغادوغو الشهير عام 2017 بشأن عزمه على طي صفحة «فرانس–أفريك» التي طبعتها الكثير من العلاقات المضطربة ودعم حكام محليين مستبدين.

ضرورة إقران القول بالفعل

أمام كل هذه التحديات التي تواجه باريس اليوم في القارة الأفريقية، يرى محفوظ السالك، أنه يمكن لفرنسا تعزيز نفوذها، إذا انخرطت بشكل عملي في سياسة جديدة تقطع فيها مع السياسة الحالية التابعة بالأساس من الإرث الاستعماري، والهيمنة.. وقد تسهم – حسبه– السياسة الجديدة التي أعلنها إيمانويل ماكرون، في إذابة الجليد، وخلق مستوى من القبول الفرنسي، لأن تقليص القوات الفرنسية الذي يشكل أحد أسس هذه السياسة الجديدة، قد ينسجم مع التطلعات الشعبية الرافضة للوجود العسكري الفرنسي، إذا كان هذا التقليص سيقود في النهاية إلى الانسحاب العسكري الكلي، لأن الأفارقة يريدون من يقدم لهم السلاح والتكوين والتدريب، لا من يقاتل عنهم، لأن التجربة أثبتت عدم نجاعة ذلك. كما أن النقطة الثانية الجوهرية في السياسة الجديدة، والمتمثلة في تعزيز الشراكة والتعاون، تمثل جوهر ما يصبو إليه الأفارقة، ولكن ذلك قد لا يشكل نقطة قوة فرنسية، نتيجة لوجود منافسين أقوى منها كالصين والولايات المتحدة الأمريكية، وغيرهما. وإذا لم تتغير النظرة الفرنسية تجاه علاقاتها مع أفريقيا رأسا على عقب، فإن باريس ستواصل حصد الخيبات في القارة الأفريقية، وسيظل نفوذها في تراجع مستمر، لا أمام روسيا فحسب بل أيضا أمام عديد الشركاء الدوليين الآخرين، وفق محفوظ السالك. وثمة اليوم رأي يكاد أن يجمع عليه كل المتخصصين في الشأن الأفريقي ومفاده أن فرنسا فقدت كثيرا من مواقع نفوذها في القارة الأفريقية لأنها لم تُقرن القول بالفعل في سعيها المُعلن إلى التخلص من تركة شبكة «فرانس–أفريك». ومن هذه الثغرة دخل منافسوها في القارة الأفريقية وفي مقدمتهم الصينيون والروس والأتراك.

الجيش الفرنسي في رواندا

ميديا

اعتقال مدون تونسي بسبب مشاركته في برنامج على قناة «الجزيرة»

لندن – «القدس العربي»:

انتهى مدون تونسي معروف إلى السجن بسبب مشاركته في برنامج «ماخفي أعظم» الذي يقدمه الإعلامي تامر المسحال على قناة «الجزيرة» الفضائية، والذي أثار ضجة واسعة في تونس بسبب حلقته الأخيرة التي تطرقت إلى قضية انخراط تونسيين في جماعات إرهابية.

وأكدت مصادر حقوقية وإعلامية في تونس أن قوات الأمن اعتقلت المدون الصحبي العمري مساء الأربعاء الماضي وذلك على خلفية حديثه للبرنامج الذي بثته قناة «الجزيرة» مؤخرا.

والصحبي العمري هو مدوّن تونسي كان يعمل طبيباً، ودخل السجن قبل الثورة على نظام زين العابدين بن علي في العام 2011 بتهمة الانتماء إلى حركة النهضة، قبل أن يترك الحركة ويصبح واحداً من معارضيها. وخلال السجن تدهور وضعه الصحي، وبات عاجزاً عن الحركة ويتنقل على كرسي متحرك.

ويُعتبر العمري حالياً واحداً من المعارضين لسياسة الرئيس التونسي قيس سعيّد، إذ ينشر قضايا وملفات عدة على صفحته في «فيسبوك» يسلّط فيها الضوء على قضايا الفساد والتجاوزات في تونس حالياً. ونتيجة لما ينشره دخل السجن في تشرين الأول/أكتوبر 2021 ليعاد ويفرج عنه. ثمّ عادت محكمة تونسية وقضت بسجنه أربعة أشهر بسبب تدوينة نشرها على صفحته في «فيسبوك».

ويأتي اعتقال العمري في الوقت الذي تشهد فيه تونس حملة واسعة تستهدف الإعلاميين طالت مؤخراً نقيب الصحافيين التونسيين، محمد ياسين الجلاصي، كما طالت الحملة مدير إذاعة «موزاييك أف أم» نور الدين بوطار الذي اعتقل الشهر الماضي وأحيل إلى القضاء بتهمة «تبييض الأموال والإثراء غير المشروع» وقد اعتقل نور الدين بوطار مع تسع شخصيات سياسية، خلال حملة اطلقتها السلطات مطلع شباط/فبراير الماضي.

كما اقتحمت الشرطة التونسية الشهر الماضي مقر موقع «One tn» وألقت القبض على مديره أيمن العجمي وصحافيين وتقنيين، وحجزت حواسيبهم ومعدات عملهم.

وسجلت تونس تراجعاً حاداً العام الماضي في الحريات الصحافية في البلاد، حيث وضعتها منظمة «مراسلون بلا حدود» في المرتبة الـ94 على مستوى العالم من حيث الحريات الصحافية والإعلامية، بعد أن كانت في العام السابق، أي قبل إجراءات الرئيس قيس سعيد، عند المرتبة 73 على مستوى العالم، وكانت من بين أفضل الدول العربية.

وقالت «مراسلون بلا حدود» في أحدث تقاريرها إنه «كانت هناك تداعيات للأزمة السياسية التي تهز البلاد وما أظهره قيس سعيّد من التزام غامض تجاه حرية الصحافة. فمنذ وصوله إلى سدة الرئاسة في تشرين الأول/أكتوبر 2019 لم يعد قصر قرطاج يستقبل الصحافيين رغم الاحتجاجات التي رفعتها النقابة الوطنية للصحافيين التونسيين. وبينما لا يفصح أي منبر إعلامي عن انتماءاته السياسية علانية فإن اختيارات الضيوف وكيفية التعامل مع مواضيع معينة غالباً ما تكشف النقاب عن توجهاتها السياسية. هذا ويتجاهل العديد من مُلاك المؤسسات الإعلامية القاعدة التي تنص عليها الهيئة العليا المستقلة للاتصال السمعي البصري والقاضية بحظر الجمع بين المسؤوليات السياسية وامتلاك منبر إعلامي».

وأضاف التقرير: «تُعد حرية الصحافة من مكتسبات الثورة التونسية بشكل لا جدال فيه، إذ بالإضافة إلى كونها مكفولة بموجب دستور 2014 فإنها مؤطّرة قانوناً بمرسومين تم استصدارهما في عام 2011. ومع ذلك، لا يزال هذا الإطار التشريعي غير متكامل، إذ لا يوفر سوى الحد الأدنى من الحماية للصحافيين ووسائل الإعلام. وفي المقابل، يواصل القضاء التونسي إصدار أحكام على أساس النصوص الموروثة من عهد بن علي، بدلاً من الاستناد إلى تشريعات أكثر ملاءمة لحرية الصحافة والحق في الإعلام».

السجن تسع سنوات لناشط روسي بسبب قناة على «تيلغرام»

لندن – «القدس العربي»:

أصدرت محكمة روسية في موسكو الأسبوع الماضي قراراً بالسجن تسع سنوات ضد مؤسس قناة معارضة على شبكة «تليغرام» بتهمة «نشر معلومات كاذبة» عن الجيش، وفق ما أفادت وكالة الأنباء الروسية.

وأنشأ دميتري إيفانوف، وهو طالب سابق في الرياضيات وعلم التحكم الآلي يبلغ 23 عاماً في جامعة موسكو الحكومية، قناة تنتقد الحكومة على «تليغرام».

وحسب ما ورد فقد نشر إيفانوف منشورات تنتقد ما يطلق عليه الرئيس الروسي فلاديمير بوتين «عملية عسكرية روسية خاصة» في أوكرانيا.

وهذا الحكم هو الأحدث في سلسلة من الأحكام الصادرة بموجب قانون يقول منتقدوه إنّه مصمّم لتجريم معارضة التدخل الروسي.

ونقلت وكالة «تاس» للأنباء عن المكتب الإعلامي للمحكمة قوله إنّ محكمة في موسكو «دانت إيفانوف وحكمت عليه بالسجن 8 سنوات و6 أشهر». وكان المدّعون طلبوا حكماً بالسجن 9 سنوات.

ونقلت منصة «ميديازونا» الإخبارية المستقلة عن إيفانوف قوله أمام المحكمة: «يجب أن تفهموا أن روسيا ليست بوتين. عشرات الملايين من الروس يعارضون هذه الحرب الإجرامية».

وأضاف إيفانوف، الذي كان رهن الحبس الاحتياطي منذ حزيران/يونيو 2022: «هذه لحظة قاتمة في تاريخنا».

وأمضى الشاب العام الماضي عقوبتين قصيرتين بالسجن بتهم إدارية، بسبب منشورات على قناته في «تليغرام» بحسب «ميديازونا».

صحافي جزائري مهدد بالسجن بسبب مقال ساخر

لندن – «القدس العربي»:

بدأ القضاء الجزائري التحقيق مع كاتب وصحافي بسبب مقال صحافي أثار استياء عاماً في البلاد بعد أن وصف فيه سكان إحدى المناطق بأنهم «أبقار» و«خرفان». وطلب قاضي التحقيق من الصحافي سعد بو عقبة المثول أمامه في 13 آذار/مارس الحالي على خلفية المقال الساخر الذي أثار حفيظة بعض السكان.

وقالت وسائل إعلام جزائرية إن بو عقبة يخضع منذ السادس من شباط/فبراير الماضي لرقابة قضائية، كما أن السلطات فرضت عليه منعاً من السفر إلى حين محاكمته عن تهمتي «عرض منشورات من شأنها المساس بالمصلحة الوطنية» و«التحريض على الكراهية» استنادا إلى قانون صدر في نيسان/إبريل 2021.

واعتقلت الشرطة الجزائرية بوعقبة الشهر الماضي لمدة يومين، بعد رفع جمعيات أهلية في ولاية الجلفة، وسط الجزائر، شكوى ضده، عقب نشره في صحيفة المدار التي تدار من لندن مقالاً اعتبر مسيئاً، إذ نعت السكان بأنهم «خرفان سياسية تمت ترقيتها إلى حجم أبقار سياسية» خلال حديثه عن قرار السلطات إنجاز مشروع لتربية الأبقار في البيرين (إحدى مناطق الولاية).

ونشر بو عقبة لاحقاً مقالاً اعتذر فيه من سكان الولاية، وقال إنه أسيء فهمه.

وبو عقبة من أشهر الصحافيين في الجزائر، بفضل عموده «نقطة نظام» الذي اعتاد كتابته منذ أربعة عقود، حيث تعرض للسجن عام 1992 بسبب موقفه من توقيف المسار الانتخابي من قبل الجيش، ويعرف بمقالاته التي تنتقد السلطة والحكومة. ويعبر في الفترة الأخيرة عن مواقف معارضة لسياسات الرئيس عبد المجيد تبون.

تسهيل منح الجنسية المصرية مقابل المال يثير الجدل: هل يجلب الدولارات؟

لندن – «القدس العربي»:

أثارت التعديلات الجديدة على قانون الجنسية المصرية موجة جديدة من الجدل في أوساط المصريين الذين انتقد أغلبهم تسهيل الحصول عليها مقابل مبلغ من المال اعتبره البعض متواضعاً، بينما تساءل آخرون عما إذا كان هناك من يقبل بدفع هذا المبلغ مقابل الحصول على الجنسية في الوقت الذي يعاني فيه المصريون الأصليون من أوضاع صعبة.

وفي الوقت الذي خفضت فيه الحكومة المصرية المبلغ المطلوب من المستثمرين للحصول على الجنسية، قررت رفع رسوم استخراج جواز السفر للمصريين، وذلك في الوقت الذي تعاني منه الدولة المصرية من أزمة مالية خانقة أدت إلى تراجع حاد في سعر الصرف العملة المحلية.

وأعلنت الحكومة المصرية يوم الأربعاء الماضي تعديلات تتعلق بالشروط والإجراءات التي تتيح للأجانب الحصول على الجنسية المصرية مقابل استثمارات عقارية أو تجارية أو ودائع دولارية، حيث تقرر تسهيل إجراءات الحصول على الجنسية، وتتضمن التعديلات إمكانية الحصول على الجنسية مقابل إيداع مبلغ 250 ألف دولار أمريكي لصالح الخزانة العامة لا تسترد، كما أجاز القرار الجديد تقسيط المبلغ على مدار سنة بدلاً من دفعه مرة واحدة. كما تم تخفيض مبلغ الوديعة المباشرة لطلب الجنسية من مليون دولار كوديعة لمدة ثلاث سنوات إلى 500 ألف دولار تسترد بعدها بسعر الصرف المعلن ومن دون فوائد.

في المقابل أصدر وزير الداخلية قراراً بزيادة رسوم استخراج جواز السفر إلى 1560 جنيهاً (ما يعادل 50 دولارا) مقسمة بواقع: 505 جنيهات مقابل رسوم استخراج الجواز المقروء آلياً وإصداره وطباعته وعلامات تأمينه، و300 جنيه مقابل وثيقة التأمين الإجبارية، و755 جنيهاً مقابل رسوم طلب استخراج جواز سفر بدل فاقد أو تالف.

وأثار تسهيل الحصول على الجنسية المصرية موجة من الجدل في أوساط المصريين الذين انتقد بعضهم القرار، بينما اعتبر آخرون أنه مناسب، فيما استبعد البعض الآخر أن ينجح في استقطاب العملة الأجنبية إلى البلاد.

وكتب المحامي خالد أبو بكر مغرداً على «تويتر»يقول: «سأظل دائماً ضد منح الجنسية المصرية مقابل أموال. يكفي لأي مستثمر أن نمنحه الاقامة الدائمة هو وأسرته. المصريون أصل واحد وعرق واحد والمساس بهذه الهوية أمر لو تعلمون عظيم».

ورد الصحافي والكاتب المعروف عبد الواحد عاشور على المحامي أبو بكر قائلاً: (المصريون أصل واحد وعرق واحد).. هذا كلام لا يصدر إلا عن جاهل، فلا يوجد شعب نقي ولا عرق نقي، هذا كلام عنصري يناقض المنطق والتاريخ، فمصر دولة مر عليها كل أجناس الأرض (محتلون وزائرون ومهاجرون عبر التاريخ) وهضمت الجميع وأخرجت ذلك الشعب العظيم بتنوعه الفريد من كل أجناس الأرض».

وأبدى عاشور تأييده للقرار، وكتب في تغريدة ثانية يقول: «أعرف أن قرار تسهيل منح الجنسية المصرية سيثير قريحة (الحنجوري) تحت شعارات الوطنية، رغم أن العالم كله يفعل ذلك وبشروط ميسرة أكثر، لذلك أتمنى على الحكومة تيسير الشروط أكثر لتكون مصر (أم الدنيا) منافسة للذين سبقونا بمراحل في هذا الصدد.. العولة تعرف المنافسة ولا تعرف شعارات عفا عليها الزمن».

وذهب الدكتور يحيى غنيم إلى ما هو أبعد من أزمة العملة الصعبة، وكتب مغرداً: «المقصود ببيع الجنسية المصرية تصيير عدد كبير من الصهاينة، حتى يصبح لهم الحق في التملك والبيع والشراء لأصول مصر كمصريين وليسوا كأجانب.. أصبحت مصر ياسادة كلاً مباحًا: أرضها وماؤها وهواؤها وإنسانها كذلك.. عندما يتحول حماة الأوطان إلى لصوص مارقين».

وكتب الصحافي والحقوقي حسام بهجت معلقا: «من اليوم الحكومة تسمح للأجانب بشراء الجنسية المصرية في حالة:

–1 دفع 250 ألف دولار للخزانة العامة لا ترد أو.

–2 إيداع 500 ألف دولار في البنك المركزي تسترد بعد 3 سنين أو.

–3 شراء أي عقار مملوك للدولة ب300 ألف دولار أو.

–4 دفع 100 ألف دولار لا ترد+ استثمار 350 ألف دولار في مصر».

وعلق الإعلامي المصري المعارض محمد ناصر: «قرار وزاري جديد بتعديل شروط الحصول على الجنسية المصرية لحثّ المستثمرين الأجانب على ضخ العملة الصعبة وتحسين الوضع الاقتصادي المصري.. السؤال الحقيقي هنا، هل الحصول على الجنسية المصرية مهم ومفيد للمستثمر الأجنبي؟!».

وكتب الإعلامي أسامة جاويش معلقاً على القرار: «عندي سؤال: هو الشخص العاقل اللي هيدفع ربع مليون دولار عشان يحصل على الجنسية المصرية هيستفيد ايه؟ يعني هيضيفوه على بطاقة التموين؟ هيعفوه من الضرايب اللي بتوفر 77 في المئة من الموازنة؟ هيستثنوه من رسوم ممشى مصر وكارتة الطرق؟ هيدخل كام بلد بالباسبور المصري؟».

وغرد الناشط الخليجي الدكتور سلطان الحربي ساخراً: «أفكّر في شراء الجنسية المصرية ثم الترشّح لرئاسة الجمهورية.. بماذا تنصحوني؟».

وعلق المحامي المصري عمرو عبد الهادي: «طالما الجيش فتح بيع الجنسية بـ250 ألف تقسيط، ياريت كمان تتيحوا للمصريين يبيعوا جنسياتهم عشان يقدروا ياكلو ويشربوا والا النظام لما يبيع يبقى حلال ووطنية واستثمار ولما الغلبان يبيعها يبقى خاين وعميل ولازم يتحاكم؟!.. عادي المصري يبيع جنسية ويعيش في مصر بدون يمكن ساعتها ياخد حقوقه».

ونشر مغرد يُدعى محمود المصري مقطع فيديو ويظهر فيه أحد المواطنين شاكياً من رجال الشرطة وهو يقف بالقرب منهم، وكتب معلقاً بسخرية: «الناس اللي بتسأل ايه مميّزات الجنسيه المصريه أحب أقولك دي ابسط المميزات».

وغرد الناشط أحمد بحيري قائلاً: «الجيش زي ما احتكر الاقتصاد.. احتكر كمان بيع الجنسية.. هو بس اللي يبيع جنسيات تقفيل مصالح حربية.. لكن مافي مدني من حقه يبيع جنسيته حتى لو كانت استعمال طبيب».

وغردت داليا زيادة: «الجنسية المصرية مش مجرد صفة. المصريين مصريين من قبل ما يكون فيه تاريخ وجغرافيا. المصريين ممكن يختلفوا على أي شيء، حتى الهوية الدينية لكن عمرهم ما اختلفوا على هويتهم المصرية. مؤلم جداً بعد كل ده تشوف الجنسية المصرية معروضة للبيع بكام دولار».

وكتب مغرد يطلق على نفسه اسم «الامبابي» يقول: «سيادة الرئيس كيف يأتي علينا زمان ونبيع الجنسية المصرية؟ هل نبيع موطننا أم تقارنون المواطن المصري صاحب الحضاره والتاريخ بمواطن من جزر الموز. كفانا عبث بأم الدنيا، لم أرَ في عمري أسوء من هذا العصر، رغم البناء والتطور والبنية التحتية ولكن اليأس تسلل إلينا منكم جميعاً بلا استثناء».

وكتب آخر: «بيع الجنسية المصرية بمبلغ دولاري لعلاج الافلاس لن يفيد ولن يتقدم أحد للحصول على الجنسية عديمة الجدوى ولو وضعنا قوانين استثمار اكثر يسرا لكان افضل بدلا من ابتكار اساليب عشوائية للجباية».

وكتب أحد المعلقين: «لا يوجد أي مشكلة في منح الجنسية المصرية للمستثمرين، هذا نظام مطبق تقريباً في كل الدنيا، يبقى الاختلاف في كم المبلغ اللازم استثماره حسب كل دولة، المشكلة في مصر انه جاء من حكومة تبيع كل شيء، ورئيسها نفسه عرض للبيع على إي باي، المشكلة ان يتم الموضوع في اللا دولة».

يشار إلى أن عشرات وربما مئات المصريين يتنازلون عن جنسيتهم سنوياً بهدف الحصول على جنسية أجنبية، حيث تنشر الجريدة الرسمية بين الحين والآخر قوائم بأسماء المتنازلين عن جنسيتهم المصرية، كما يتم الاشارة إلى هذه الأخبار في وسائل الاعلام المحلية في مصر.

وتشترط العديد من دول العالم لمنح جنسيتها أن لا يحمل الشخص أي جنسية أخرى، وهو ما يضطر الكثير من المصريين للتنازل عن جنسيتهم الأصلية حتى يتمكنوا من الحصول على الجنسية الجديدة والتمتع بامتيازاتها.

علوم وتكنولوجيا

استخدام الكمبيوتر في التدفئة قد يوفر على المنازل مئات الدولارات سنوياً

لندن ـ «القدس العربي»:

توصلت شركة بريطانية ناشئة إلى طريقة حديثة ومبتكرة لتسخين مياه المنزل خلال فصل الشتاء، بما يُمكن أن يوفر على كل منازل مئات الدولارات سنوياً.

وقال تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية، واطلعت عليه «القدس العربي» إن التقنية الجديدة المبتكرة يمكن أن توفر على البريطانيين 150 جنيهاً إسترلينياً (180 دولاراً أمريكياً) في السنة على فواتير الطاقة الخاصة بهم.

وتقوم التقنية الجديدة باستخدام خوادم الكمبيوتر «سيرفرات» لتسخين مياههم، وهي طريقة فريدة لم يتم استخدامها من قبل في عمليات التدفئة المنزلية.

ويأتي التوصل إلى هذه التقنية الجديدة بالتزامن اهتمام الجميع بالبحث عن طريقة لخفض فواتير التدفئة وسط ارتفاع أسعار الطاقة وتفاقم أزمة تكلفة المعيشة.

وتوصلت الشركة البريطانية إلى طريقة جديدة للقيام بذلك باستخدام طريقة قد تبدو غريبة بعض الشيء بالنسبة للبعض، وذلك عن طريق تركيب خادم كمبيوتر في خزان الماء الساخن الخاص بالمنزل.

وتدعي شركة «هيتا» أن جهازها بحجم صندوق الأحذية يمكن أن يساعد البريطانيين على توفير حوالي 150 جنيهاً إسترلينياً سنوياً من فواتير الطاقة الخاصة بهم، بينما يمكن للشركات الصغيرة أيضاً الاستفادة من طاقة الكمبيوتر المتوفرة على الخوادم بدلاً من كونها في مركز بيانات كبير.

وعندما يسخن الكمبيوتر، يزيل الخزان الحرارة المهدرة منه ويستخدم هذا لتسخين المياه للاستحمام والاستحمام والغسيل.

ويمكن لكل وحدة توفير ما يصل إلى 4.8 كيلو واط في الساعة من الماء الساخن يومياً، كما تقول الشركة، أي ما يقرب من 80 في المائة من الماء الساخن المطلوب في منزل متوسط الحجم في بريطانيا.

وكما يعلم الكثير من الناس، يمكن أن تصبح أجهزة الكمبيوتر المحمولة وأجهزة الكمبيوتر شديدة السخونة عندما يتم تشغيلها لفترات طويلة، وهو ما يدفع المستخدمين على الدوام إلى تشغيل المراوح الداخلية لتبريدها.

وتقول جريدة «دايلي ميل» إنه في بريطانيا وحدها يوجد 480 مركزاً يضم خوادم كمبيوتر، حيث يأتي حوالي 45 في المائة من الطاقة المستهلكة في الواقع من أنظمة التبريد المستخدمة لوقف ارتفاع درجة حرارة الأعداد الهائلة من الخوادم.

وللتغلب على هذه النفايات، وجدت شركة «هيتا» طريقة لأخذ الحرارة من أجهزة الكمبيوتر هذه وإيجاد استخدام مستدام لها.

ويقوم الخادم الخاص به بتسخير الحرارة الناتجة عن المعالجة ونقلها إلى خزان المياه، والذي بدوره يوفر للأسرة مياهاً ساخنة مجانية.

وقالت الشركة إنه يتم قياس الكهرباء التي تستخدمها الوحدة ويقيد أصحاب المنازل الكمية المستخدمة بنسبة 10 في المائة أعلى من سعر السوق.

وتقول «هيتا» إن أي كهربائي يمكنه تركيب أجهزته في أقل من ساعتين باستخدام «بريتيش جاز المعتمد بدون عملية سباكة». ويحتوي مصدر طاقة الوحدة على عداد متكامل حتى تعرف الشركة بالضبط مقدار الكهرباء التي تستخدمها.

وتستخدم الأجهزة أيضاً اتصال النطاق العريض الخاص بالمنزل لإرسال ما تدعي «هيتا» أنه كميات صغيرة نسبياً من البيانات عبر VPN آمن. لكنها قالت إنها تجري محادثات مع مزودي خدمة الإنترنت لإنشاء اتصالات فقط لاستخدام الأجهزة حتى لا تستهلك البيانات الشهرية المسموح بها للمستخدمين.

وقالت «هيتا» إنها مزودة أيضاً بأجهزة إنذار لإخطار الشركة إذا حاول أي شخص الوصول إلى المكونات الداخلية، في حين أن جميع عمليات نقل البيانات محمية بتشفير 256 بت لمنع المستخدمين غير المصرح لهم من الوصول إليها.

وقال الشريك المؤسس للشركة، كريس جوردان، إن الشركة لديها بالفعل عملاء لاستخدام طاقة الكمبيوتر المتاحة على 80 خادماً تقوم بتثبيتها كجزء من تجربتها الجديدة.

وأضاف أن هذه تشمل شركات الهندسة المعمارية التي تحتاج إلى إجراء عرض مكثف للكمبيوتر للرسوم المتحركة ثلاثية الأبعاد.

ويقول الخبراء إنه إذا كانت رؤية «هيتا» ناجحة بشكل كبير، فلن يكون هناك سبب لبناء مبانٍ مخصصة لاستضافة مئات الآلاف من أجهزة الكمبيوتر بعد الآن.

وتدعي الشركة أنه من خلال إعادة استخدام الحرارة وإزالة تكلفة طاقة التبريد من مراكز البيانات، فإنها تقلل من البصمة الكربونية للمعالجة التي تقوم بها بنسبة 40 في المئة مقابل مركز بيانات نموذجي.

ومع ذلك، يقول النقاد إنه على الرغم من أن الفكرة تبدو جيدة على السطح، فلا تزال هناك أسئلة حول ما إذا كانت الأجهزة جديرة بالاهتمام لأنها تعتمد على مقدار الحرارة التي تولدها، وسهولة التثبيت والتأثير على أمن البيانات واتصالات النطاق العريض المنزلية.

«ناسا» تؤكد أنها قادرة على التصدي لأي كويكب قد يستهدف الأرض

لندن ـ «القدس العربي»:

أكدت وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» مؤخرا أنها يمكن أن تنجح في تغيير مسار كويكب قاتل إذا اتجه نحو الأرض، وهو ما يشكل محاولة لطمأنة الناس بالتزامن مع اتساع رقعة القلق بشأن احتمالات أن يصطدم كويكب ضال بالكرة الأرضية ويؤدي الى كارثة هائلة.

ووقع آخر تأثير كارثي من هذا النوع قبل 66 مليون عام، حيث اصطدم كويكب عملاق بالكرة الأرضية وقتل الديناصورات وأدى الى انقراضها، فيما يعتقد بعض العلماء أن علينا توقع «تأثير كبير» آخر.

وقال تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية، واطلعت عليه «القدس العربي» إنه مع هذا الهلاك الحتمي الذي يلوح في أفق المجتمع العلمي، يعمل الباحثون بلا كلل على أدلة إرشادية لمساعدة البشرية على البقاء على قيد الحياة.

وستكون الخطوة الأولى هي تدمير الكويكب قبل فوات الأوان، وبينما يبدو أن وكالة الفضاء الأمريكية قد غطت هذا، فإن أكثر من 2000 صخرة فضائية محتملة الخطورة تنتظر الانزلاق تحت رادارها.

وأطلقت «ناسا» اختبار إعادة توجيه الكويكب المزدوج «DART» في عام 2022 لأول مهمة دفاعية كوكبية للبشرية.

وكان هدف المركبة يتمثل في قمر يسمى ديمورفوس حول كويكب الأصلي، ديديموس.

وفي 1 آذار/ مارس 2023 أكدت وكالة ناسا أن المهمة حققت نجاحا ساحقا.

وقال علماء من جامعة شمال أريزونا: «هذا بمثابة إثبات لمفهوم تقنية التصادم الحركي للدفاع الكوكبي، احتاجت DART لإثبات أنه يمكنا استهداف كويكب أثناء مواجهة عالية السرعة وأن مدار الهدف يمكن أن يكون تغير».

وقال الباحثون إن احتمال اصطدام كويكب بحجم «تشيككسولوب» بكوكبنا هو واحد كل 100 إلى 200 مليون سنة – لكن الحدث ليس مستحيلا.

وإذا فشلت ناسا في تشتيت الصخور الفضائية الضخمة، قال الخبراء إن أفضل خيار تالي هو مغادرة منطقة التأثير والابتعاد عن المناطق الساحلية.

ونظرا لأن الأرض تحتوي على 71 في المئة من المياه، فهناك فرصة أكبر لسقوط الكويكب في المحيط.

وعندما يحدث ذلك، فإن التأثير سيخلق موجات تسونامي ستبتلع جميع الأراضي المجاورة.

دراسة: الغالبية الساحقة من البشرية تعيش في أماكن ملوثة

لندن ـ «القدس العربي»:

أظهرت دراسة جديدة حول المستويات اليومية العالمية لتلوث الهواء أنه لا يكاد يكون أي مكان على وجه الأرض آمناً من حيث الهواء غير الصحي.

ووفقا للدراسة الأولى من نوعها على مستوى العالم للجسيمات الدقيقة المحيطة «PM2.5» في جميع أنحاء العالم، فإن نحو 99.82 في المئة من مساحة اليابسة العالمية تتعرض لهذه الجسيمات، وهي جزيئات صغيرة في الهواء يبلغ عرضها 2.5 ميكرون أو أقل، ما يمكنها من دخول الرئتين ومجرى الدم بسهولة.

ويربط العلماء بين هذه الجزيئات من ناحية وبين انتشار سرطان الرئة وأمراض القلب، حيث تقول منظمة الصحة العالمية إن ارتفاع نسبة هذه الجسيمات في الهواء هو السبب الرئيس لارتفاع نسب الإصابة بالسرطان. ووفقا للدراسة الجديدة التي نُشرت في مجلة «Lancet Planet Health» فإن النتائج تؤكد الحاجة الملحة المتزايدة لواضعي السياسات ومسؤولي الصحة العامة والباحثين للتركيز على كبح المصادر الرئيسية لتلوث الهواء، مثل الانبعاثات من محطات الطاقة والمنشآت الصناعية والمركبات.

ووجد علماء جامعة موناش أن 0.18 في المئة فقط من مساحة اليابسة العالمية و0.001 في المئة من سكان العالم يتعرضون لتركيزات PM2.5 أقل من مستويات السلامة التي أوصت بها منظمة الصحة العالمية.

ووجد الباحثون أنه بينما انخفضت المستويات اليومية في أوروبا وأمريكا الشمالية في العقدين الماضيين حتى عام 2019 زادت المستويات في جنوب آسيا وأستراليا ونيوزيلندا وأمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي، وأن أكثر من 70 في المئة من الأيام على مستوى العالم تشهد مستويات أعلى مما هو آمن.

وأدى عدم وجود محطات مراقبة التلوث على مستوى العالم لتلوث الهواء إلى نقص في البيانات حول التعرض المحلي والوطني والإقليمي والعالمي للجسيمات الدقيقة 2.5.

وهذه الدراسة، التي قادها البروفيسور يوميغ غواو، من كلية الصحة العامة والطب الوقائي بجامعة موناش في ملبورن بأستراليا، قدمت خريطة لكيفية تغير PM2.5 في جميع أنحاء العالم في العقود الماضية.

واستخدم فريق البحث ملاحظات مراقبة جودة الهواء التقليدية، وكواشف الأرصاد الجوية وكاشفات تلوث الهواء المعتمدة على الأقمار الصناعية، وطرق التعلم الإحصائي والآلي لتقييم تركيزات PM2.5 بشكل أكثر دقة على مستوى العالم، وفقا للبروفيسور غواو.

ووجدت الدراسة أنه على الرغم من الانخفاض الطفيف في عدد الأيام التي يكون فيها التعرض لجسيمات PM2.5 مرتفعا على مستوى العالم، بحلول عام 2019، ظلت تركيزات PM2.5 أعلى من 15 ميكروغرام /متر مكعب.

وفي جنوب آسيا وشرق آسيا، كان أكثر من 90 في المئة من الأيام تحتوي على تركيزات PM2.5 اليومية أعلى من 15 ميكروغرام /متر مكعب.

وشهدت أستراليا ونيوزيلندا زيادة ملحوظة في عدد الأيام التي تحتوي على تركيزات عالية من PM2.5 في عام 2019.

وعلى الصعيد العالمي، بلغ المتوسط السنوي للجسيمات الدقيقة PM2.5 من 2000 إلى 2019، نحو 32.8 ميكروغرام / متر مكعب.

وتم توزيع أعلى تركيزات PM2.5 في مناطق شرق آسيا (50.0 ميكروغرام / متر مكعب) وجنوب آسيا (37.2 ميكروغرام /متر مكعب) تليها شمال أفريقيا (30.1 ميكروغرام /متر مكعب).

وكان لدى أستراليا ونيوزيلندا (8.5 ميكروغرام /متر مكعب) ومناطق أخرى في أوقيانوسيا (12.6 ميكروغرام / متر مكعب) وأمريكا الجنوبية (15.6 ميكروغرام /متر مكعب) أدنى تركيزات سنوية من هذه الجزيئات الضارة.

واستنادا إلى الحد التوجيهي الجديد لمنظمة الصحة العالمية لعام 2021 تعرض 0.18 في المئة فقط من مساحة الأرض العالمية و0.001 في المئة من سكان العالم لتعرض سنوي أقل من هذا الحد التوجيهي (المتوسط السنوي 5 ميكروغرام /متر مكعب) في عام 2019.

وفقًا للبروفيسور غواو، تُظهر تركيزات PM2.5 غير الآمنة أيضا أنماطا موسمية مختلفة «شملت شمال شرق الصين وشمال الهند خلال أشهر الشتاء (كانون الأول/ديسمبر وكانون الثاني/يناير وشباط/فبراير) في حين أن المناطق الشرقية في أمريكا الشمالية لديها ارتفاع PM2.5 في أشهر الصيف (حزيران/يونيو وتموز/يوليو وآب/أغسطس).

لقد سجلنا أيضا ارتفاعا نسبيا في تلوث الهواء من نوع PM2.5 في آب/أغسطس وايلول/سبتمبر في أمريكا الجنوبية ومن حزيران/يونيو إلى أيلول/سبتمبر في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى».

وأضاف أن الدراسة مهمة لأنها «توفر فهما عميقا للحالة الحالية لتلوث الهواء الخارجي وتأثيره على صحة الإنسان. وبهذه المعلومات، يمكن لصانعي السياسات ومسؤولي الصحة العامة والباحثين أن يقيموا أفضل على المدى القصير والطويل، الآثار الصحية لتلوث الهواء ويضعوا استراتيجيات للحد من تلوث الهواء».

مستقبل النقل والطاقة.. السيارات ستعمل بواسطة الملح والطائرات بالأسمدة

لندن ـ «القدس العربي»:

يتجه عالم النقل والمواصلات إلى تحول استراتيجي مهم خلال السنوات المقبلة، حيث من المحتمل أن يؤدي هذا التحول إلى تراجع في الطلب على الوقود التقليدي الذي يصدر منه التلوث الضار بالبيئة.

وحسب تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية، واطلعت عليه «القدس العربي» فإن الخبراء يعملون حالياً على إنتاج مركبات وطائرات تعمل بوقود جديد مختلف تماماً عن الوقود المستخدم حالياً والمشتق من البترول.

ويقول الخبراء إنه من المحتمل أن تكون السيارات التي تعمل بالملح أو بمسحوق الخبز والطائرات التي تعمل بالأسمدة قد رأت النور ودخلت الخدمة بحلول نهاية العقد الحالي، أي خلال سبعة سنوات من الآن.

وقال أحد الخبراء في جامعة «أكسفورد» البريطانية إنه يتم حالياً الترحيب ببطاريات الليثيوم أيون باعتبارها تلعب دوراً رئيسياً في التحول نحو الطاقة المستدامة وتستخدم في منتجات مهمة مثل سيارات «تيسلا» وهواتف «آيفون» وغيرهما.

وفي الوقت نفسه، تعتقد العديد من الشركات أن طاقة الهيدروجين هي الطريق «الأخضر» للمضي قدماً في مجال الطيران.

لكن بيل ديفيد، أستاذ الكيمياء غير العضوية في جامعة أكسفورد، يعتقد أنه سيتم تجاوز كليهما بمكونات مفاجئة، أحدها يمتلكه معظم الناس في خزائن مطبخهم.

ويتوقع أن الصوديوم –الموجود في الملح ومياه البحر ومسحوق الخبز– سيصبح المرشح الأوفر لنوع البطاريات المهيمن للسيارات والأدوات اليومية.

ويقول إن هذا العنصر وفير بشكل لا يصدق، وأكثر بكثير من الليثيوم، وهو معدن يتم الحصول عليه من التعدين ويصبح من الصعب العثور عليه بشكل متزايد.

ووضع البروفيسور ديفيد، الذي كان جزءاً من الفريق الذي اخترع بطاريات الليثيوم في عام 1980 توقعاته قبل عرض تقديمي في المؤتمر السنوي للجمعية الأمريكية لتقدم العلوم في واشنطن العاصمة.

وقال: «إنها ليست مثالية تماماً من حيث الأداء، لذلك نحن بحاجة إلى الاثنين» حيث سيظل الليثيوم يتصدر المنتجات المهمة في هذا المجال، لكن سيتواجد المزيد من الصوديوم حوله.

ويقول تقرير «دايلي ميل» إن الصوديوم في طريقه للارتفاع وبحلول عام 2030 ستحتوي معظم السيارات الكهربائية على مزيج من بطاريات الليثيوم والصوديوم.

وتشير التقديرات إلى أنه بحلول عام 2040 لن يكون مفاجئًا أن تكون بطاريات الصوديوم متوفرة بأكثر من 10 أضعاف مقارنة بالليثيوم، وربما حتى 100 مرة.

ويضيف البروفيسور ديفيد: «يمكننا صنع بطاريات الصوديوم من الملح ولكننا نفضل استخدام مسحوق الخبز». وقال إنه لا يوجد سبب يمنعنا من امتلاك سيارات ذات مدى 400 ميل تعمل ببطاريات الصوديوم وحدها.

وأضاف: «يعمل الصوديوم بشكل أفضل في درجات حرارة منخفضة ودرجات حرارة أعلى من بطاريات الليثيوم، ويمكن إعادة تدويرها بسهولة وهي أرخص بكثير».

في غضون ذلك، سيحتاج السفر الجوي إلى اتباع نهج مختلف، حيث يقول البروفيسور ديفيد: «لن نسافر أبداً دولياً وعبر القارات باستخدام البطاريات، فهي ثقيلة للغاية».

وتعتقد العديد من الشركات أن طاقة الهيدروجين هي الطريق إلى الأمام، حيث يقول البروفيسور ديفيد أن الأمونيا الموجودة في الأسمدة هي الحل المستدام.

وحذر تقرير صادر عن منظمة «Net Zero Aviation» من أن استبدال وقود الطائرات التقليدي ببدائل مستدامة سيتطلب من بريطانيا التخلي عن نصف أراضيها الزراعية.

كما ذكر أنه لا يوجد بديل واحد واضح للكيروسين، حيث يتطلب الهيدروجين والوقود الاصطناعي زيادة هائلة في إنتاج الطاقة المتجددة. والبروفيسور ديفيد هو جزء من فريق يهدف إلى جعل السفر الجوي، مدعوماً بإمدادات الأمونيا الحالية مثل الأسمدة، حقيقة واقعة.

وقال: «نحن نعمل على تطوير طائرة تعتمد على الأمونيا ولدينا اهتمام من مصنعي محركات الاحتراق الداخلي».

ويؤكد إنه «من حيث المبدأ يمكننا تعديل طائرة إيرباص A320 أو بوينغ 787 ولمس الجناح لاستبدال وقود الطائرات بالأمونيا».

كيف يتم شحن البطارية؟

من المعروف أن البطاريات تتكون من ثلاثة مكونات: قطب موجب، وقطب سالب، وإلكتروليت، وعندما يتم شحن البطارية، يتم استخراج أيونات الليثيوم من القطب الموجب وتتحرك عبر التركيب البلوري والإلكتروليت إلى القطب السالب، حيث يتم تخزينها.

وكلما حدثت هذه العملية بشكل أسرع، زادت سرعة شحن البطارية، بحسب ما يقول العلماء المتخصصون.

ويمكن أن تقيد المادة المصنوعة منها البطارية هذا المعدل بشدة.

والجرافيت مادة شائعة الاستخدام للقطب السالب لأنه يقبل الأيونات الموجبة جيداً وله كثافة طاقة عالية.

وفي البحث عن مواد قطب كهربائي جديدة، يحاول الباحثون عادة جعل الجسيمات أصغر.

ومع ذلك، من الصعب صنع بطارية عملية من الجسيمات النانوية لأنها تخلق الكثير من التفاعلات الكيميائية غير المرغوب فيها مع الإلكتروليت، لذلك لا تدوم البطارية لفترة طويلة، بالإضافة إلى أنها مكلفة في صنعها.

تونس: اقتصاد يعاني صعوبات جمة رغم التنوع

تونس – «القدس العربي»: روعة قاسم

يعتبر القطاع الصناعي في تونس العلامة المضيئة خلال العشرية الماضية، حيث أهل البلاد لتكون واحدة من أربع دول أفريقية شهدت تطورا هاما ولافتا بفعل النمو الحاصل في الصناعات التي تم إنشاؤها خلال فترة بناء الدولة الحديثة، وأيضا بسبب التوسع في الأنشطة لتشمل صناعات متطورة جديدة. وأعدت مؤشر التصنيع المشار إليه منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية بالتعاون مع البنك الأفريقي للتنمية والاتحاد الأفريقي وهو ما يؤكد جديته بالنظر إلى مصداقية هذه الجهات الثلاث وبالنظر أيضا إلى صبغتها الرسمية.

نجاح المؤسسات

ولعل معيار «استقرار البيئة السياسية» الذي تم اعتماده من بين معايير أخرى في هذا المؤشر التنموي هو الذي جعل تونس لا تتصدر منفردة هذا التصنيف باعتبارها لم تعرف الاستقرار طيلة العشرية الماضية. بالمقابل فإن البلدان الثلاثة الأخرى وخصوصا جنوب أفريقيا والمغرب شهدتا سنوات استثنائية من الهدوء والسكينة لم تعرف لها مثيلا من قبل وهو ما طور مناخ الإستثمار وخلق استقرارا شجع على التطور الصناعي، ورغم ذلك تواجدت تونس مع هذه البلدان في المراتب الأولى.

ويؤكد خبراء على أن ما جعل تونس تتبوأ هذه المرتبة الهامة في المجال الصناعي في قارتها، مقارنة ببلدان أخرى تفوقها في الساحة والثروات وعرفت الاستقرار طيلة السنوات الماضية، هو النجاح اللافت لكثير من المؤسسات الصناعية، حيث تطورت الصناعات القديمة التي تركزت منذ بدايات الاستقلال من حيث ارتفاع الإنتاج وجودة المنتوج رغم الصعوبات الكثيرة التي طالتها بفعل كثرة الإضرابات. كما برزت صناعات حديثة متطورة مثل صناعة السيارات وقطع غيار السيارات وقطع غيار الطائرات والصناعات التكنولوجية وصناعة تكنولوجيا الطاقات البديلة وغيرها.

سياحة متهالكة

بالمقابل فإن القطاع السياحي كان أشد المتضررين خلال العشرية الماضية بسبب تدهور الوضع الأمني خلال السنوات الثلاث الأولى التي تلت الثورة، حيث حصلت عمليات إرهابية هزت الشارع التونسي وجعلت الحجوزات السياحية نحو الخضراء تتراجع. وزادت جائحة كورونا الطين بلة بعد أن تقوقعت الشعوب وانكفأت على نفسها وهو ما اضطر عديد الفنادق إلى الإغلاق وشركات الطيران إلى إلغاء الرحلات وحتى التوقف عن نقل المسافرين من وإلى تونس. كما ساهمت الحرب الروسية الأوكرانية في خسارة تونس لسوق سياحية هامة تمثلت في الروس والأوكرانيين، الذين كانوا يقبلون على الوجهة التونسية، وذلك مقابل عودة جنسيات أخرى بعد انتهاء جائحة كورونا على غرار البريطانيين والألمان والإسبان والإيطاليين. لكن السياحة التونسية لم تستعد ألقها المعتاد الذي ميزها قبل الثورة وهو ما جعل البعض يتساءل عن جدوى الاستمرار في الاعتماد على السياحة وإيلائها كل تلك الأهمية خاصة

مع الارتفاع الحاد في أسعار المواد الغذائية وفقدانها في أحيان كثيرة.

ولعل ما يدفع البعض إلى تبني هذا الرأي هو المردودية الضعيفة لهذا القطاع حتى في السنوات التي شهدت ارتفاعا كبيرا في عدد السياح وفي الليالي المقضاة. وبلغة الأرقام فإن مداخيل القطاع السياحي لم تتجاوز خمس تحويلات المهاجرين التونسيين بالخارج مع استنزاف كبير للمواد الاستهلاكية المدعمة وللماء والطاقة. ويعود سبب ذلك إلى اعتماد القطاع السياسي في تونس على السياح المغاربيين الذين يدخلون إلى تونس وبحوزتهم الدينار التونسي الذي يتحصلون عليه في بلدانهم من السوق السوداء وبطريقة غير مشروعة، وبالتالي فهم لا يجلبون العملة الصعبة ولا يقدمون الإضافة المرجوة، شأنهم شأن السياح الغربيين الذين يضخون تكاليف إجازاتهم في حسابات بنكية خارج الديار عائدة لأصحاب الفنادق التونسية من دون أن ينتفع بها الاقتصاد التونسي.

الطاقات البديلة

كما شهد قطاع الطاقة والمناجم مشاكل بالجملة خلال العشرية الماضية وهي متواصلة إلى اليوم وذلك رغم التحسن الطفيف في إنتاج الفوسفات الذي توقف في وقت ما وجعل تونس تختفي من خريطة منتجي هذه المادة الحيوية في العالم بعد أن كانت تحتل المرتبة الثانية عالميا في إنتاجها قبل الثورة. وما زالت الإضرابات التي تعطل في أحيان كثيرة خط السكك الحديدية عدد 13 الناقل للفوسفات من الحوض المنجمي إلى المجمع الكيميائي الصناعي بمدينة قابس هي الطاغية على المشهد اليوم ولم تتمكن الحكومة من حسم الأمر واستغلال الظرف العالمي الذي ارتفعت فيه أسعار هذه المادة بشكل قياسي لجني أرباح هامة تغنيها عن 1.9 مليار دولار هي قيمة القرض الزهيد الذي تنتظره من صندوق النقد الدولي.

كما تراجع إنتاج تونس من النفط والغاز بشكل لافت خلال السنوات الأخيرة وتحول البلد الذي كان مع بداية الألفية يحقق اكتفاءه الذاتي من إنتاجه من المحروقات، إلى بلد مستورد لقرابة الثمانين في المئة من حاجياته. ويعود ذلك إلى تعطل إنتاج المحروقات بفعل الإضرابات وبفعل عدم تطوير الحقول لرفع الإنتاج وبفعل عدم التنقيب عن حقول جديدة والجنوح إلى أسهل الحلول وهو التوريد.

كما أن مشاريع الطاقات المتجددة والنظيفة تسير بنسق بطيء جدا رغم أن تونس كانت قبل الثورة سباقة في محيطها في الدخول إلى عصر الطاقات البديلة وكانت تحقق الاكتفاء الذاتي الطاقي من المحروقات. فالهدف المستقبلي لتونس لا يتعدى تغطية 30 في المئة فقط من حاجياتها بالطاقة الشمسية وذلك مع نهاية سنة 2025 في الوقت الذي تطمح فيه بلدان عديدة إلى تغطية حاجياتها الطاقية بنسبة 100 في المئة من الطاقة الشمسية. وإلى حد الآن لا تغطي الطاقات البديلة في تونس سوى 3 في المئة من حاجيات البلد الطاقية وهو رقم ضعيف جدا لا يتناسب وبلد تشرق في جنوبه الشمس الحارقة على مدار العام ولديه عجز في الإنتاج الطاقي من المحروقات ويضطر إلى استيراد نسبة هامة من حاجياته.

مشاكل متراكمة

ولا يبدو القطاع الفلاحي أفضل حالا من باقي القطاعات باعتبار مشاكله المتعددة والمتراكمة منذ عقود والتي استفحلت في الوقت الحاضر مع اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية وتسببها في غلاء الأسعار. فمن بين المشاكل الجديدة التي أصبح يعاني منها القطاع الفلاحي، ارتفاع أسعار العلف الحيواني، وعدم وضع خريطة إنتاجية وطنية حتى لا يتم إغراق السوق بمنتوجات مقابل غياب أخرى، بالإضافة إلى ندرة التساقطات في السنوات الأخيرة بسبب ظاهرة الاحتباس الحراري وغيرها.

كما لم تهتم الحكومات المتعاقبة بهذا القطاع ولم تول الاهتمام اللازم لمشاكل الفلاحين ومن ذلك مربيي الأبقار الذين اضطر الكثير منهم إلى بيع عدد هام من أبقارهم إلى جهات في الجزائر ما أفقد تونس قرابة 30 في المئة من قطيعها من الأبقار المنتجة للحليب وجعل الخضراء، التي كانت تحقق فائضا إنتاجيا من هذه المادة تصدره إلى الخارج، تعاني من عجز خلال الفترة الماضية لتلبية حاجيات السوق الداخلية. ولعل السبب في ذلك هو عدم توفير الأعلاف التي تصنع في تونس من مواد أولية مستوردة من الخارج، بالسعر المناسب بعد ارتفاع تكلفة المواد الأولية في الأسواق العالمية وهي مواد يمكن أن تزرع في تونس.

ولم تنعكس أزمة الأعلاف على قطاع الحليب فقط بل تسببت أيضا في ارتفاع أسعار اللحوم الحمراء والبيضاء التي باتت أسعارها لا تتناسب والقدرة الشرائية للطبقتين الفقيرة والمتوسطة. يحصل ذلك والدولة عاجزة لا تحرك ساكنا وتعلق تقصيرها فقط على شماعة المتآمرين الذين يستهدفون الأمن الغذائي للتونسيين دون السعي لبلورة تصور يحقق الأمن الغذائي للبلد الذي لديه القدرة على ذلك بفعل معطيات جغرافية هامة على غرار كثيرة السهول والأراضي الصالحة للزراعة مقارنة بعدد محدود من السكان تسببت فيه سياسة تحديد النسل التي انتهجتها دولة الاستقلال.

الأمم المتحدة ومعنيون يحذرون من كارثة جفاف مقبلة على العراق

بغداد – «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

لم يكن العراقيون ينتظرون تحذيرات الأمين العام للأمم المتحدة، بأن العراق يواجه خطر نقص المياه ليدركوا حجم الكارثة التي بدأت بالبروز في بلد الرافدين، وتسببت حتى الآن في هجرة واسعة من الريف وخفض المساحات المزروعة وخسائر اقتصادية فادحة، مع توقعات بمستقبل أسوأ، وسط موقف حكومي مقيد لا يتناسب مع حجم الكارثة التي تجتاح البلد.

تحذيرات أممية

وخلال زيارته إلى العراق قبل أيام، حذر الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش من «إن العراق يواجه خطرا في نقص المياه في نهري دجلة والفرات، ولا يجب أن يكون العراق بلدا بلا أنهار، ويجب أن تكون موارده المائية مضمونة لأن ندرة المياه في العراق تمثل تحديات للحكومة».

وكانت الأمم المتحدة توقعت مؤخرا، جفاف الأنهار العراقية في عام 2040 إذا استمر الجفاف وقطع المياه من دول الجوار، كما هو الحال الآن.

وتزامنت تحذيرات الأمم المتحدة، مع حملة في مواقع التواصل ووسائل الإعلام المحلية، تتداول مقاطع فيديوهات انتشرت بشكل واسع، تظهر انخفاضا كبيرا بمنسوب نهري دجلة والفرات وفروعهما، جراء قلة الأمطار هذا الموسم وقلة المياه الواردة من تركيا وإيران.

ففي محافظة ميسان جنوبي البلاد، تراجع منسوب مياه نهري دجلة والفرات بشكل كبير، وتحول مجراهما إلى برك وتجمعات صغيرة للمياه وأصبح بامكان الناس عبور الأنهار مشيا على الأقدام. وأدى هذا الجفاف إلى انخفاض مستوى نهر دجلة إلى نحو 35 في المئة، وإلى قطع المياه شبه كليا في بعض فروعه ضمن المحافظة.

وتداولت وسائل الإعلام المحلية الخميس الماضي، توقف معظم محطات مياه الشرب جنوبي محافظة ذي قار، وخاصة في مركز قضاء الإصلاح نتيجة جفاف النهر الرئيسي المغذي لشط أبو لحية في المدينة، ما يهدد 60 ألف نسمة بكارثة حقيقية بسبب عدم وجود المياه. وقد خرج سكان قضاء الإصلاح، بتظاهرات بسبب شح المياه في القضاء خلال العشرة أيام الماضية، حيث قطع المحتجون الطريق العام الرابط بين ذي قار وميسان بالإطارات المحترقة.

وفي نفس السياق، أعلنت الإدارة المحلية بقضاء كرمة بني سعيد جنوبي محافظة ذي قار والتي يسكنها نحو 75 ألف نسمة، عن بلوغ الشح المائي ذروته. وأعلن قائممقام القضاء، علي صالح الحلو ان إدارته توقفت عن جميع أعمالها اليومية وبات همها الوحيد كيفية إيصال الماء للمناطق عبر الآليات الحوضية بعد جفاف جميع الجداول في القضاء. ووصف القضاء بانه «يعتبر الآن بحكم المنكوب، ونتوقع أزمة خانقة في الصيف المقبل» داعياً السلطات في المحافظة وفي بغداد للضغط على الجيران «من أجل حصول البلاد على حصتها المائية المناسبة لها، لان بقاء الوضع الحالي، يعني حلول الكارثة قريبا بمناطقنا».

أما في محافظة الديوانية جنوب العراق، فإن الأنهار فيها شهدت ظاهرة نفوق آلاف الأسماك نتيجة ارتفاع الملوحة والتلوث في المياه بعد انخفاض مناسيب الأنهار إلى مستويات غير مسبوقة. وتداولت مواقع التواصل فيديو عن كميات هائلة من الأسماك النافقة وهي تغطي سطح الأنهار.

وفي الوقت الذي حذر مختصون من ان الجفاف ينذر بتغيير ديموغرافي يطول بعض المحافظات العراقية، التي بدأ الكثير من سكانها ترك أراضيهم الزراعية والتوجه نحو المدن القريبة، بسبب نقص مياه الأنهار الحيوان وحتى الشرب، فقد أكد عضو لجنة الزراعة والمياه النيابية ثائر الجبوري، ان هناك مخططا ومؤامرة خارجية لتدمير الزراعة في العراق وتحويله إلى بلد مستهلك.

وقال الجبوري في لقاء تلفزيوني «منذ عام 2003 ولغاية الآن هناك مخطط كبير ضد العراق من أجل تدمير الزراعة فيه، لأن دول الجوار، تخشى من تحول العراق من مستهلك إلى مصدر للمواد الزراعية» مشددا على ان «هناك مؤامرة خارجية لتحويل العراق إلى بلد مستورد حتى للماء وإلى أبسط المنتجات الزراعية». وأقر الجبوري، «لا نجد اذانا صاغية من الحكومة لمناشداتنا لحل أزمة المياه مع دول الجوار، التي فاقمت الأزمة الزراعية في البلاد».

ويذكر ان وزارتي الزراعة والموارد المائية في العراق، قررت تقليص المساحات الزراعية إلى النصف عن المعتاد، في الموسم الحالي.

إجراءات الحكومة

ووسط الأزمة يرى أغلب العراقيين ان حكومتهم لم تدرك حتى الآن حجم مخاطر الجفاف في البلد وآثاره الكارثية، وتكتفي بالتصريحات وعقد الاجتماعات دون نتيجة تذكر، لأنها لا تلامس جوهر المشكلة، وهي قيام بلدان الجوار بقطع مياه الأنهار أو تخفيضها بنسبة كبيرة.

وخلال ترأسه اللجنة الوطنية العليا للمياه، ناقش رئيس مجلس الوزراء محمد شياع السوداني، الشحة المائية في العراق وآثارها على الواقع الإنساني والزراعي، وآليات دعم وزارة الموارد المائية في خططها المعدة لمعالجة شح المياه، فضلاً عن مناقشة الجهود الدبلوماسية في هذا الإطار. وأكد السوداني أن «شح المياه أزمة عالمية، لا تقتصر على العراق فقط، كما يجب ألّا تقتصر معالجتها على وزارة الموارد المائية، وهي تتطلب قرارات تُنفذ بشكل سريع» مبينا أن هناك معالجات قانونية وتنفيذية، تعتمد على الحوار مع دول المنبع وعلى المصالح المشتركة، والتعاون مع المنظمات الدولية بهذا المجال. ووجّه رئيس مجلس الوزراء بضرورة العمل على إدارة المياه بشكل مهني ومدروس، «ضمن إجراءات من بينها اللجوء إلى تقنية معالجة مياه الصرف الصحي وإعادة استخدامها في الري، وإزالة التجاوزات على الأنهار، وتشجيع الفلاحين على الاعتماد على الري بالرش والتنقيط».

أما وزير الموارد المائية عون ذياب، فإنه حذر من جفاف نهر الفرات إذا استمرت دول الجوار بسياستها المائية. وقال ذياب في حديث تلفزيوني تابعته «القدس العربي» إن «مخزون المياه في العراق قليل وهناك اتفاقية سابقة بين العراق وتركيا وسوريا لتوزيع مياه الفرات بين الدول الثلاث» موضحا انه «تم الاتفاق على إطلاق كمية 500 متر مكعب في الثانية من تركيا إلى العراق وسوريا ولكن تركيا امتنعت عن تجهيز هذه الكمية وما تجهزه الآن هو نصف الكمية المتفق عليها وهناك مطالبات من العراق بزيادة الحصة لتصل إلى 600 متر في الثانية» مشددا «نحن بصدد مواجهة مشكلة الصيف القادم الذي سيشهد أزمة كبيرة في المياه».

ولم يكن المتحدث باسم وزارة الموارد المائية خالد شمال، بعيدا عن هذا السياق عندما أعلن ان «الخزين المائي الآن وصل إلى مراحل حرجة، وان الوزارة لا تستطيع ضخ كمية مياه كبيرة للأنهر». لافتا إلى أن «الإيرادات المائية التي تأتي للعراق اليوم هي 30 في المئة من استحقاقه الفعلي و70 في المئة لا تصل».

مواقف دول المنبع

أما عن الموقف التركي من الأزمة، فتشير المصادر التركية إلى «ان تركيا لم تتنصل من اتفاقها، إلا ان الجفاف يضرب العالم كله» منوهين إلى ان أنقرة وافقت على اتفاقية في العام 1986 مع العراق لتقاسم المياه، ولم يكن التقاسم وفق القوانين الدولية والنسب المحددة بها، بل عمدت تركيا إلى إعطاء العراق كميات ونسب أكبر. وكشفت المصادر ان تركيا قامت بمنح الحكومة العراقية في عام 2010 عددا من القروض والمساعدات من أجل أن تقوم بغداد بإصلاح البنية التحتية المتهالكة للري والزراعة، كما أبدت أنقرة استعدادها للتشاور لحل الأزمة، لكن العراق حصل على القروض ولم يغير أي شيء، حسب قولهم.

وبالنسبة لإيران، يشير الخبراء إلى الموقف الخجول لحكومة بغداد ازاء قطع إيران 12 نهرا كانت تمد الأراضي الزراعية العراقية باحتياجاتها المائية، وتجاهلت طهران كل الدعوات العراقية للحوار حول تقاسم المياه والضرر الناجم عن نقص الأمطار في المنطقة. وهو موقف غير مستغرب نظرا لكون حكومة بغداد لا تستطيع لأسباب سياسية، اتخاذ إجراءات سياسية أو اقتصادية حازمة للضغط على إيران لإطلاق حصة العراق من الأنهار، بالرغم من أن قيام إيران بالقطع الكلي للأنهار عن العراق، يشكل انتهاكا خطيرا للاتفاقيات الدولية التي تضمن حقوق الدول المشتركة في الأنهار.

وعموما تسود قناعة لدى العراقيين بعدم قدرة حكومتهم بتركيبتها السياسية الحالية وأزماتها وخلافاتها المتعددة، على ممارسة الضغوط على البلدان المجاورة لإطلاق حصص العراق من مياه الأنهار، وبالتالي فالمتوقع هو استمرار الأزمة المائية لسنوات مقبلة. ولذا فمهما اختلطت دعوات الاستغاثة من سكان المدن المصابة بالجفاف في العراق، مع التحذيرات الأممية، فإن المختصين في البيئة، لا يختلفون على ان كارثة إنسانية واقتصادية مقبلة على العراق الآن ومستقبلا، بسبب مواسم الشتاء الفقيرة في الأمطار في المنطقة منذ عدة سنوات، وما نجم عنها من تدني معدلات تدفق الأنهار ، بالترافق مع آثار التغير المناخي، الذي جعل العراق وفق الأمم المتحدة، خامس أكثر دول العالم تضررا بالجفاف.

مدن وآثار

سوريا: الزلزال المدمر ينال من قلاع ومعالم أثرية وتاريخية وأخرى مصيرها مجهول

حسام محمد

زاد الزلزال الذي ضرب سوريا فجر يوم الإثنين الموافق السادس من شباط/فبراير الحالي، من آلام السوريين المستمرة منذ عام 2011. هم الذين كانوا أهدافا لزلزال الطبيعة وهم ذاتهم الذين كانوا ضحايا لـزلازل أخرى من صنع البشر، فهم كانوا ضحايا القوة العسكرية التي أفرغها النظام السوري على أجسادهم في مدنهم وحاضرهم ومستقبلهم، وهم الذين كانوا ضحايا زلزال الاعتقال والاختفاء، وهم ذاتهم ضحايا التهجير القسري على يد نظام دمشق وموسكو وطهران وسط خذلان المجتمعين الدولي والعربي في تطبيق القانون الدولي لحمايتهم.

أتى هذا الزلزال مدمرا أوطانهم التي كانت على شاكلة منازل في موطن التهجير والنزوح في الشمال السوري، ليفني عائلات بأكملها وبيتم أطفالا ويزيد أوجاع آباء ويلوع أفئدة الأمهات الثكالى اللاتي اعتقدن لبرهة أن الزلزال سيزرع الإنسانية في قلوب دول العالم، فيمدون يد المساعدة على عجل، ويعود الأطفال لأحضانهن، وتتنفس الأمهات الصعداء مجددا، إلا أنهن أصبن بالصدمة مجددا، بعد أن تركوا لأيام وليالي يبكين على أطلال منازلهن فتكتوي القلوب مع كل صرخة نجدة تجتاز الركام، فلا يصل مداها أبعد من فرق الدفاع المدني «الخوذ البيضاء» الذين كانوا كالطود العظيم يسابقون الزمن لوحدهم لإنقاذ العائلات من تحت الأنقاض، بعد ان تقاعس العالم برمته عن مد العون لهذا الشعب الذي بات ضحية البشر والحجر والقلوب القاسية.

لم تتوقف نتائج الزلزال وتداعياته على الشعب السوري والمباني السكنية، حيث تعرضت العديد من المواقع الأثرية في البلاد لأضرار متفاوتة الدرجة، فترك الزلزال تداعياته عليها أيضا، فتصدع بعضها وانهارت جدران ومعالم بعد أن بقيت لعقود خلت صامدة في وجه العديد من تقلبات الطبيعة وأفعال البشر، لتصبح هي الأخرى شاهدة على الكارثة التي حلت بالشعب السوري بأرضه وآثاره، فتروي قصصا من القلوب الثكلى التي كانت تنتظر عدالة العالم لمساعدته في إنقاذ الآلاف الذين قضوا تحت أنقاض منازلهم في الشمال السوري.

سقوط أجزاء من الطاحونة العثمانية في قلعة حلب التي تعود للقرن الثالث عشر

النظام أعلن من جانبه عن تضرر العديد من المواقع الأثرية في عدة محافظات سورية، حيث طال الدمار قلاعا ومساجد تاريخية، والعديد من المعالم الأثرية ضمن المناطق الخاضعة لسيطرته، في حين لم تصدر بعد أي إحصائيات عن الأضرار التي نالت من المعالم الأثرية في الشمال السوري جراء الأوضاع الإنسانية الصعبة هناك.

قلعة حلب

تعرضت قلعة حلب التاريخية في الشمال السوري، والتي تعد إحدى أقدم وأكبر القلاع في العالم لأضرار بين المتوسطة والطفيفة جراء الزلزال الذي ضرب كل من تركيا وسوريا في السادس من شباط/فبراير الحالي.

وأعلنت المديرية العامة للآثار والمتاحف التابعة للنظام عن سقوط أجزاء من الطاحونة العثمانية في القلعة التي تعود للقرن الثالث عشر، كما أدى الزلزال إلى إحداث تشققات وتصدع وسقوط أجزاء من الأسوار الدفاعية الشمالية الشرقية، كما أدى إلى سقوط أجزاء كبيرة من قبة منارة الجامع الأيوبي، وتضرر مداخل القلعة، وسقطت أجزاء من الحجارة ومنها مدخل البرج الدفاعي المملوكي، وتعرضت واجهة التكية العثمانية لأضرار.

وسائل إعلام تداولت تصريحا للمدير العام لمديرية المتاحف والمعالم السياحية والآثار لدى النظام همام سعد قال فيه: «قلعة حلب التي تعد موقع التراث العالمي لليونسكو تضررت جراء الزلزال، تلقينا تقارير عن حدوث صدع في قلعة حلب وأرسلنا فريقا من المختصين لتفقد الموقع وتقييم الأضرار».

كما تضررت بعض القطع الأثرية داخل خزن العرض، وظهرت تصدعات وتشققات على واجهة المتحف الوطني في حلب.

فيما يقوم الفنيون في مديرية آثار حلب بمعاينة المدينة القديمة التي تعرضت لأضرار وانهيارات وتصدعات في الكثير من المباني السكنية الخاصة، حيث تعرض حي العقبة التاريخي المتاخم لسور المدينة الغربي لأضرار وانهيارات، وهو غير بعيد عن باب أنطاكيا، كذلك الأمر في حي الجلوم التاريخي، حدثت أضرار إنشائية بالغة منها سقوط أسقف غمس وجدران وأجزاء من واجهات، وفق ما نقلته وكالة «سانا».

الزلزال الذي كان ضرب تركيا وسوريا، أدى كذلك إلى تأثر بيوت خاصة تاريخية في جادة الخندق بأضرار متوسطة وطفيفة، وكما تفيد المعلومات بسقوط عدد من مآذن الجوامع التاريخية في حلب.

من صفحات التاريخ

الزلزال الأخير الذي ضرب الشمال السوري، يعيدنا إلى 885 عاما إلى الوراء في صحف التاريخ، وبالتحديد إلى الزلزال المدمر الذي وقع في حلب شمالي البلاد عام 1138 ميلادي، والذي أودى بحياة 230 ألف قتيلا، ليصنف كرابع زلزال مميت في تاريخ بشرية.

حيث صنفت هيئة المساحة الجيولوجية الأمريكية زلزال حلب 1138 كرابع أخطر زلزال في التاريخ، هو من بين أكثر الزلازل دموية في التاريخ، وقد تم أخذ اسمه من مدينة حلب في شمال سوريا، حيث تم الحفاظ على أكبر عدد من الضحايا. وقع الزلزال في 11 تشرين الأول/أكتوبر 1138 وسبقه زلزال أصغر في العاشر من الشهر نفسه.

وفي صفحات التاريخ أيضا، كانت قلعة حلب قد تعرضت لغزو المغول بقيادة هولاكو سنة 658هـ/1260م، ولقد هَدَم كثيراً من معالمها، بعد أن وعد بحمايتها إذا ما استسلمت، وتحررت القلعة بعد انتصار العرب على المغول في موقعة عين جالوت.

وقام الملك الأشرف قلاوون بترميم ما تهدم منها. ثم جاء تيمورلنك الأعرج سنة 803هـ/1400م، فهدم المدينة والقلعة، وقام المماليك بتحريرها وترميمها، ثم استولى عليها العثمانيون سنة 923هـ/1516م، وجاء إبراهيم باشا بن محمد علي باشا من مصر عام 1831 واستمرت خاضعة له حتى عام 1257هـ/1840م وفيها أنشأ ثكنة عسكرية، وجعل القلعة مقراً لجنوده.

ومنذ عام 1950 تجري في القلعة ترميمات وتجديدات من قبل المديرية العامة للآثار، كما أجريت فيها حفريات أثرية للتعرف على تاريخ هذه القلعة قبل الإسلام.

قلعة المرقب تتهاوى

لم تكن قلعة حلب في الشمال السوري وحدها من بين المعالم والقلاع الأثرية السورية المتضررة جراء الزلزال الذي ضرب تركيا وسوريا، حيث ألحق الزلزال العديد من الأضرار في قلعة المرقب في بانياس التابعة لمحافظة طرطوس على الشريط الساحلي السوري.

المديرية العامة للآثار والمتاحف التابعة للنظام، أشارت في بيان لها عبر حسابها الرسمي في مواقع التواصل الاجتماعي، عن إلحاق الزلزال العديد من الأضرار من الدرجتين المتوسطة والطفيفة في معالم قلعة المرقب الأثرية.

إذ تداعت العديد من أحجار الجدران وواجهات مباني القلعة التي بنيت في عام 1062 ميلادي، فوق قمّة تلّة على ارتفاع 370 م فوق سطح البحر، كما أدى الزلزال إلى سقوط كتلة من برج دائري في الجهة الشمالية.

كما أدت الهزات الأرضية إلى سقوط الجرف الصخري في محيط قلعة القدموس وانهيار بعض المباني السكنية المتموضعة في حرم القلعة.

تاريخ بناء قلعة المرقب في الساحل السوري، يعود إلى عصر الخليفة العباسي هارون الرشيد 170–193 هـ/ 789– 809 ميلادي، ثم أعيد بناؤها سنة 454 هـ/ 1062 ميلادي على يد رشيد الدين الإسماعيلي، واستمرت قائمة حتى سيطر الصليبيون على القلعة سنة 510 هـ/ 1117 ميلادي، وجعلوها حامية لهم، ثم استلمها الإسبتارية سنة 582 هـ / 1186 ميلادي، حتى هُزم الصليبيون عام 1285 ميلادي على يد السلطان قلاوون بعد معارك عنيفة وعدة محاولات، علما أن صلاح الدين الأيوبي لم ينجح في عهده من تحرير القلعة، وكذلك السلطان الظاهر بيبرس الذي حقّق نصراً، ولكنّه لم يستطع دخولها بسبب صعوبة الوصول إليها وارتفاعها وتميّز ومناعة قلعة المرقب فكانت عصيّة على الكثيرين عبر التاريخ، وبعد تحريرها علي يد السلطان قلاوون أمر بإعادة تحصين القلعة أكثر وجعل فرقته من المماليك البحرية في حمايتها.

وفي أحدث التقارير حول قلعة المرقب في عام 2022 كانت وكالة «أ. ف. ب» أشارت إلى مواظبة حارس القلعة يونس ديّوب على فتح باب قلعة المرقب يومياً، أملاً باستقبال سياح أو زوار لطالما اكتظ بهم الموقع الأثري المطل على الساحل السوري.

ومع كل إشراقة صباح كل يوم، كان ديوب (49 عاماً) يقصد القلعة المشرفة على شاطئ مدينة بانياس، حاملاً مفتاحاً حديدياً كبيراً لفتح بابها الرئيسي. ويجلس داخل غرفة خشبية اعتاد استخدامها لقطع تذاكر الزوار، الذين بات توافدهم شبه معدوم منذ اندلاع النزاع وعلى وقع الأزمة الاقتصادية الحادة التي تعيشها البلاد.

ويقول الحارس الذي تولى وظيفته قبل 15 عاماً لوكالة «فرانس برس» انه «رغم أن أبواب القلعة لا تزال مفتوحة، تمرّ أيام وأسابيع من دون أن أقطع أي تذكرة».

مواقع أخرى تتأثر

الجهات المسؤولة في النظام السوري، أعلنت كذلك من جانبها، عن تأثر عدة مواقع أخرى بالزلزال، ففي محافظة حماة وسط سوريا، أدى الزلزال إلى تأثر العديد من المباني التاريخية بالزلزال، وسقوط أجزاء من بعض الواجهات التاريخية لهذه المباني، ومنها سقوط 9م2 من واجهة عقار تاريخي أثري على ارتفاع طابقين من شريحة الجلاء، وحدوث تشققات وتصدعات في واجهات وجدران مباني أخرى تاريخية.

وفي حي الباشورة التاريخي في محافظة حماة أيضا، تضررت واجهة العقار 982 من المنطقة العقارية الثانية بسقوط حوالي 10م2 من واجهته الرئيسية وتصدعه، وفق المديرية العامة للآثار والمتاحف التابعة لحكومة دمشق.

ومن مدينة السلمية أفادت التقارير الواردة لمديرية الآثار بسقوط 1م من الجزء العلوي مئذنة جامع الإمام إسماعيل، ما أدى إلى تصدع واجهة الجامع بسبب سقوط الأجزاء المذكورة عليها، وشوهدت أجزاء متساقطة من الجدران الخارجية لقلعة شميميس وقدرت 10م2.

يذكر أن محافظة حماة، كانت تعرضت هي الأخرى لزلزال في عام 1157 ميلادي، حيث اهتزت أرض حماة بزلزال قوي أدى إلى تخريب وتهديم أسوار قلعتها. ولكن سرعان ما تدارك الملك العادل نور الدين حماة بإعادتها لما كانت عليه فبنى أسوارها وأعاد قلعتها وبنى جامعها المعروف الجامع النوري، وبجانبه المارستان النوري وبعض مبانيها ثم بنى أسوار بقية المدن التي تضررت من الزلزال مثل شيزر ودمشق، وحمص وبعلبك وحلب.

وتعد قلعة حماة، ضمن إحدى أقدم القلاع، وكانت قد بنيت على تل تجميعي كبير، وتقع على الضفة الغربية لنهر العاصي. وهذا التل هو الموقع القديم لمدينة حماة والذي أجريت فيه تنقيبات أثرية في النصف الأول من القرن العشرين، وقد دلّت هذه التنقيبات أن المدينة تعود إلى الألف الخامس قبل الميلاد وقد شهدت تطورا وازدهارا كبيرا في الألف الأول ق. م حيث كانت عاصمة مملكة حماث الآرامية.

يذكر أن الشمال السوري بدوره يحتضن العديد من القلاع والمعالم الأثرية والتاريخية في سوريا، إلا أن شدة الزلزال الذي ضرب مدنه وبلداته، والذي أدى إلى مقتل أعداد كبيرة من السوريين المهجرين قسريا من قبل النظام السوري وحليفيه الروسي والإيراني علاوة عن أبناء المنطقة، كان من الصعب في الوقت الراهن الوقوف على الأضرار التي خلفها الزلزال على المعالم الأثرية في المنطقة.

رياضة

مفاجآت ونهاية صادمة لفريق الأحلام في دوري أبطال أوروبا!

لاعبو البايرن يحتفلون بالهدف الثاني في مرمى سان جيرمان

لندن ـ «القدس العربي»:
عادل منصور

اكتملت نصف المقاعد المخصصة للثمانية الكبار في دوري أبطال أوروبا، بعد انتهاء مواجهات الأسبوع الأول لمرحلة إياب دور الـ16، التي كانت عامرة بالمفاجآت غير المتوقعة، والأمر لا يتعلق بنتائج مباريات منتصف الأسبوع الماضي فحسب، بل أيضا في علامات التعجب والاستفهام الكثيرة حول أداء أو رد فعل الأندية التي خاضت معارك العودة تحت شعار «لا بديل عن الفوز»، لتعويض خيبة أمل هزيمة منتصف فبراير / شباط الماضي، وفي الأخير، جاءت المحصلة صفرا كبيرا، باستثناء انتفاضة تشلسي أمام بوروسيا دورتموند.

لعنة البيتزا

ربما يكون أغلب النقاد والمتابعين، قد توقعوا تأهل بايرن ميونيخ على حساب باريس سان جيرمان، لكن من منا توقع ظهور النادي الباريسي بهذه النسخة المحطمة لآمال مشجعيه؟ دعك من الخسارة بهدفين نظيفين في قلب «آليانز آرينا»، بعد الاستسلام في ذهاب «حديقة الأمراء»، بهدف الابن الضال كينغسلي كومان، بل فتش عن الأسباب الجوهرية التي عصفت بمشروع «فريق الأحلام»، والأكثر قسوة، تلك الحقيقة الواضحة أمام الداني والقاصي، بعودة الفريق إلى «المربع صفر»، وفي رواية أخرى عاد إلى ما كان قبل الاقتراب من ملامسة الحلم في العام 2020، حين فعلها المدرب الأسبق توماس توخيل، بالوصول إلى المباراة النهائية للكأس ذات الأذنين للمرة الأولى في تاريخ النادي، التي خسرها أمام دابته السوداء العملاق البافاري، بخطوات مفزعة إلى الوراء من موسم لآخر، من التوقف عند الدور نصف النهائي في الموسم قبل الماضي، إلى الإقصاء المحرج من بداية مراحل خروج المغلوب للمرة الثانية على التوالي، وبنفس الانطباع القديم والفصول الباردة المحفورة في أذهان الجميع في عاصمة الموضة، برفع مستوى طموح المشجعين، بإعطاء بعض الإيحاءات واللقطات الاستعراضية لجودة فئة «السوبر ستارز» في بداية المباراة، وتحديدا في أول 45 دقيقة، بسيناريو شبه كربوني لمأساة مانشستر يونايتد في نفس المرحلة في نسخة 2019، وريال مدريد في مثل هذه الأيام من العام الماضي، وغيرها من الذكريات التعيسة في هذه المرحلة في البطولة.

لكن يبقى القاسم أو الرابط المشترك بين الخروج أمام البايرن مساء الأربعاء الماضي وبين الخروج أمام اليونايتد واللوس بلانكوس الموسم الماضي، ما يمكن وصفه بـ«لعنة البيتزا الإيطالية»، التي اكتوى عشاق «بي إس جي» من نيرانها ثلاث مرات، الأولى ما تُعرف بخطايا الأسطورة جيجي بوفون في الليلة الظلماء أمام ماركوس راشفورد وشباب «الشياطين الحمر»، بينما الثانية، فكان بطلها خليفته في عرين أسياد الدفاع جيجي دوناروما، بهديته الشهيرة أمام كريم بنزيمة، والثالثة القاضية، جاءت من مواطنهما ماركو فيراتي، بهفوة تفوق مصطلح «ساذجة»، لصعوبة فهم أو تبرير ما فعله، لحظة تسلمه الكرة وهو تحت ضغط اثنين من لاعبي الخصم، ربما كان يفكر في مراوغة ليون غوريتسكا وتوماس مولر، بلعبة أو حيلة واحدة، وربما كان يبحث عن مخالفة لتخفيف الضغط عن زملائه أو أي شيء آخر، لكن على أرض الواقع وبلغة العقل المنطق، فأقل ما يمكن قوله، إنه تسبب بشكل أو بآخر في تدمير معنويات رفاقه، بمقامرة فردية مجانية، كان من السهل تجنبها بأكثر من خيار، أبسطها إعادة الكرة إلى الحارس، أو التخلص منها إلى خارج الملعب، بالمقولة الخالدة للمعلق المصري الراحل حمادة إمام «مش عيب تلعب ع المضمون».

انتحار فني

صحيح هفوة فيراتي قلبت المباراة رأسا على عقب في الشوط الثاني، لكن هذا لا يعفي المدرب كريستوف غالتييه، من المساءلة على ما يُمكن وصفه بـ«المقامرة» أو «الانتحار» الفني، بداية من سوء تقديره لحالة المدافع البرازيلي ماركينيوس، والإصرار على الدفع به منذ البداية، على الرغم من ظهور مؤشرات مشاكل إصابته في دقائق الإحماء قبل اعتماد التشكيل الأساسي، ليدفع فاتورة باهظة الثمن، بخسارة أو حرق ورقتين من على مقاعد البدلاء، أولا بإخراج قائد الدفاع في أول نصف ساعة، وثانيا باستبدال البديل نوردي موكيلي، مع بداية الشوط الثاني، وأيضا لتجدد صداع الانتكاسة، بعد مشاركته لمدة ربع ساعة فقط، وهذا في حد ذاته، أحدث هزة كبيرة على مستوى الخط الخلفي في أول 15 دقيقة في الحصة الثانية، التي شهدت التحول الكبير في أحداث وسير المباراة، من أفضلية وتفوق باريسي في الشوط الأول، إلى سيطرة وشبه هيمنة بافارية في الشوط الحاسم. وما زاد الطين بلة وعجل بعودة النسخة الصادمة لباريس سان جيرمان في هكذا مواعيد، التأثير السلبي لبصمة المدرب الفرنسي على أداء الفريق، ولعلنا لاحظنا أن النسق أخذ منحنى منخفضا بعد مشاركة إيمري على حساب فابيان رويز، ولامس المصطلح الشائع «الحضيض الكروي»، بعد إشراك هوغو إيكيتيكي وخوان بيرنات في الدقائق العشر الأخير، والدليل على ذلك، ليس لأننا لم نشعر بهم أو حتى سمعنا المعلق ينطق أسماءهم، بل لأن خطورة النادي الباريسي، اقتصرت على ومضات سيرخيو راموس طوال الشوط الثاني، بالاعتماد على رأسه الذهبية، في التعامل مع الركنيات والكرات الثابتة من خارج مربع العمليات، ما عدا ذلك، اكتفى غالتييه، بعض أصابع الندم، على ضياع فرصة العودة وإحياء آمال الفريق في مرافقة الثمانية الكبار، بعدم استغلال البداية التعيسة لأصحاب الأرض، الذي بدا في أسوأ حالاته على الإطلاق في أول نصف ساعة، تأثرا بجيش الغائبين بداعي الإصابات وتراكم البطاقات، أبرزهم العملاق مانويل نوير، لوكاس هيرنانديز، نصير مزراوي، بنجامين بافارد، وحتى أسد التيرانغا ساديو ماني، أجلسه المدرب يوليان ناغلزمان على مقاعد البدلاء، حرصا على سلامته في الاحتكاكات القوية في بداية المباراة.

التفاصيل البسيطة

لا شك أبدا في أن التفاصيل البسيطة، لعبت دورا محوريا في نتيجة وأحداث معركة «آليانز آرينا»، والحديث عن اللقطة التي يعتبرها جُل النقاد والخبراء «منعرج المباراة»، بالتدخل البطولي للمدافع الهولندي ماتياس دي ليخت، لإنقاذ تسديدة فيتينيا من على خط المرمى، بعد هفوة يصعب هضمها من قبل الحارس سومر، الذي على ما يبدو حاول محاكاة طيب الذكر مانويل نوير، باستعراض مهارته في المراوغة والتمرير، ليسقط في المحظور، لكن من حسن حظه، أن اللاعب الباريسي لم يُحسن استغلال هدية السماء، بتسديدة أقل ما يُقال عنها تفوح منها «الرعونة»، إضافة إلى ما أشرنا أعلاه، بعدم استغلال التفوق النفسي والبدني في الشوط الأول بوجه عام، وفي أول 30 دقيقة بالأخص، وشاهدنا معاناة ألفونسو ديفيز في مبارياته الخاصة مع حكيمي في تلك الفترة، وبالمثل جوسيب ستانيشيتش في حواراته مع ميندير، صاحب التمريرة السحرية، التي وضعت ليونيل ميسي وجها لوجه مع الحارس سومر، وفي الأخير أهدرها بغرابة على 3 محاولات، فضلا عن العودة الإجبارية لغوريتسكا وكيميتش لوسط ملعبهم على طول الخط، لتقديم الدعم اللازم لثلاثي الدفاع في سباقات السرعة مع مبابي، ومحاولات عزله عن البرغوث، لكن في نهاية المطاف، لم تسر الأمور كما خطط لها غالتييه وجهازه المعاون في الشوط الأول، لتهتز الأرض تحت أقدامهم في الشوط الثاني، بظهور واحدة من أسوأ نسخ باريس سان جيرمان في عصر النهضة، ومن وجهة نظر شريحة لا يستهان بها.

لاعبو ميلان يحتفلون عقب التأهل على حساب توتنهام

والأسوأ على الإطلاق، بحالة الاستسلام التي سيطرت على كل اللاعبين بدون استثناء، وعلى إثرها اختفى السلاح أو الميزة، التي من المفترض أنها على الورق تميز باريس سان جيرمان أكثر من أي فريق آخر في أوروبا، وتكمن الإبداع والفوارق الفنية لأصوله الثمينة، إلى جانب الانهيار البدني المفاجئ، كأننا نتحدث عن أسباب الخروج في كل مرة يودع فيها الفريق الباريسي البطولة من المراحل الأولى في إقصائيات الكأس ذات الأذنين. وفي المقابل، كشر زعيم الكرة الألمانية عن أنيابه بالصورة التي رسمها لنفسه على مدار العقود الماضية، كعملاق يملك من الكاريزما والخبرة ما يكفي لحسم تأشيرة العبور للدور ربع النهائي، بصحوة جماعية وبعض التعديلات الفنية التي أجراها المدرب الثلاثيني من خارج الخطوط بين الشوطين، والتي أعادت الاتزان والتقارب بين الخطوط الثلاثة، وبعبارة أخرى حدث تحرر جماعي للاعبين، كما تجلى في طريقة الضغط على أول لاعب باريسي حامل للكرة في منتصف ملعبه، والحدة في الجمل التكتيكية المتفق عليها بن جمال موسيالا وكومان وتشوبو موتينغ، مقارنة بالمحاولات الخجولة في الشوط الأول. وفوق كل ما سبق، العمق الكبير في العناصر التي استعان بها ناغلزمان في الشوط الثاني، بإشراك أسماء بجودة وخبرة ساديو ماني وليروي ساني وكانسيلو، الذين صنعوا الفارق في الوقت المناسب كما ينبغي، وهذا يعكس التنوع والبعد في دكة الفريق البافاري، والعكس بالنسبة لنظيره الفرنسي، بعدما أثبتت التجارب، أن المدير الرياضي لويس كامبوس، لم يكن موفقا في رؤيته لمشروعه في «حديقة الأمراء»، بالانخفاض الواضح في جودة الفريق، بعد الاستغناء عن أنخيل دي ماريا وإدريس غايي وباريديس، وعدم تعويضهم ببدائل بنفس الجودة والخبرة، والإشارة إلى المزاجيين الجدد رويز، وسولير، وفيتينيا وريناتو سانشيز، وباقي الصفقات التي كبدت الخزينة حوالي 100 مليون يورو، من دون أن يقدموا أي إضافة أو لمسة تتماشى مع تطلعات الجماهير والإدارة الباريسية، ما فتح الباب على مصراعيه أمام المتربصين والشامتين، للتشكيك في المشروع برمته، باشاعات محدثة على رأس الساعة، حول مستقبل الهداف التاريخي كيليان مبابي، وشريكه في الهجوم ليونيل ميسي، بحملة جديدة في إسبانيا، تتحدث عن استعداد ريال مدريد، لإحياء المفاوضات مع بيئة الميغا ستار، إذا كانت لديه رغبة في الرحيل، أو كما يتردد، إذا تمنع على الإدارة في مفاوضات تفعيل الموسم الثالث في عقده الجديد في «حديقة الأمراء»، كما هو الحال بالنسبة للبرغوث، الذي يرتبط اسمه بطابور من الأثرياء في منطقة الخليج ودوري الميجر ليغ، مع تأخر حسم ملف تجديد عقده، الذي سينتهي بحلول فصل الصيف، فهل ستكون خيبة أمل «آليانز آرينا» والخروج المبكر من دوري الأبطال للعام الثاني على التوالي بمثابة نهاية مشروع فريق الأحلام الحالي؟ أم أن هناك خطة للاحتفاظ بالأصول الثمينة واستبدال أنصاف المواهب والكبار الذين تجاوزا مرحلة الذروة وأدمنوا لعنة الإصابات؟ هذا ما ستكشف عنه الأيام.

مفاجأة وطوق نجاة

تزامنا مع القمة الألمانية الفرنسية، كان ميلان العظيم يحتفل بوصوله للدور ربع النهائي لدوري الأبطال، لأول مرة منذ 11 عاما، بعد فرض نتيجة التعادل السلبي على مضيفه توتنهام، ليفتك البطاقة بهدف إبراهيم دياز في مجموع مباراتي الذهاب والعودة، والمثير للدهشة، أن حامل لقب الكالتشيو، يمر بأتعس لحظاته تحت قيادة ستيفانو بيولي، بسلسلة من النتائج التي وُصفت بالكارثية، وكذا منافسه اللندني، هو الآخر يسير بخطى ثابتة إلى الوراء تحت قيادة أنطونيو كونتي، الذي فقد الكثير من شغفه والحماس الجنوني المعروف عنه، ربما لشعوره بأنه لم يعد لديه ما يقدمه للديوك، وربما لتأثره برحيل صديقه ومساعده السابق جان بييرو فينتروني، وقبله صديقه المقرب جانلوكا فيالي، لكن من يعرف كونتي منذ صعوده على الساحة كمدرب في بداية العقد الماضي في سُدّة حكم يوفنتوس، يُدرك جيدا، أن الهوية والشخصية المعروفة عن فرق كونتي، مفقودة تماما مع توتنهام في الآونة الأخيرة، فهل هي مؤشرات الانفصال؟ أم سيتعلق بالقشة الأخيرة، وينجح في إنهاء حملة البريميرليغ ضمن المراكز الأربعة الأولى؟ الإجابة ستبقى في يد المدرب الإيطالي.

وفي المقابل، تنفس مدرب تشلسي غراهام بوتر الصعداء، بالحفاظ على نغمة الانتصارات للمرة الثانية على التوالي، ورد الصاع صاعين لبوروسيا دورتموند، بالفوز بثنائية رحيم ستيرلنغ وكاي هافيرتز، ردا على الهزيمة في ذهاب «سيغنال أيدونا بارك» منتصف الشهر الماضي، ليضرب المدرب الإنكليزي عصافير بالجملة بهذا الفوز، منها انتزاع بطاقة اللعب في الدور ربع النهائي، من أنياب منافس يعيش أفضل لحظاته على المستوى المحلي، لدرجة تهديد بايرن ميونيخ على لقبه المفضل طيلة العقد الماضي، واستعادة الكثير من الهدوء والثقة بالنسبة، بالفوز بأكثر من هدف للمرة الأولى هذا العام، تحديدا منذ آخر انتصار بنفس النتيجة على بورنموث يوم 27 ديسمبر / كانون الأول الماضي، إلى جانب التحسن الملموس في الأداء الجماعي والفردي، مع تمرس اللاعبين على أسلوب 2–5–3 بمشتقاتها، وهذا يظهر في صحوة كوكوريا في مركز المدافع الثالث، وارتفاع النسق ومستوى التفاهم في ثنائية كوفاشيتش وإنزو فيرنانديز، حتى الحارس كيبا، يؤدي بشكل جيد، فقط يحتاج المواصلة بنفس النسق التصاعدي، الذي يحتاج لمزيد من الاستغلال الجيد للفرص من قبل هافيرتز وجواو فيلكس وستيرلنغ وباقي المنافسين على مكان في هجوم البلوز. أما المباراة الأقل من حيث الاهتمام الإعلامي والمشاهدة الجماهيرية، التي جمعت بنفيكا بالمفاجأة السارة في دور المجموعات كلوب بروج، وانتهت بفوز كاسح وعريض لممثل الدوري البرتغالي، بلغ قوامه خماسية مقابل هدف، ليتأهل إلى دور الثمانية عن جدارة واستحقاق، بنتيجة 1–7 في مجموع مباراتي الذهاب والإياب، بعد الفوز بثنائية نظيفة في ذهاب «جان برايدال» عشية عيد الحب الأخير، ليبقى بنفيكا محافظا على السمعة الطيبة التي اكتسبها في السنوات الأخيرة، كمؤسسة يُضرب بها المثل في التقاط الجواهر الخام، التي تأتي إلى ملعب «النور» بأرقام رمزية، وفي فترة قياسية تتحول إلى نجوم ومشاريع سوبر ستارز، يُعاد بيعها بمبالغ فلكية، هذا يفسر عدم تأثرهم بخروج جيش هذا الكم الهائل من المواهب الصاعدة، آخرهم داروين نونييز وإنزو فرنانديز.

بوتر مدرب تشلسي ضرب عصافير عدة بحجر واحد

هل تكون السباعية مفتاح ريمونتادا ليفربول أمام ريال مدريد؟

لندن ـ «القدس العربي»:

«يجب أن أقول بصراحة ليفربول لا يزال فريقا رائعا في رأيي لأنهم ما زالوا قادرين على اللعب بكثافة يصعب العثور عليها، ليفربول لم يتغير، لكن إستراتيجيتنا كانت مختلفة بالتأكيد»، هذا الاقتباس الذي تفوح منه كلمات الإشادة والمجاملة اللطيفة، لم يخرج من صاحبه بعد الفوز الكاسح الذي حققه أحمر الميرسيسايد على مانشستر يونايتد بسباعية مذلة في عطلة نهاية الأسبوع الماضي، بل عندما كان الفريق في أضعف لحظاته على الإطلاق في عصر المدرب يورغن كلوب أواخر الشهر الماضي.

مقولة حكيم

بالعودة إلى محركات البحث في العالم الافتراضي بمختلف اللغات، سنجد مدرب ريال مدريد كارلو أنشيلوتي، هو من أدلى بهذه الحكمة الذهبية، ورغم أن الغالبية العظمى من أهل المركولة المجنونة، لم يأخذوا هذه العبارة على محمل الجد، في حديثه مع الصحافيين بعد الانتصار التاريخي في قلب «الأنفيلد»، بخماسية مقابل اثنين في ذهاب دور الـ16 لدوري أبطال أوروبا، إلا أنه عاد ليتصدر عناوين الصحف والمواقع الرياضية العالمية الأسبوع الماضي، لتوثيق بعد نظر الميستر كارليتو، الذي رفض الاستهانة أو التقليل من شأن عملاق الإنكليز على المستوى القاري، كأنه كان يُحذر نفسه والجميع سواء في القارة العجوز أو إنكلترا، من غضب الأسد الجريح، وعلى ما يبدو، أنه الأمر الذي لم ينتبه له مدرب «الشياطين الحمر» إيريك تن هاغ، كما تعمد أكثر من مرة استفزاز أصحاب ما يصفه المدرب الألماني بـ«القلعة المقدسة»، تارة بإظهار ما يُعرف بالشماتة الكروية، بعد سقوط الغريم الشمالي أمام الميرينغي بالخمسة، في الوقت الذي تمكن فيه من إقصاء متصدر الليغا برشلونة، وأخرى بالاستهانة بأجواء «الأنفيلد» وتأثير الجماهير النفسي على لاعبي الضيوف، ليتلقى المدرب الهولندي درساً لن يُمحى أبدا من ذاكرته. وبالتبعية، بدأ الجميع يتحدث عن عجائب وغرائب كرة القدم، واستحالة التنبؤ بحدوث أي شيء، بما في ذلك رد فعل كلوب ورجاله في مباراة رد الهيبة والكرامة أمام ريال مدريد، المقررة منتصف هذا الأسبوع على ملعب «سانتياغو بيرنابيو»، لتحديد هوية المحظوظ باللحاق بركب المتأهلين للدور ربع النهائي للكأس ذات الأذنين.

بلغة العقل والمنطق، تبدو فرص ليفربول ضئيلة للغاية قبل رحلة العلميات، وهذا ساهم في عودة الأربعاء، وذلك بطبيعة الحال، بسبب التأخر الكبير في نتيجة الذهاب، في ظل حاجة الفريق لتسجيل ما مجموعه ثلاثة أهداف، فقط لتعويض نتيجة الذهاب والوقوف على قدم المساواة مع كتيبة كارلو أنشيلوتي. بعبارة أخرى لضمان الذهاب إلى ركلات الترجيح، لكن بحسابات كرة القدم، التي علمتنا دائما وأبدا، أنها أحيانا لا تخضع لأبسط قواعد المنطق والعقل، فما بالك والحديث عن فريق مُنتش بانتصار سيبقى محفورا في الأذهان لعقود، والأمر لا يتعلق بمهرجان الأهداف غير المسبوق في تاريخ مواجهات الكبيرين في الشمال الإنكليزي فحسب، بل للرسائل المطمئنة التي تلقاها المدرب الألماني ومن خلفه الملايين من عشاق النادي، بحالة من الاستيقاظ الجماعي في مستوى أغلب الأسماء، التي كانت تمر بأوقات صعبة قبل وبعد كأس العالم، في مقدمتهم المفتاح السحري في الجهة اليمنى ترينت الكسندر أرنولد، وقلب الدفاع فيرجيل فان دايك وشريكه المفضل في محور الدفاع كوناتي، حتى المنحوس داروين نونييز، بدأ يرد على المنتقدين، بتطور مستمر في اللمسة الأخيرة، سواء ما يخص استغلال الفرص السهلة، أو التصرف بشكل جيد بالكرة في اللمسة قبل الأخيرة داخل مربع على المستوى الفردي للفرعون، أو الجماعي لهذا الجيل، الذي عانى الأمرين من كابوس اللوس بلانكوس، بداية من الهزيمة المؤلمة في نهائي نسخة 2018، مرورا بهزيمة مرحلة المجموعات نسخة 2021 بنفس نتيجة نهائي «كييف» 3–1، وخسارة نهائي «سان دوني» 2022، نهاية بخماسية الذهاب المحرجة. ولا ننسى الحملات الساخرة، التي نالت من صلاح بسبب تصريحاته الشهيرة عن الانتقام من نادي القرن بورشلونة، ونفس الأمر في موسم 2017–2018، حين ودع البطولات المحلية مبكرا تحت قيادة زين الدين زيدان، وفي الأخير احتفظ بالكأس المفضلة للمرة الثالثة على التوالي، لكن ذات مرة فعلها أياكس أمستردام بمجموعة من الشباب تحت قيادة إيريك تن هاغ، بفوز تاريخي على كبير القوم برباعية مقابل هدف في إياب دور الـ16 في نفس الشهر عام 2019، والسؤال الآن: هل ستظهر شخصية الريال الأوروبي في موقعة الأربعاء؟ أم سيجني كلوب مكاسب سياعية اليونايتد بريمونتادا تاريخية أو انتصار معنوي في قلب «سانتياغو بيرنابيو» لوقف سلسلة النتائج المحرجة أمام رفقاء كريم بنزيمة؟ دعونا ننتظر ونستمتع بالقعدة القابلة لكل الاحتمالات والسيناريوهات.

اللغة والكاريزما

من الأمور التي تبعث التفاؤل في المعسكر الأحمر، التباين الواضح في نسق اللقاءين، بصحوة واضحة لكلوب ورجاله، بتحقيق انتصارين وتعادل قبل زيارة بورنموث، وذلك بعد السقوط بالخمسة أمام الفليكي، وفي المقابل، تجرع حامل لقبي الأبطال والليغا من مرارة الهزيمة مرة أمام الغريم الأزلي برشلونة في ذهاب نصف نهائي كأس الملك، وسقط في فخ التعادل مرتين، قبل اختبار إسبانيول، كأن خماسية «الأنفيلد»، جاءت بلعنة أو روح شريرة في غرفة خلع الملابس للعملاق المدريدي، الذي تقلصت فرصه في الاحتفاظ بلقب الليغا، مع اتساع الفارق لـ11 نقطة مع فريق المدرب تشافي هيرنانديز، ونفس الأمر بالنسبة لبطولة الكأس، في ظل حاجته لتحقيق الفوز على الكتلان بأكثر من هدف في عقر دارهم «كامب نو» في مباراة الإياب، على عكس الاتجاه التصاعدي للمنافس الإنكليزي، الذي بدأ في رؤية الضوء في نهاية النفق، بهروبه من منتصف جدول ترتيب أندية البريميرليغ، والاقتراب من دائرة المنافسة على المراكز الأربعة الأولى في الدوري الإنكليزي الممتاز، بوقوفه في المركز الخامس على بعد 3 نقاط فقط من رابع الترتيب العام توتنهام، قبل مواجهات الجولة الـ26، إلى جانب صرخة صلاح ورفاقه، وما يقابله من عقم في الهجوم المدريدي في الآونة الأخيرة. لكن ما يراهن عليه عشاق النادي الأبيض، ما تُعرف بالهيبة أو الكاريزما أو شخصية البطل، التي اكتسبها من تاريخه الحافل، باعتباره سيد أسياد القارة والأكثر تتويجا بأم البطولات وبفارق الضعفين عن أقرب ملاحقيه. بمعنى آخر أن الريال الأوروبي يبقى مختلفا عن الريال المحلي، حتى لو كان في أسوأ حالاته في صراعاته مع البارسا على الليغا وكأس الملك، كما فعلها في بداية الألفية، بالتتويج بالكأس الثامنة في تاريخه على حساب فالنسيا، في نفس الموسم الذي جاء فيه طيب الذكر فيسنتي كالديرون، لإبعاد الفريق عن مراكز الهبوط في الليغا 1999–2000، وفي الأخير، أنهى الموسم في المركز الخامس، بفارق ثماني نقاط عن البطل ديبورتيفو لا كورونيا ونقطتين فقط عن الوصيف برشلونة، ونفس الأمر في موسم 2017–2018، حين ودع البطولات المحلية مبكرا تحت قيادة زين الدين زيدان، وفي الأخير احتفظ بالكأس المفضلة للمرة الثالثة على التوالي، لكن ذات مرة فعلها أياكس أمستردام بمجموعة من الشباب تحت قيادة إيريك تن هاغ، بفوز تاريخي على كبير القوم برباعية مقابل هدف في إياب دور الـ16 في نفس الشهر عام 2019، والسؤال الآن: هل ستظهر شخصية الريال الأوروبي في موقعة الأربعاء؟ أم سيجني كلوب مكاسب سياعية اليونايتد بريمونتادا تاريخية أو انتصار معنوي في قلب «سانتياغو بيرنابيو» لوقف سلسلة النتائج المحرجة أمام رفقاء كريم بنزيمة؟ دعونا ننتظر ونستمتع بالقعدة القابلة لكل الاحتمالات والسيناريوهات.

لاعبات كرة القدم على قدم المساواة مع الرجال... الآن معضلة الأمومة!

لندن ـ «القدس العربي»:

لطالما طالبت لاعبات كرة القدم بالمساواة مع نظرائهن الرجال في الأجور والمزايا والتسهيلات، ونجحت غالبيتهن في تحقيق مرادهن، لكن تبقت الآن معضلة واحدة، وهي الحمل والأمومة.

كان من النادر في كرة القدم النسوية منذ بضع سنوات أن تتزايد جرأة اللاعبات في اللجوء إلى الحمل في خضم مسيرتهن الكروية، على الرغم من الحماية الاجتماعية التي لا تزال قيد الإنشاء والاختلافات في الاستخدام حسب البلدان. «قبل أن نصبح لاعبات كرة قدم، نحن في المقام الأول نساء. أن أصبح أماً، يغيّر ذلك حياتي في الطريقة التي أرى بها الأشياء، وكيف أتصرّف»، هكذا علّقت المدافعة الكاميرونية كلودين فالون ميفوميتو البالغة من العمر 32 عاماً والتي لم تندم على حملها بعد ما يقرب من عامين من ولادة طفلتها الصغيرة، في أيار/مايو 2021. وتلعب ميفوميتو أساسية في صفوف فريقها فلوري صاحب المركز الرابع في دوري الدرجة الأولى في فرنسا، ومنتخب بلادها الكاميرون.

وبين كرة القدم والأمومة، اختارت ألا تختار، مقتنعة بأن «ذلك ممكن اليوم». ولخّصت ميفوميتو الموضوع قائلة: «فكرة طويلة، قالت العديد من الفتيات اللواتي كن ترغبن في تكوين أسرة لأنفسهن أنه سيتم فسخ عقودهن... معظمهن ينتظرن حتى نهاية مسيرتهن الكروية لإنجاب طفل. اليوم، الأمور مختلفة، إنه شعور جيد». وأكّدت المدافعة الكاميرونية أنها حصلت على دعم دائم من ناديها، من حملها إلى إجازة الأمومة، بما في ذلك فترة استعادة لياقتها البدنية، مع برنامج فردي أعدته المدربة البدنية. إجمالاً، ابتعدت عن الملاعب لمدة عشرة شهور، لكن فريق إف سي فلوري عرض عليها تمديد عقدها في صيف عام 2021.

ولم يحالفهن الحظ جميعا في السنوات الأخيرة. هكذا كشفت الأيسلندية سارة بيورك غونارسدوتير في كانون الثاني/يناير الماضي أنها عانت من تخفيض راتبها أثناء حملها، مستنكرة أيضا تحفظ ناديها ليون الفرنسي عن تلبية متطلبات أم شابة عند عودتها إلى المنافسة، كالرضاعة أثناء التنقلات. وحظيت غونارسدوتير لاحقا بدعم محكمة كرة القدم في الاتحاد الدولي للعبة (فيفا)، واستعادت رواتبها غير المدفوعة بعد معركة قانونية طويلة، لكنها نالت دعما من أيقونات كرة القدم النسائية العالمية. ووصفت الأمريكية ميغان رابينو صاحبة الكرة الذهبية لأفضل لاعبة في العالم عام 2019، سلوك نادي ليون بـ«المخزي»، مشيرة إلى «الطريق الطويل الذي يجب أن نقطعه من حيث الثقافة».

وتتقدّم الأمريكيات بالفعل بخطوة في هذا الموضوع. وتم إدراج الأمومة لسنوات عدة في العقد الذي يربط اللاعبات الدوليات باتحاد بلادهم للعبة، ولكن على المستوى العالمي، فإن عدد الأمهات اللاتي يلعبن كرة القدم قليل. ومن بين 3500 لاعبة في أبرز البطولات اللواتي تم استجوابهن في أحدث دراسة أجرتها النقابة العالمية للاعبين (فيفبرو) حول هذا الموضوع، في عام 2017، كان 2% فقط لديهن طفل. ومن بين هؤلاء، 8% فقط حظين بتعويض عن الأمومة من النادي أو الاتحاد. واتخذ هذا الملف منعطفا كبيرا في كانون الثاني/يناير 2021، مع نشر الفيفا لإطار قانوني جديد. وتفرض الهيئة الدولية الآن على الاتحادات المحلية «مدة لا تقل عن 14 أسبوعا إجازة مدفوعة الأجر، بينها ثمانية على الأقل تُمنح بعد ولادة الطفل»، مصحوبة بالتزام بدفع «ثلثي» راتب اللاعبة كحد أدنى.

شيء فشيء، باتت الأندية تعتاد على تكييف حياتها اليومية مع احتياجات الأمهات الشابات. هذه هي حالة نادي ليون الذي واجه حالة ولادة جديدة تتعلق بالفرنسية أمال ماجري، والدة مريم الصغيرة منذ شهر تموز/يوليو. وقالت لوسائل إعلام النادي عقب عودتها إلى المنافسات في كانون الثاني/يناير الماضي: «سمح لي النادي بالسفر (لخوض المباريات) مع مريم والمربية. هذا يسمح لي بممارسة رياضتي على أكمل وجه. وكل أوقات راحتي يمكنني أن أقضيها مع ابنتي».

ويقوم الاتحاد الفرنسي لكرة القدم حاليا بإعداد مخطط يسمح لها، في حال اختيارها ضمن صفوف المنتخب، بمرافقة ابنتها معها إلى كأس العالم المقررة في أستراليا ونيوزيلندا هذا الصيف. وكانت حارسة المرمى مانون هيل أول أم استدعيت الى صفوف منتخب فرنسا خلال المعسكر الاعدادي الأخير. وعلقت الدولية إستريل كاساكارينو قائلة: «قبل بضع سنوات، كان يبدو لي أن (التفكير في الحمل) بعيد المنال لدرجة أننا لم نكن نقدر حتى على التحدث عنه، حتى أنه لم يخطر على أذهاننا». وأضافت: «الآن الفتيات اللواتي يرغبن في أن يصبحن لاعبات كرة قدم يعرفن أنهن يمكن أن يحملن خلال مسيرتهن الكروية». لكن لا يزال هناك الكثير من التقدم الذي يتعين إحرازه. لم يتم بعد تطبيق قوانين الفيفا على المستوى الوطني.

وفي فرنسا، تشير قوانين اللاعبة الفيدرالية حاليا إلى الأمومة بإيجاز فقط، لكنها يمكن أن تتغير مع التأسيس المرتقب لرابطة السيدات المحترفات. وفي إيطاليا، على سبيل المثال، أتاح الانتقال إلى الاحتراف في صيف 2022 للاعبات الحصول على تغطية كاملة للأمومة. حتى ذلك الحين، كان الأمر جزئيا فقط.

ميسي على مفترق طرق في مشروع آيل للسقوط!

عندما قرر النجم الأرجنتيني ليونيل ميسي ترك فريق حياته برشلونة لينتقل الى عالم جديد في الصيف قبل الماضي، فانه استقبل في باريس على انه القطعة النفيسة المفقودة في التاج المرصع باللآلئ، وأنه سيكون مفتاح حل شفرة الفوز بلقب دوري أبطال أوروبا الذي ظل بعيد المنال عن نادي العاصمة الفرنسية.

اليوم وبعد خيبة جديدة، باقصاء مبكر من أدوار خروج المغلوب في المسابقة الاشهر عالمياً، بات ملحاً على ادارة النادي القطرية أخذ قرارات حاسمة، أهمها اعادة النظر في السياسة المتبعة منذ تملك النادي، والقائمة على ضم أبرز الأسماء اللامعة في عالم كرة القدم، مع تكاليف باهظة، اما عبر دفع بدل انتقالات خيالية او رواتب فلكية، لأن الأهداف منها تحققت، وأبرزها توسيع القاعدة الشعبية العالمية عبر جذب شرائح جديدة من المعجبين والأنصار العاشقين للنجوم والأسماء الكبيرة، لكن في عالم كرة القدم بات معروفاً أن مجموعة من الأسماء اللامعة لا تصنع بالضرورة فريقاً ناجحاً، فجمع الثلاثي الهجومي الرهيب ميسي ومبابي ونيمار، لن يمنع مدافعي الخصوم من ايجاد وسائل لايقافهم، عدا عن تحذيرات كل حين وآخر من اليويفا والفيفا مع التذكير بضرورة التقيد بقانون العدل المالي، فبات ملحاً الآن التفكير باستراتيجية مختلفة، خصوصا ان النادي بات يتعين عليه تفريغ فريقه من البدائل المناسبين والاحتياطيين الملائمين للنجوم الكبار، لتقليص الكلفة العامة، واعطاء فرصة لصغار السن وهم في حالة التعلم واكتساب الخبرة، ما يقود الى خلل في توازن خطوط الفريق.

ربما أكثر الاسماء طرحاً للاستغناء عنه ربما ميسي، رغم ان النادي أشبع انه مل من تقاليع نجمه البرازيلي نيمار، بسبب صخب حياته الخاصة وكثرة غيابه بداعي الاصابة خصوصا في فترات مهمة وحساسة في مسيرة النادي كل موسم. وحتى التفكير في ابقاء مبابي لم يعد يطرح بعد تأكيد النجم الفرنسي على ان الاقصاء المبكر من دوري الابطال لن يلعب دوراً في تحديد مستقبله مع الفريق، لكن مع ميسي يبقى الأمر مختلفاً، خصوصا ان عقده ينتهي بعد 3 شهور، من دون ان يحدد أي مؤشر لمستقبله. فابن الخامسة والثلاثين يدرك أن خياراته كثيرة، أبرزها البقاء والتمديد لعام آخر مع أمل فك عقدة النادي مع المسابقة الاوروبية، لكن أيضا كان هناك اجتماع ضم والده خورخي، وهو وكيل أعماله أيضا، مع رئيس نادي برشلونة خوان لابورتا، لكن كل ما طرح كان عن امكانية عودة بطل العالم في المستقبل البعيد، وليس في الموسم المقبل، فيما كثرت الأخبار من الولايات المتحدة، وتحديدا من النادي الذي يملكه بالشراكة النجم الانكليزي السابق ديفيد بيكهام، انتر ميامي، عن أن رابطة دوري المحترفين الأمريكي، ستفعل كل شيء ممكن لتسهيل عملية ضم نادي ولاية فلوريدا ليسي. مع تأكيد ان النادي الأمريكي كشف كل أوراقه أمام فريق المفاوضين الذي يمثل الاسطورة الأرجنتينية، رغم ان هذا قد يكون خيارا ملائماً في حين آخر، مثلما استبعد ميسي عودته الآنية الى نادي بداياته نيولز أولد بويز لأنه يريد ان يلعب منافسات النخبة حتى موعد كأس العالم القادمة في 2026.

لكن أكثر الأصوات العالية يأتي من الرياض، خصوصاً مع اعتراف ميسي انه زار السعودية 3 مرات في أقل من عام، خصوصاً باعتباره «سفير السياحة» للمملكة، آخرها كانت المشاركة في مباراة النجوم ضد فريق يلعب فيه كريستيانو رونالدو في مطلع العام الجاري، مع اشاعات بأن نادي الهلال، المنافس الشرس لنادي رونالدو الحالي النصر، قدم عرضاً منذ أسابيع للنجم الأرجنتيني، يفوق ما قدمه النصر للنجم البرتغالي.

ميسي الذي سجل 29 هدفاً في 64 مباراة لسان جيرمان منذ رحيله عن برشلونة قبل صيفين، يدرك ان النادي الباريسي وصل ذروته من جهة تجهيز أفضل فريق يضم أسماء لامعة على غرار نيمار ومبابي وحكيمي ودوناروما وراموس وفيراتي، وأنه الآن سيفكر في عمليات تقليص أعداد النجوم لخفض مجموع الرواتب في ظل الضغوطات من الاتحاد الاوروبي لكرة القدم، واعطاء فرصة أكبر لصغار السن، لكن هذا لا يعني ان ميسي لن يكون جزءاً من هذا الفريق بحلول الموسم المقبل، رغم ان كل ما تبقى هو الاتفاق على الراتب والتوقيع.

الظروف تلعب دوراً دائماً في تحديد نية ميسي، ومنها بقاء مبابي او رحيله أو حتى استمرار الادارة القطرية في دعم هذا المشروع، والأهم بقاء تنافسه على الألقاب الفردية وبينها جائزة الكرة الذهبية، والتي يعد أبرز المرشحين لهارفع الاقصاء من دوري الأبطال، لكن بفضل فوزه بكأس العالم، وتسجيله 30 هدفا وصنعه 20 في 36 مباراة لسان جيرمان ومنتخب بلاده الأرجنتين، يبقى ميسي مطلوبا ومرغوباً به، لكن السؤال الأهم يبقى: ميسي نفسه ماذا يريد؟

@khaldounElcheik

مجتمع

الباحث والمؤرخ الفلسطيني أحمد الباش ورحلة توثيق الذاكرة الشعبية الفلسطينية بين الماضي والحاضر

سامان فخري

نحو الجنوب الغربي من مملكة السويد، في مدينة هلسنبوري ذات الكثافة العربية والفلسطينية والجاليات المهاجرة إلى هذا البلد، يسكن الباحث والمؤرخ الفلسطيني أحمد الباش مع أسرته، منكباً جل وقته على حاسوبه الذي يحوي الكثير عن وطنه فلسطين، سواء الآلاف من الصور القديمة والحديثة عن القرى والمدن الفلسطينية بما فيها أحوال سكانها قبل وخلال وبعد الاحتلال الإسرئيلي إلى يومنا الحالي. وكذلك المئات من الخرائط والوثائق التي نشرت عن فلسطين منذ عشرات السنين. وفي زاوية من زوايا أحد ملفاته الإلكترونية، اطلعنا الباش على العشرات من المقابلات الشخصية بالصوت والصورة لمسنين من كافة المدن والقرى والبلدات الفلسطينية، عايشوا أحداث النكبة عام 48 وثقها الباش على نفقته الخاصة كمرجع مرئي عن تاريخ النكبة الفلسطينية.

وصل أحمد الباش إلى السويد عام 2014 مهاجرا إليها من مخيم اليرموك في دمشق الذي ولد فيه عام 1963 من عائلة فلسطينية تنحدر من قرية تحمل ثلاثة أسماء، طيرة الكرمل، وطيرة حيفا، وطيرة اللوز، بقضاء حيفا بعد أن هجرت منها عام 48 ابان الاحتلال الإسرائيلي.

درس المراحل الأساسية في مدارس الأونروا داخل المخيم وتدرج في التعليم حتى حصل على دبلوم في دراسات اللاجئين وفي العلاقات العامة، وعلى العديد من الشهادات في مختلف المجالات.

ألف الباش العديد من الكتب والقصص التي في مجملها توثق للذاكرة الشعبية الفلسطينية.

يقول الباش لـ«القدس العربي» أن «الإنسان إبن بيئته ومجتمعه، وللبيئة عناصرها المتعددة التي منها الجغرافية والاقتصادية، والسياسية والعلمية، الاجتماعية والدينية، وهي تساهم مجتمعة في تكوين شخصية الإنسان».

ولعلّ المراحل الأولى من حياته تكون أكثر تأثيرا على شخصيّته، لأنه يكون فيها متلقيا غير مؤثّر وغير فاعل، وقد يكون لتلك البيئة امتداداتها بالتأثير على مجمل حياته، مع إمكانية أن تتلبّسه حتى الممات، وقد يكون الإنسان من الناقمين على تلك التأثيرات، فيزيلها ويتخلص منها لعدم موافقتها له في فترات النّضوج عند تحديد وتبلور فكره ومعتقداته.

«ولدت لعائلة مكوّنة من 11 فرداً، أب وأم وتسعة أبناء، ستة ذكور وثلاث إناث، وكان ترتيبي بينهم السابع. تميّز والدي بصوته الجميل الذي جعله مغنيا شعبيا (المغني الشعبي مصطفى الشاربين «الباش» أبو حسن) لذلك عرف بإحيائه أعراس العائلة، وعائلات الحمولة، وبعض أعراس أبناء القرية، وقد أهّله ذلك أيضا إلى تصوير العرس الفلسطيني بتفاصيله الكاملة لإحدى المحطات التلفزيونية العربية.

كما ان دور شقيقي الأكبر الباحث الدكتور حسن الباش رحمه الله على إثراء معرفتي في الذاكرة الشعبية كان كبيراً حيث ألف قرابة الخمسين مؤلفاً في التراث الشعبي والأدب الفلسطيني ومقارنة الأديان، تعد اليوم من المراجع المهمة للباحثين وطلبة العلم. وأنا كلاجئ فلسطيني مشرّد عن وطنه قسرا، ينحدر من عائلة فلسطينية تنتمي لقرية كانت في العام 1948 من أكبر القرى الفلسطينية في لواء حيفا من حيث عدد السكان 10– 12 ألف نسمة آنذاك، ولدت في الشّتات الفلسطيني مخيم اليرموك، الذي استحق بجدارة تسميته بعاصمة الشّتات الفلسطيني.

الأول مخيمات سوريا، ولكن اندلاع الحرب في سوريا في 2011 اضطرني لمغادرة البلد إلى مصر ثم ليبيا حتى وصلت إلى لبنان عام 2014. ما أتاح لي المكوث فيها خمسة أشهر بانتظار لمّ الشّمل إلى السّويد، فتمكنت من الاطلاع عن كثب على المخيّمات الفلسطينية هناك، ما ساعدني لاحقا على إعدادي للجزء الثاني من الموسوعة، مخيمات لبنان. وفي نهاية عام 2014 وصلت السويد، وتفرغت للكتابة في الموسوعة، وتمكنت من إصدار الجزء الأول منها والذي وقع في 250 صفحة وتضمن التوثيق لـ15مخيما في الساحة السورية. وفي العام 2020 أردفته بطباعة الجزء الثاني للموسوعة والذي وقع في 450 صفحة، وتضمن الكتاب التوثيق لـ16 مخيما، وللعديد من التجمعات الفلسطينية الأخرى في لبنان.

واستعد الآن لطباعة الجزء الثالث منها موسوعة المخيمات الفلسطينية في الأردن والتي أوثق فيها لـ13 مخيما وثمانية تجمعات هي بمثابة مخيمات غير معترف بها من قبل الأونروا، والكتاب يقع بحدود ثلاثمئة صفحة».

التاريخ الشفوي وإحياء الذاكرة الشعبية

يقول أحمد الباش فيما يخص تعمقه في مجال الذاكرة الشعبية الفلسطينية «بدأت العمل في التاريخ الشفوي وتسجيل لقاءات شهود النكبة الفلسطينية منذ العام 1995 وأجريت عشرات اللقاءات مع من عاش في قريتنا طيرة حيفا، لإعداد كتابي الأول (طيرة حيفا). استمر ذلك لثلاث سنوات.

ولكن في تجمع العودة الفلسطيني الذي كنت عضواً فيه، كلّفت في العام 2009 برئاسة قسم التوثيق والتاريخ الشفوي فأنجزت مع فريق عمل متخصص قرابة الألف لقاء بمعدل ثلاثة آلاف ساعة».

هنا ممكن أن ننوه بأن الهدف الأساسي من تلك التسجيلات كان لكتابة الرواية الحقيقية للنكبة الفلسطينية، ولإحياء القرى الفلسطينية المدمرة وتوثيق معالمها التي كانت عليها قبل النكبة، كما الاستفادة منها في توثيق المخيمات الفلسطينية، إضافة لإعداد برامج تلفزيونية تصبّ في تلك الأهداف.

نتاجات غزيرة ونشاط دؤوب

وليست موسوعة المخيمات الفلسطينية النتاج الوحيد للباحث والمؤرخ أحمد الباش رغم انها تعد من أهم مؤلفاته، فقد نشر العديد من الكتب والدراسات والأبحاث تنوعت من ناحية الشكل والمضمون غير انها تتلاقى عند مشترك ربما يكون موحداً لقلمه الذي اضحى محملاً بالذاكرة الشعبية الفلسطينية التي حسب تحليله قد اكتسبها من بيئته وأسرته. ومن هذه المؤلفات: «طيرة حيفا كرمليّة الجذور فلسطينيّة الانتماء» و«سلسلة القرى الفلسطينية» في قصص للأطفال و«المأكولات الشعبية الفلسطينية–هوية وطن» ترجم إلى اللغة السّويدية وكتاب «حق العودة في القرار الرسمي العربي» و«قراءة نقدية لتجربة العمل الأهلي الفلسطيني في سوريا (لجان حق العودة)».

كان لهذه المعطيات التأثير الكبير على شخصيّتي، وكلّ التأثير على مراحل نشأتي الأولى، وحدّدت مسيرتي البحثية فيما بعد، والتخصص الذي اخترت أن أعمل به».

موسوعة المخيمات الفلسطينية

هي عمل توثيقي موسوعي كبير، قد يصل عدد صفحاته لأكثر من 2000 يتناول جميع نواحي الحياة في المخيمات الفلسطينية في أماكن عمل الأونروا الخمسة (سوريا ولبنان والأردن والضفة الغربية وقطاع غزة) منذ عام 1948 حتى الآن وما طرأ عليها من تبدلات على كافة الصّعد.

ويقول الباش «مع إنطلاقة انتفاضة الأقصى عام 2000 والتي سبقها بأشهر تشكيل لجان حق العودة في سوريا، أصبحنا بحاجة لواكبة المخيمات الفلسطينية في حراكها أثناء تلك الانتفاضة، كونها كانت المحرك الأساسي لها، ولعدم وجود مراجع تبحث بشكل موسع عن تلك المخيمات، أخذت على عاتقي البدء بعمل موسوعي يشمل توثيق كل المخيمات الفلسطينية، وجمعها في كتاب واحد، والتي كانت تقارب السبعين مخيما، ما بين مخيم مدمّر ومهجّر، ومزال ومخيم قائم.

وبدأت مشروعي الكبير بحصر تلك المخيمات والبحث عن المعلومات التي توثق حراكها ونشأتها والمراحل التي مرت بها والتبدلات التي طرأت عليها. واستمرت عملية البحث قرابة السّبع سنوات بشكل متقطع، وكان هناك شح بالمواد، ورغم ذلك جمعت مادة قاربت الألف صفحة بين صحف ومجلات وصور وخرائط وإحصاءات.

وبدأت بعدها أتجهز لطباعة الموسوعة بجزئها

وافل

المكونات

كوب دقيق عادي
كوب دقيق قمح كامل
رشة ملح
2 ملعقة كبيرة سكر
2 ملعقة كبيرة زيت
كوب وربع ماء
2 ملعقة صغيرة فانيليا سائلة
2 ملعقة صغيرة بيكنغ باودر

طريقة التحضير

في وعاء كبير، نضع المكونات الجافة الدقيق العادي، ودقيق القمح الكامل، السكر، والبكينغ باودر، والملح، ونخلط جيداً حتى تمتزج المكونات معا.

نصنع حفرة في وسط الوعاء، ونضيف الزيت، والماء، والفانيليا، ونخلط المكونات الجافة مع السائلة باستخدام الخفاقة حتى نحصل على خليط ناعم القوام.

نسخن صانعة الوافل، ثم نسكب مقدارا من الخليط، ونتركه حتى ينضج لمدة 7 دقائق تقريباً.

نكرر الخطوة السابقة حتى نفاد الكمية.

نخرج قطعة الوافل، ونقدمها مع الصوص المفضل.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بإرسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

هل اللحوم المزروعة في المختبر «نباتية»؟

يتوجه البعض للاعتماد على التغذية النباتية لأسباب متعددة منها الاهتمام بالصحة أو خلال مواسم الأعياد الدينية أو لقناعتهم بالضرر البيئي الذي تسببه وسائل تربية الحيوانات أو ببساطة لعدم تقبل البعض مذاق اللحوم نفسها.

وقد يرغب بعض الأشخاص الذين يعتمدون على النظام الغذائي النباتي في تناول اللحوم بين فترة وأخرى. فما هو الحل لتلك المعضلة؟

كانت هناك إجابة بأن اللحوم المزروعة في المختبر أو ما يطلق عليها «اللحوم المستنبتة معمليا» والتي أعلنت إدارة الغذاء والدواء الأمريكية انها آمنة وقابلة للأكل. إلا أن هذا الأمر أثار حفيظة عدد من المنظمات التي تعارض انتشار عمليات تربية وذبح الحيوانات.

تقول إيلا مارشال، نائبة مدير العلامات التجارية لجمعية النباتيين، أقدم جمعية نباتية في العالم إنه «لا يمكننا دعم اللحوم المزروعة في المختبر بشكل رسمي، لأن الحيوانات لا تزال تستخدم في إنتاجها لن نتمكن من تسجيل مثل هذه المنتجات التي تحمل العلامة التجارية النباتية» وذلك في رسالة بالبريد الإلكتروني إلى موقع «وايرد» التقني المتخصص.

ومع توفر اللحوم المزروعة في المختبر بشكل رخيص ومستدام من البروتين الذي لا يتطلب معاناة الحيوانات، فإن النباتيين سيواجهون أزمة هوية ومعركة شرسة مع أنصار اللحوم المستنبتة معمليا.

ويقول الموقع الأمريكي المتخصص في التنقية إن هذا الأمر سينتج عنه صراع بين النباتيين الذين حددوا فلسفتهم من خلال تجنب تناول المنتجات الحيوانية، وأولئك الذين يؤمنون بإعادة هيكلة أكثر جذرية لعلاقات الإنسان مع عالم الحيوان.

وتتضمن زراعة اللحوم أخذ الخلايا الجذعية من الحيوان وتنميتها داخل مفاعلات حيوية. وعملية أخذ تلك الخلايا أقل إيلامًا من العديد من الإجراءات التي قد يتحملها الحيوان خلال حياته في المزرعة وحتى ذبحه.

في هذه المفاعلات الحيوية، تنخدع الخلايا بالاعتقاد بأنها لا تزال داخل جسم الحيوان، حيث يتم الاحتفاظ بها في بيئة مكونة من العناصر الغذائية مثل الأحماض الأمينية والفيتامينات والكربوهيدرات والبروتينات لتنمو وتتطور إلى عضلات بأشكال مختلفة. وبعدما يصل اللحم إلى الحجم المطلوب، يتم حصاد المنتج ومعالجته بأي شكل يرغب المصنعون في بيعه.

ويتردد بعض النباتيين في اعتبار اللحوم المزروعة في المختبر نباتية، معتقدين أنها تنتهك التعريف التقليدي للنزعة النباتية كفلسفة تسعى إلى استبعاد قدر الإمكان جميع أشكال استغلال وقسوة على الحيوانات وبالتبعية، تعزز تطوير واستخدام بدائل خالية من الحيوانات لصالح الحيوانات والبشر والبيئة، فيما يرى البعض أن حصاد عدة خلايا جذعية من عدد محدود من الحيوانات لتنميتها في المختبرات يقلل للغاية من عدد الحيوانات التي تذبح بهدف الحصول على لحمها.

يقول غراي إل. فرانكيون الفيلسوف والأستاذ بجامعة روتجرز ومؤلف كتاب «2020 لماذا يهم الأمر النباتيين: القيمة الأخلاقية للحيوانات إن «اللحوم المزروعة في المختبر هي وسيلة للتحايل تهدف إلى جعل الناس يشعرون بالرضا عن أكل الحيوانات، ولن تؤدي إلا إلى زيادة اللحوم التقليدية وليس استبدالها بأي حال من الأحوال. وأن ما يجب علينا فعله هو الترويج للنباتية».

لكن على جانب آخر، قد تحل اللحوم المزروعة في المختبر بعض المشكلات النباتية، إلا أنها قد تعاقب الآخرين من خلال عدم التغاضي عن ميول آكلة اللحوم تماما.

ويرى البعض أن مثل هذا النقاش الفلسفي قد يؤدي إلى تأخير انتشار تناول اللحوم المنتجة معملياً وخلال ذلك تستمر معاناة الحيوانات من التربية وإلى الذبح إلى جانب الآثار البيئية والاقتصادية الناتجة عن ذلك وهو أيضاً ما قد يسبب ابتعاد آكلي اللحوم أنفسهم عن الاعتماد في وقت قريب على هذا النوع من اللحم والابتعاد عن تناول لحوم الحيوانات الحية.

يقول إد وينترز، الكتاب والمؤلف والناشط في مجال التغذية النباتية إن «الطريقة الوحيدة لإطعام 8 مليارات شخص الآن، و10 مليارات شخص في العقود المقبلة، هي من خلال ثورة علمية لنظامنا الغذائي». Dw

الحمل
مبادرتك لعمل الخير تريحك

الثور
كن صبوراً في التعامل مع الآخرين

الجوزاء
عصبيتك تضعك في مواجهة الزملاء

السرطان
يوم مهم جدا من الناحية العاطفية

الاسد
لا تضع نفسك في وضع المواجهة

العذراء
قرار جديد يُفرض عليك في العمل لا تحبه

الميزان
يزداد تعلقك بالشريك أكثر

العقرب
بعض الأفكار التي تطرحها بالعمل مهمة

القوس
تتخلص من الآلام التي كانت تصيبك

الجدي
تدخل اليوم في مشروع عمل جديد

الدلو
الحرص مطلوب بالفعل

الحوت
لا تتخذ قرارات نهائية بمفردك

جديد الطب

منظمة «سيف ذي تشيلدرن»: إعادة بناء المدارس والمستشفيات في تيغراي «أولوية»

أكدت رئيسة المنظمة غير الحكومية «سيف ذي تشيلدرن» في الولايات المتحدة جانتي سوربيتو أنّ إعادة بناء المدارس والمستشفيات في تيغراي في شمال إثيوبيا «أولوية» بعد سنتين من النزاع المدمر الذي شهده الإقليم.

وقالت سوربيتو العائدة من زيارة إلى المنطقة التي لا يسمح للصحافيين بدخولها، إنه بعد أربعة أشهر على اتفاق السلام بين الحكومة الفدرالية وسلطات المتمردين في الإقليم ما زالت الأدوية والمواد الغذائية غير كافية في المنطقة التي عُزلت عن العالم إلى حد كبير خلال نزاع شهد انتهاكات عديدة وامتد إلى مناطق عفر وأمهرة المجاورتين.

وفي سؤال: عدت للتو من تيغراي. كيف تصفين الوضع هناك؟

كان الجواب: توقعت أن يكون الوضع مروعًا وهذا ما رأيناه وسمعناه فعلاً. لكنني تأثرت أيضًا بصمود شعب تيغراي.

في ميكيلي (عاصمة الإقليم) نرى عودة الحياة إلى طبيعتها. هناك مطاعم وشركات وسوق وأنشطة ومحال تجارية مفتوحة. أنا متأكدة من عدم وجود كل السلع المطلوبة، ولكن في المدن (في تيغراي) نرى التعافي.

إنه أمر إيجابي، لكن 80 أو90 في المئة من البنى التحتية للصحة والتعليم تضررت أو دُمّرت تمامًا وهذه مشكلة. ما زال الأساتذة والأطباء لا يتقاضون رواتبهم، ما يحول دون استئناف عمل هذه الخدمات العامة، وهي ضرورية لعودة الحياة إلى طبيعتها، إذا جاز التعبير.

وعندما سؤلت ما هي أهم احتياجات المنطقة؟ قالت كل شيء يجب إعادة بناء البنى التحتية. شبكات المياه، الآبار، المضخات... عدد كبير منها مدمّر. رأيت صور مستشفيات مدمّرة بالكامل. لم تُسرق المعدات فحسب، بل تم تحطيم أجهزة الأشعة السينية، وسُرقت جميع المعدات وحتى الثلاجات وأصبحت كل المباني غير صالحة للاستخدام.

إذاً إعادة بناء المدارس والبنى التحتية الصحية هي الأولوية رقم واحد والمطلقة.

ولكن هناك أيضًا ما هو غير مرئي. الحالات النفسية والصدمات كيف نضمن حصول هؤلاء على الدعم النفسي والعقلي الذي يحتاجون إليه؟

أعتقد أن كل شيء مفقود. فيما يتعلق بالأدوية، تمكنا من إدخال بعضها من جديد، ولكن هناك نقص عام يمثل مشكلة وطنية (في إثيوبيا) أكثر من كونها مشكلة خاصة بتيغراي. إذاً إنها مشكلة على نطاق أوسع، لكن سيستغرق توفر المستوى المطلوب من الأدوية التي نحتاج إليها وقتًا.

ولا يوجد ما يكفي من الطعام. وما زال يتعين علينا حمل الأموال النقدية لأداء وظائفنا الأساسية في المنطقة لأن النظام المصرفي لم يفعّل بالكامل، وخصوصاً في المناطق الريفية.

وبخصوص دور المساعدات الإنسانية في إنجاح عملية السلام؟

قالت «أعتقد أنها مهمة جداً. كما تعلمون، بدون تعليم، من الصعب جداً الحفاظ على عملية السلام. يجب أن نعيد الأطفال إلى المدرسة في أقرب وقت ممكن ...لكي يعوّضوا تأخرهم. في تيغراي، لم يذهبوا إلى المدرسة منذ ثلاث سنوات. تعويض التأخير، وتحفيز الأطفال على تسريع تعلّمهم أو الوصول إلى المستوى المطلوب، مهمة ضخمة بحد ذاتها. وأعتقد أنّ الصحة وتعليم الأطفال وعملية مصالحة تشمل الجميع، عوامل ضرورية للحفاظ على السلام».

باحثون يتوصلون إلى أسباب الاكتئاب وضعف الذاكرة لدى كبار السن ويقتربون من العلاج

لندن ـ «القدس العربي»:

تمكن باحثون في كوريا الجنوبية من تحديد أسباب الاكتئاب وفقدان الذاكرة لدى كبار السن، وهو ما يمكن أن يكون الخطوة الأولى باتجاه علاج هذه الحالات وتحسين حياة من يتقدمون في العمر.

ويقول الباحثون إن هناك «فتيلا» صغيرا بطيء الاحتراق مرتبط بنهايات كل كروموسومات الإنسان، ومع تقدم الشخص في العمر بشكل طبيعي، تفقد كل خلية من خلايا جسمه المزيد والمزيد من هذا الخط الواهب للحياة.

وحسب تقرير نشره موقع «ساينس ألرت» فقد توصل الباحثون إلى أن هذا الفتيل، المعروف باسم التيلومير، قصير بشكل غير عادي في خلايا كبار السن الذين يتمتعون بصحة جيدة نسبيا لكنهم لاحظوا علامات مبكرة لأعراض الاكتئاب والتدهور المعرفي، مثل فقدان الذاكرة.

وتقدم التجربة العشوائية المضبوطة المزيد من الأدلة على فرضية التيلومير الخاصة بالشيخوخة، والتي تفترض أن جميع الخلايا وصلت إلى نقطة لم يعد بإمكانها الانقسام والتكاثر فيها. والتيلوميرات هي في الأساس «الساعات الجزيئية التي تصل إلى الصفر النهائي، ويبدو أن العد التنازلي يتسرع بسبب الإجهاد المزمن وربما الاكتئاب.

كما أنها سلاسل متكررة من الحمض النووي تشكل «أغطية» واقية على نهايات كروموسومات الخلية. وفي كل مرة تنقسم فيها الخلية وتتكاثر، تنمو التيلوميرات بشكل أقصر قليلا، وتتضاءل صفاتها الوقائية.

وعندما تصل التيلوميرات أخيرا إلى نهايتها، تتوقف الخلية عن الانقسام وتدخل في حالة تشبه الزومبي. ووفقا للفرضية، إذا لم يقم نظام إعادة التدوير في الجسم بإزالة خلايا الزومبي هذه، يمكن أن يساهم هذا في حدوث المرض في أي مكان في الجسم.

وسواء قبلت هذه الفرضية أم لا، فمن الواضح أن التيلومير المتقلص يرتبط ارتباطا وثيقا بالشيخوخة، ليس فقط للخلية ولكن للكائن الحي بأكمله.

وأظهرت العديد من الدراسات أن طول التيلوميرات لدى الأفراد الأكبر سنا يتماشى بشكل وثيق مع الضعف الإدراكي والاكتئاب.

وتم استخدام الخسائر الجسدية التي يمكن أن يتحملها الاكتئاب المزمن أو ارتباطاته بالالتهاب لتفسير سبب تسارع الشيخوخة في أدمغة وتيلوميرات بعض الأفراد الأكبر سنا.

ويدعم البحث الجديد من كوريا الجنوبية هذا التفسير، حتى فيما يتعلق بالاكتئاب في مراحله الأولى.

وشملت التجربة 137 متطوعا تتراوح أعمارهم بين 60 و79 عاما. في النهاية، أولئك الذين عانوا من أعراض الاكتئاب واشتكوا من مشاكل في الإدراك كانوا أكثر عرضة لامتلاك تيلوميرات أقصر.

وارتبطت هذه التيلوميرات الأقصر أيضا بزيادة مستويات إنترلوكين 6 «IL-6» والتي يمكن أن تكون بمثابة سيتوكين مؤيد للالتهابات، بالإضافة إلى ميوكين مضاد للالتهابات في الدم.

وكتب جراح الأعصاب ميونغ هون هان وزملاؤه من مستشفى جوري بجامعة هانيانغ: «بناء على النتائج التي توصلنا إليها، نعتقد أن تقصير طول التيلومير لدى كبار السن لا يرتبط فقط بالاكتئاب المتقدم ولكن أيضا بأعراض الاكتئاب المبكرة. تقصير طول التيلومير مرتبط بزيادة مستويات IL-6 لدى كبار السن، ونتوقع أن IL-6 قد يكون سيتوكينا متورطا في الاكتئاب من المراحل المبكرة إلى الاكتئاب المتقدم».

وأصبح الالتهاب المزمن المشتبه به الرئيسي في العديد من الأمراض المرتبطة بالعمر في السنوات الأخيرة، بما في ذلك مرض الزهايمر.

واليوم، من المعروف أن الاكتئاب يزيد بشكل كبير من خطر الإصابة بمرض الزهايمر، وقد تم ربط علامات الالتهاب المتزايدة بالخرف.

ويعترف الباحثون بأن «الآلية الدقيقة الكامنة وراء ارتباط [التيلوميرات] الأقصر بالاكتئاب والتدهور المعرفي والسيتوكينات الالتهابية لا تزال غير واضحة».

لكن هذا مجرد ارتباط، ولا يخبر العلماء بالطريقة التي يعمل بها السبب والنتيجة. والخلايا التي تقصر التيلوميرات، على سبيل المثال، من المرجح أن تفرز السيتوكينات المؤيدة للالتهابات مثل IL-6. وفي الوقت نفسه، يبدو أن الالتهاب المزمن منخفض الدرجة يؤدي إلى تقصير التيلوميرات بمعدل أسرع.

وأوضح الباحثون أن «هذه العملية المتكررة قد تسبب تغيرات هيكلية ووظيفية تراكمية في الدماغ، ما يؤدي إلى ضعف إدراكي واضطرابات مزاجية بما في ذلك الاكتئاب».

وستحتاج نتائج التجربة العشوائية الأخيرة إلى تكرارها بين مجموعات أكبر، لكن الباحثين يأملون في أن تساعد نتائجهم بطريقة ما على التنبؤ بالاكتئاب لدى كبار السن قبل أن يظهر أثره.

زعامات سياسية دخلت التاريخ الفني من بوابات السينما والدراما

كمال القاضي

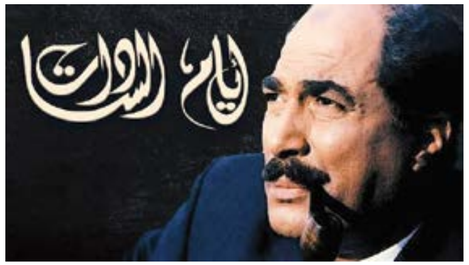

السينما المصرية والعربية بمختلف تصنيفاتها التسجيلية والوثائقية والروائية الطويلة والقصيرة، جميعها اهتمت بالسير الذاتية للزعامات السياسية والتاريخية، وسواء كانت الشخصية الزعامية موضوعة داخل إطار درامي أو موثقة بطبيعتها الذاتية في فيلم سياسي أو حربي أو أي نوع آخ، فإنها في كل الحالات تحمل خصوصية ما وتتمتع بقيمة كبيرة وعناية فائقة لأنها تُشير إما لمرحلة زمنية أو حدث مهم أو فكرة إنسانية أو ثقافية أو علمية.

في العديد من الأفلام الروائية الطويلة جرى تناول الشخصيات التاريخية كأبطال محوريين للأحداث، وحمل الفيلم الروائي جينات التسجيل والتوثيق لاقتراب الحدث الدرامي من الفكرة التاريخية وامتزاجه بالتفاصيل الإنسانية والذاتية للشخصية الزعامية المراد التعبير عنها، وقد حدث ذلك في أفلام كثيرة روائية كان من أهمها فيلم «مصطفى كامل» للمخرج أحمد بدرخان والذي وثق لحياة الزعيم الوطني مصطفى كامل الذي قاوم الاستعمار الانكليزي بالتنديد عبر صحيفة اللواء التي أسسها أوائل القرن الماضي وترك أثراً واضحاً في الحركة الوطنية المصرية والعربية وجعل للكلمة الصحافية المكتوبة اعتباراً بالغ الأهمية.

والغريب أن الممثل أنور أحمد الذي قام بدور الزعيم الوطني ونجح في تجسيد الشخصية بشكل كبير بدأت مسيرته الفنية وانتهت عند هذا الدور، ولكن بقي الفيلم كإبداع ومحتوى وثيقة سينمائية يُشار بها إلى نضاله الوطني وكفاحه ضد المحتل وضد المرض العضال الذي أنهى حياته وهو في ريعان شبابه عام 1908.

كذلك جاء الفيلم التسجيلي «النسر الشهيد» الذي كتبه الكاتب الراحل مكاوي سعيد وأخرجه سامي إدريس حافظاً لسيرة ومسيرة الشهيد البطل الفريق عبد المنعم رياض الذي لقي مصرعه على أثر ضربة غادرة من العدو الإسرائيلي أثناء تواجده على الجبهة في الأيام العصيبة لحرب الاستنزاف بمرحلة الستينيات التي شهدت سنوات من المواجهة والعنف بين الطرفين.

الفيلم المذكور تطرق بالأساس إلى تفاصيل الاستشهاد وعرج بطبيعة الحال على الخلفية العسكرية والقتالية للبطل ومر مرور الكرام على حياته الشخصية، نشأته وسماته وأهم ما يُميزه كإنسان ومُقاتل وقيادة عسكرية اشتهرت بالبساطة والتواضع والإقدام وحُب الشهادة في سبيل الوطن وقد نالها بالفعل فصار مثالاً للنُبل والشجاعة.

من الزعامات التاريخية أيضاً التي اهتمت السينما بسيرهم الرئيس جمال عبد الناصر كأشهر من وثقت السينما والدراما حياتهم وانتبهت إلى تاريخهم الشخصي والنضالي والسياسي، فهناك عدة أفلام ومُسلسلات اجتهد أصحابها في الإلمام بتفاصيل حياة عبد الناصر بأشكال مُختلفة، بدءا من فيلم «جمال عبد الناصر» للمخرج السوري أنور قوادري والذي جسد فيه دور البطولة خالد الصاوي وانتهاءً بالفيلم الشهير «ناصر 56» للمخرج محمد فاضل والكاتب محفوظ عبد الرحمن والبطل أحمد زكي، مروراً بالمسلسل الذي قام ببطولته مجدي كامل والآخر الذي أسندت بطولته لجمال سليمان، غير أن هناك فيلماً وثائقياً عالمياً مهماً بعنوان «جمهورية ناصر» للمخرجة الأمريكية ميشال غولدمان وهو الذي أثار جدلاً واسعاً عند عرضه ضمن برنامج البانوراما الدولية لمهرجان القاهرة السينمائي في عام 2016 حيث اختلف الجمهور والنقاد حول محتواه والغرض منه فتم التشكيك في النوايا السياسية للمخرجة كونها أمريكية، وبعيداً عن ملابسات الاختلاف والاتفاق أعتبر الفيلم واحداً من الوثائق السينمائية التي سجلت تاريخ جمال عبد الناصر من وجهة نظر مُغايرة.

وقد سبقت هذه التجربة الوثائقية تجارب أخرى مصرية وعربية يأتي على رأسها تجربة المخرج اللبناني سايد كعدو الذي قدم ما يشبه البانوراما الحية عن تاريخ ناصر السياسي والزعامي بقدر كبير من التأييد والمُحاباة المُستندة لحيثيات كثيرة تم ذكرها في متن الفيلم، هذا بالإضافة إلى أكثر من رؤية سينمائية أخذت الطابع التسجيلي والتحليلي للمخرج وكاتب السيناريو المصري أحمد فؤاد درويش الذي عمد إلى توثيق حياة عبد الناصر بشكل فني وإبداعي في فيلم «جمال عبد الناصر الأمس واليوم وغداً» وفي فيلم آخر يحمل سؤالاً افتراضياً «ماذا لو عاش جمال عبد الناصر» ويقصد بالعنوان المُثير أن هناك مُتغيرات كثيرة جرت في الحياة السياسية فماذا كان يصنع عبد الناصر إزاء هذه المُتغيرات لو ظل على قيد الحياة إلى الآن؟

ومن العنوان يُستنتج رأي المخرج وهو نقد الممارسات السياسية الآنية على الصعيد الدولي واشتباكه معها بطريقة إبداعية مُبتكرة من خلال طرح النموذج السياسي والتاريخي الأوضح من وجهة نظره والمُتمثل في شخصية جمال عبد الناصر.

ناتي إلى ما أنتج من أفلام ومُسلسلات عن الرئيس أنور السادات وبالطبع يحتل فيلم «أيام السادات» للمخرج محمد خان الصدارة بوصفه العمل الأكبر الذي تناول السيرة الذاتية للسادات بشكل مُباشر ومن زوايا مُتعددة ونجح أحمد زكي نجاحاً كبيراً في تجسيد الشخصية والاقتراب من تفاصيلها وتقريبها للجمهور المصري والعربي في حدود وعيه بها وما أتيح له من معلومات حول صفات الرئيس وخصائصه وما يُميزه، ولا شك في أن أحمد زكي بذل قصارى جهده في الوصول إلى أفضل النتائج المُمكنة لخروج الشخصية الدرامية بالشكل القريب من الواقع.

أما على المستوى الدرامي فليس هناك عمل كامل يتناول مشوار الرئيس السادات وإنما كل ما ورد في المُسلسلات التلفزيونية جاء مُتضمناً في أعمال ذات صلة بطرق وأساليب غير مباشرة، حيث تم الإلحاح لشخصيته في سياق مُعين بمشهد أو مشهدين أو عدة مشاهد تُفيد المعنى حسب الرؤية والغرض.

وهكذا انحصرت الرؤى الإبداعية للزعامات التاريخية كما بيناها في بعض الأفلام والأعمال الدرامية وفق وجهات النظر والشكل الفني المُحدد لكل شخصية على حدة، وفي كل الأحوال مثلت النماذج على اختلاف أنماطها توثيقاً مهماً للسير الذاتية والمراحل التاريخية.

ملتقى «قمرة» في قطر لتطوير صناعة السينما من رؤية عربية ولرسم البسمة على وجوه الجمهور

الدوحة ـ «القدس العربي»: سليمان حاج إبراهيم

مهرجان سينمائي ينطلق في العاصمة القطرية ويهدف لتعزيز هذه الصناعة ونقل قضايا المنطقة من وجهة نظر عربية ويهدف أساساً لرسم البسمة على وجوه الجمهور في الحاضر والمستقبل، وسعي لإلهام ذكرياتهم ودفع العالم أجمع إلى أن يحلم بمشاهدة هذه الأفلام.

وانطلق ملتقى قمرة السينمائي 2023 وهو الحاضنة السينمائية السنوية من تنظيم مؤسسة الدوحة للأفلام، بحضور الشيخة المياسة بنت حمد بن خليفة آل ثاني، رئيسة مجلس الأمناء بمؤسسة الدوحة للأفلام، وبمشاركة خبراء ومخرجين صاعدين يمثلون موجة جديدة في السينما العالمية المستقلة. ويشارك في ملتقى قمرة الذي تحول لمنصة خاصة لدعم صناعة الإنتاج في هذا العام ما يزيد عن 200 خبير سينمائي عالمي من 41 دولة، ويقومون بتقديم التوجيه والإرشاد لـ 44 فيلماً، تشمل أفلاماً روائية ووثائقية طويلة، بالإضافة إلى أفلام قصيرة ومسلسلات لمواهب صاعدة. وتؤكد المشاريع المختارة من 23 بلداً على رؤية ورسالة الملتقى لتوفير الدعم لصناع الأفلام من المنطقة والعالم في رحلتهم من كتابة النص لعرض مشاريعهم على الشاشة. وقالت فاطمة حسن الرميحي، الرئيسة التنفيذية لمؤسسة الدوحة للأفلام: «أسسنا ملتقى قمرة السينمائي ليشكل حاضنة مهمة وحدثاً فريداً من نوعه للتنسيق بين مختلف المجالات المتعلقة بالعمل السينمائي، وهو امتداد لبرامج التمويل والتدريب والتطوير المستمرة من قبل مؤسسة الدوحة للأفلام».

ومن أبرز ما يوفره ملتقى قمرة السينمائي 2023 جلسات التوجيه، من تقديم الروائي وكاتب السيناريو والمخرج البريطاني السير كريستوفر هامبتون الحائز على عدة جوائز أوسكار وجوائز بافتا (الوالد، علاقات خطرة، تكفين)؛ ديفيد بارفيت المنتج المسرحي والسينمائي (الوالد، شكسبير العاشق، أسبوعي مع مارلين، فنستن المحبوب)؛ جاكلين ويست مصممة الأزياء التي ترشحت لأربع جوائز أوسكار (الكثبان الرملية، العائد، الحالة الحيرة لبنجامين بتن)؛ صانعة الأفلام الأسكتلندية لين رامزي الفائزة بجائزة مهرجان كان (يجب أن نتحدث عن كيفن، لم تكن هنا من قبل، صائد الجرذان)؛ صانع الأفلام البريطاني الشهير مايكل وينتربوتوم الفائز بجائزتي الدب الذهبي والدب الفضي في مهرجان برلين السينمائي (الطريق إلى غوانتانامو، قلب عظيم، أهلاً بك في سراييفو).

وقال إيليا سليمان، المستشار الفني لمؤسسة الدوحة للأفلام: «أمل أن يشكل قمرة 2023 منصة للمساهمة في إنجاز المشاريع التي ترسم البسمة على وجوه الجمهور في الحاضر والمستقبل. ونتمنى أن تلهم أيضاً ذكرياتهم وأن تدفع العالم أجمع إلى أن يحلم بمشاهدة هذه الأفلام. ننتطلع إلى أن يشكل الملتقى مساحة مهمة لتطوير هذه المشاريع المختارة».

ويستقبل الملتقى في هذه النسخة جمهور الأفلام المستقلة بالإضافة الى المواهب السينمائية العاملة على مشاريع الأفلام المختارة، ليفتح لهم نافذة فريدة للاطلاع على الرؤية السينمائية لخبراء قمرة والاتجاهات التي تحدد حالة السينما المستقلة اليوم من خلال جلسات وعروض سينمائية. وتشارك المواهب السينمائية العاملة على مشاريع الأفلام والمسلسلات المختارة في جلسات توجيه فردية وجماعية وأنشطة واقعية وجلسات التدريب في استشارات السيناريو والاستشارات القانونية والمبيعات والتسويق والإنتاج المشترك، إلى جانب جلسات التوجيه الفردية للمشاريع في مرحلة النسخة النهائية. وستقدم هذه الأنشطة في سلسلة من العروض لنسخ غير نهائية لميرجمي مهرجانات رائدين وممثلي الأسواق ووكلاء المبيعات والموزعين.

تأتي مشاريع الأفلام في قمرة السينمائي 2023 من مناطق جغرافية متنوعة، من الجزائر إلى إندونيسيا والمكسيك إلى منغوليا.

مفردات اللغة السينمائية الفلسطينية تتراكم ولدينا براعم جميلة

ميشال خليفي: الحرية تلد مبدعين ومنتجين يبنون علاقة مع المستقبل وهي لا توجِع

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

تحتشد أفلام ميشال خليفي بمعاني ودلالات خصبة. رائد السينما الفلسطينية في الأراضي المحتلة منّع عيوننا بناس فلسطين الصامدين، بأرضها، وبيوتها العتيقة، وبياراتها، وأحلام ناسها. طال انتظار تلك الصور والمشاهد فجاء فيلم «الذاكرة الخصبة» سنة 1980 كباكورة لخليفي، يحكي «الناس الناطرين» وكفاحهم اليومي مع الاحتلال ومع مجتمعهم. ويحكي «بديش أبيع أرضي لو بدي أموت». أفلام ميشال خليفي تُعطي المرأة الفلسطينية مساحة تعبير كبيرة. تربطها برمزية غير مباشرة بالأرض والوطن والأمومة. تنقل صورتها كمقاومة لكافة صنوف القهر التي سببها الاحتلال الاستعماري. وكذلك صراعها الدائم مع مجتمع أبوي ذكوري يثابر على التمسك بإرثه وتقاليده. ميشال خليفي صوّر أفلامه بعيون الحب. حب يشرب رحيق فلسطين. وفي لبنان حين رافق أفلامه التي عُرضت في بعض من مخيمات اللجوء بدعوة من نادي لكل الناس، استمد الطاقة من الشباب ومن أسئلتهم، وكيفية مقاربتهم للسينما الفلسطينية، ووطنهم المنشود.

هنا حوار مع ميشال خليفي:

○ كيف حال الناصرة؟

● بالحقيقة لم أزرها منذ أربع سنوات، وكوفيد كان سبباً. زرتها مؤخراً بداع عائلي لأسبوع فقط. أحتاج لأكون فيها طويلاً، إنما الحال ليس هو الحال في العالم أجمع.

○ لندخل إلى لغتنا السينمائية حيث تؤمن بقدرتها على حمل قضيتنا إلى العالم، كم تطورت هذه اللغة مع الأجيال الجديدة من المخرجين؟

● لسنا بصدد مسألة التطور بقدر ما أرى ضرورة للتراكم الذي يؤدي إلى تحقيق التعددية. للتعددية فعلها. الحكم على مخرج أو مخرجة، شاب إم شابة، طالب أم طالبة ليس ممكناً دون أخذ التراكمية بالاعتبار. التراكمية بدأت، بتنا نرى صوراً لم نكن نراها سابقاً. إنما لسنا حيال صيغة تقول بأن لهذا أو ذاك لغة. إنما نحن حيال براعم جميلة.

○ المتابعة المتيسرة للسينما الفلسطينية تفيد بالتصاقها بتفاصيل حياة الناس ومصاعبهم مع الاحتلال. هل لهذه اللغة مخاطبة عقل الآخر؟

● مفردات اللغة السينمائية الفلسطينية باتت تتكامل بالتدريج. والمهم فيها بوادر التعددية التي علينا احترامها كما هي. فلا مشكلة أن لا يشبهني أحد، أو لا أشبه أحداً. يبقى على المؤرخ لهذه السينما أن يبحث بمن ساهم بأن تصبح التراكمية إبداعية. مشكلتنا كمخرجين فلسطينيين أن لا سوق لأفلامنا. والسبب أن مجتمعنا «مُكسَّر» على الصعيد العربي ككل. فكم من صالة كانت تضم منطقة الحمرا في بيروت سابقاً؟ بات على المخرج أن يشحد قاعة.

○ انتقلت الصالات إلى المولات وبات علينا القبول بهذه الأمكنة الحديثة؟

● لماذا نقبل أو نرفض؟ ليدخل كل إنسان في مغامرته. الإبداع مغامرة. إذا تناولنا الأمر لجهة الإبداع الفني والسياسي على الصعيد الاستراتيجي، نرى أن العرب قد نسوا الإبداع. الإبداع وحده يُخلصنا من «البرادوكس» الذي وضعتنا فيه الامبريالية. علينا البحث في كيفية الخروج من هذه السيطرة التي تطوقنا.

○ بحث في بعض أرشيفك أفضى إلى أن «عرس الجليل» محطة مشرقة في حرفتك. هل هو كما الطفل الأول رغم أن «الذاكرة الخصبة» سبقته؟

● إنه التجربة الروائية الأولى. وفي اللغة السينمائية اختزت البناء الدرامي المنطلق من نظريات أرسطو والتي تشكل أساساً للسينما الأمريكية. في «عرس الجليل» اعتمدت الخط الدرامي وفق الطريقة الكلاسيكية. وحلّ الزمان والمكان كبديل عن الخط الدرامي. الزمان والمكان أخذاني إلى زوايا كانت مجهولة.

○ وما هي تلك الزوايا المجهولة؟

● إنها الحياة اليومية للإنسان الفلسطيني. تلك الحياة هي الأكثر قدرة على منح الرونق والبعد الإنساني، وهو ما سعت الصهيونية لإلغائه تماماً. حتى اليوم لا تعترف بنا الصهيونية كمجموعة داخل الإنسانية. على سبيل المثال المظاهرات التي تعمّ الكيان منذ أسابيع يغيب عنها الفلسطيني تماماً. وبرأيي هذا يحمل في مرحلتنا الحاضرة معنى مخيفاً.

○ الذاكرة حاضرة وهذا مهم وفي فيلم «معلول تحتفل بدمارها» صارت اللوحة التشكيلية أثراً صامداً وابدياً؟

● «معلول» فيلم أحبه كثيراً، وهو يُطلب للعرض إلى حينه. من الصعب محو الذاكرة. علينا أن لا نقلق مهما كانت المحاولات. علينا أن لا نقلق من كافة التجارب المكنة، الفكر لا يتقدّم بدون التجارب.

○ فشلت المراهنة الصهيونية في محو ذاكرتنا برأيك؟

● حتماً فشلت. نحن نخترع نوعاً من القوة للصهيونية لنخيف ذاتنا. قال ماوتسيتونغ عن الامبريالية بأنها أسود من ورق، والصهيونية رافد منها. قوة إسرائيل أتت من ضعفنا، وضعفنا نتاج عن تكبيل الفرد ومنع الحرية التامة عنه. الحرية هي التي تنتج أفراداً مبدعين ومنتجين ينقلوننا من العلاقة مع الماضي إلى علاقة مع المستقبل. علينا أن نعرف بأن الحرية لا توجع، ولا تقتل.

○ انما الحُكّام في بلداننا يخافونها؟

● يسعون لحماية «الرزقة» وتقاسم رأس المال لا يريدون مشاركة فيه.

○ في «عرس الجليل» يقول الحاكم العسكري للأب «لن تستطيعوا أن تفرحوا دون موافقتي». منذ ذاك العرس وإلى الآن ماذا تبدّل؟

● هو مثال لما هو حاصل الآن من تطبيع مع إسرائيل من الخليج إلى المغرب، يعترفون بإسرائيل ليتمكنوا من الفرح بذاتهم ومالهم. وفي «عرس الجليل» يُضطر المختار وهو والد العريس للبحث عن صيغة للعرس لكنه يفشل. الخشية من بحث أجيال المطبعين المقبلة ما حدث لإبن المختار في «عرس الجليل».

○ ليس للفلسطيني أن يتجاوز حضور الاحتلال ولو بالخيال؟

● نحن لدينا حظ مواجهة إسرائيل الهوة المعاصرة للامبريالية وهي المتصدرة في التكنولوجيا والسلاح وغير ذلك. وأنا في أوروبا أسألهم دائماً كيف تُجنّد الإمبراطورية العُظمى الولايات المتحدة كامل قوتها كي تُحقق هزيمة الفلسطينيين أمام الصهيونية؟ يجب أن ينتبه المفكرين الفلسطينيين لماذا جندت تلك الامبراطورية كامل جهودها لإلغاء وجودنا؟ نحن كبشر غير موجودين. صُراحتا هو الموجود وعملنا المقاوم. حتى على صعيد الإنسانية وضعونا جانباً.

○ كم تحمّست حين أنجزت «الذاكرة الخصبة» لتقديم المزيد من الأفلام ومزيد من الأحلام؟

● كنت حينها في عمر 29 سنة، الحماس والأحلام ما زالا قائمين. معروف أن الإنسان الثوري مسكين، لكنّه مليارديرٌ في الأحلام. نحن محاطون بجهل كبير، وعلينا تحمّل عديد من البشر مشهود لهم بمحدودية الفكر، وينصبّون ذاتهم قادة علينا. عملت وحيداً كمخرج فلسطيني منذ أواخر السبعينيات وإلى منتصف التسعينيات. ومن بداية التسعينيات بدأت التغيرات تخط طريقها. «الذاكرة الخصبة» و«عرس الجليل» و«نشيد الحجر» أفلام عرضتها وحيداً في كافة مهرجانات العالم. وكذلك حال «حكاية الجواهر الثلاث». وتالياً تعرّضت لحروب كثيرة ومتعددة.

○ من الأمل أو الأعداء؟

● بالضبط. وكما نقطة الماء تثابر بالنزول على الحجر حتى تفعل فعلها وتثقبه. بالنهاية أنا إنسان.

○ وهل أنت حزين؟

● بالطبع. أمتلك مشاريع في غاية الجمال لفلسطين، وقدرتي على العطاء ما زالت كبيرة.

○ وكم أنت مهتم الآن؟

● تمّ وضعنا حيال معادلة واحدة إما السير وفق مسار الظلم، أو لا نكون. لكني إنسان حر لا يؤطر. واجهني الجهل والتعصب الديني وغيره. ما من سلطة تتحمّل وجهة نظر تخالفها. نحن مجتمع محافظ للغاية. بعضهم يخشى الحديث عن «عرس الجليل» وحتى القول إنهم شاهدوه.

○ والسبب مشهد العارية؟

● مثلاً. وبعد الجهد والإبداع في هذا العمل وجدتني أفكر بطريقة أخرى. إعادة النظر ضرورية بعد أن أصبحنا في وسط متشدد في مقاربته للأمور ومسائل الحياة جميعها.

○ تتمسك بقناعات تحرير الإنسان كبداية لمعاركنا الأساسية، هل تنتظر فلسطين حتى تحقق هذا الهدف؟ وهل نجدّد عرين الأسود مثلا؟

● هذا جزء من النضال وليس جميعه. ما أقصده أن ما أقدّمه في السينما لا يلغي وجود الآخرين بل يساعد على تأكيده. عندما أقول عملي فلا أعني نفسي وحدها بل كل مبدع في مجاله.

○ هل كانت أفلامك تواجه صعوبات إنتاجية؟

● لم يكن الإنتاج مشكلة بقدر ما كان عرض الأفلام هو المعضلة. كانت المهرجانات ولا تزال البوابة المفتوح لعرض أفلامنا. وهذا لا يشبع طموح المخرج.

○ جولتك في لبنان ركّزت بشكل اساسي على عرض أفلامك ومناقشتها في المخيمات. ماذا قالت لك هذه الزيارات؟

● لاحظت بأن الشباب الذين تسنى لهم مشاهدة الأفلام، استوعبوا تماماً الاختلاف بين تفكير جيلنا وجيلهم فيما يخص القضية الفلسطينية. قالت صبية من مخيم البدّاوي شمال لبنان خلال الحوار «قليلاً ما نشاهد أفلاماً كما أفلامك تحكي عنّا كشعب. والحالات التي شاهدناها نعرفها ونعيشها يومياً مع فلسطين». اكتشفت نقلة نوعية رائعة حققها الجيل الجديد. وهذا ما أعاد تأكيد أهمية السينما، عبر بناء خط تدريسي داخل المخيمات، وعلى أسس عالية تخاطب مستوى هؤلاء الشباب الذين التقيتهم.

○ بعد الجولة والمستوى المتقدّم لشباب المخيمات هل ستبحث ببرنامج تدريسي تعمل شخصياً لتأمين دعم أوروبي له؟

● يمكننا الحصول على دعم عربي وليس بالضرورة أوروبي. بالتأكيد، وهذا ضروري. المساهمة بتنظيم دورات تعليمية تبدأ من النظري، وتستمر إلى تكوين فكر إبداعي حاضراً ومستقبلاً لدى هؤلاء الأجيال.

○ وهل وجدت رغبة بالمعرفة السينمائية لدى هؤلاء الشباب؟

● يمكننا بناء هذه الرغبة لديهم. المهم الانتقاق على نظرة مستقبلية يحتاجها الجيل الموجود في المخيمات بحيث ينتقل إلى حركة تغذي فكره وأهدافه، بدل استمرار الالتصاق بالماضي الذي يعجز عن تحريك الحاضر.

○ كيف تشغل أيامك في بروكسل؟

● أكتب سيناريوهات. إبني نائل صار مخرجاً وباتت لديه أفلام، وشارك مؤخراً في مهرجان أفلام بلجيكي. تشغله كمخرج بشكل عام الهجرة وما ينتج عنها من مشاكل. وطفلته إليس تشغلني طوال الوقت. نائل وثيق الصلة بوطنه فلسطين، وحتى طفلته حملت في إحدى المظاهرات المناهضة للصهيونية في بروكسل يافطة تقول «والفلافل كما إلنا». وهي بعمر 11 سنة.

صناعة الصدف في لبنان حرفة تاريخية تقاوم الاندثار

عبد معروف

صناعة الصدف واحدة من الصناعات التراثية القديمة في لبنان، وهي عبارة عن «قواقع» بحرية يتم استخراجها من البحار، ثم تزال القشور الموجودة على سطح الصدف، وبعدها يتم العمل على قصه بواسطة مواكن خاصة وتشكليه بطرق مختلفة، ليتم استخدامه في صناعة التحف والمزينات. وبرع الفنانون في عرض المصنوعات الصدفية بطريقة جميلة، وعملوا على الحفاظ عليها وعدم انقراضها رغم الحروب والانهيار الذي تعرض ويتعرض له لبنان حتى يومنا هذا.

واشتهرت مدن صور وصيدا وبيروت وجونية وجبيل وطرابلس اللبنانية عبر التاريخ بصناعة الصدف وتزيين الأواني والأثاث المنزلي وصناعة التحف وحلي النساء، ما أدخل هذه الصناعة اليدوية في كل بيت لبنان وصارت مقصدا للسياح والزائرين من البلاد العربية والأجنبية.

يقول عماد سرور أحد الحرفيين في مدينة صور جنوب لبنان، إن صناعة الصدف عملية شاقة ومتعبة وتتطلب الوقت والجهد، لكنها أيضا مهنة مربحة وهواية ممتعة.

وأضاف لـ«القدس العربي» نمضي وقتا طويلا على شاطئ البحر نجمع الصدف، وقال «الصدف هو عبارة عن قشور حيوانات أو قواقع بحرية تستخرج من البحار ومنها بيت اللؤلؤ، وأبرز أنواع الصدف هو صدف المحار، وصدف عين الديك».

يتميز الصدف كما يقول سرور بألوانه المتعددة التي تمثل ألوان الطيف وهو أغلى أنواع الصدف على الشواطئ البحرية في لبنان.

«بعد استخراج الصدف من البحار وجمعها عند الشواطئ، تأتي مرحلة إعدادها لكي تصل إلى الشخص المزخرف جاهزة، لكي يقوم بدوره بعمله الفني، وهناك العديد من الورش التي تتولى عمليتي الإعداد والزخرفة».

تسمى أول عملية تلي استخراج الصدف، عملية «الصنفرة» وذلك إلى أن يصبح ملمسه ناعما ثم تقطيعه إلى شرائح رفيعة تسمى الواحدة منها «مبرزة» يصل سمكها إلى 2 أو 3 ملم، ثم توضع إلى القطع المطلوبة بأشكال معينة حسب التصميم الذي يسعى المزخرف إلى تزيينه.

وتعد المرحلة السابقة من الأصعب، فعملية تقطيع الصدف، من أدق العمليات في هذه المهنة وتحتاج إلى خبرة ومجهود، كي تتم بالشكل المطلوب، فالصدفة الواحدة تحتاج إلى وقت طويل لكي تصل إلى الشكل الذي يرغبه المزين، بينما يمكن للقطعة الكاملة التي يعمل المزين على تزيينها تأخذ 3 أو 5 أيام من الوقت لكي تأخذ شكلها النهائي.

من يزور مدينة صيدا جنوب بيروت، يلاحظ تنامي حرفة صناعة الصدف، كما يلاحظ محلات ومعارض داخل الأزقة القديمة ومقابل القلعة البحرية.

فقد اشتهر سكان المدينة بصناعة الصدف منذ عقود طويلة، واعتمد بعض الحرفيين تجميع الأصداف عن شاطئ البحر بهدف تصنيعها وحفرها ونقشها وصناعة أدوات مختلفة من أساور وعقود وعلب وغيرها، تجذب المارة.

على بَسطة متواضعة، قبالة ميناء الصيّادين المجاور للقلعة البحرية في صيدا، يعرض ابو محمد حازم منتوجاته من التي تحوّلت إلى تحف وزينة ومجسّمات تلفت انتباه المارة، كما السيّاح العرب والأجانب الذين يزورون القلعة البحرية وخان الافرنج والأسواق القديمة، فيقبلون على شرائها كتذكار من لبنان.

حازم الذي لم يحترف الغطس يحصل على أصدافه من خلال البحث عنها على شاطئ البحر، خصوصا بعد العواصف ورياح الشتاء، ويشتري بعضها من صيّادي الأسماك التي تعلق في شباكهم حينا، ومن بعض الغطاسين الذين يمارسون هواية السباحة على الشواطئ الممتدة من صيدا إلى صور بَحثا عن أنواع مختلفة من الأصداف أحيانا، قبل ان يحوّلها جميعا بأنامله المبدعة إلى عقود وأساور وتحف متعددة الأشكال، ويعرضها للبيع.

يقول حازم، الذي يقيم في أحياء صيدا القديمة، «أقوم بتنظيف الصدفة أوّلا من الأوساخ وأزيل أي شوائب عنها، ثم أرسم عليها بعض الأشكال الفنية أو أكتب عبارات الجلالة أو أحرف الأسماء أو الأبراج، أو أحفر عليها عبارات. تلامس الثريّات التي تتدلى من سقف البسطة، عشرات الأساور والعقود المتعددة الأشكال والأحجام والتي تناسب جميع الاعمار، ناهيك عن صدفيات بحرية مثل الأسفنج الأحمر والأبيض، صغيرة وكبيرة، وقد أدخلت إلى بعضها الإنارة للدلالة على روعتها وجمالها وروتنقها».

ويخصص حازم جزءا من عمله لمساعدة أمثاله من الطبقات الشعبية، وهذا أمر يرضيه تماما، فهو يعرض منتوجات صبايا يعملن في المنازل ولم يجدن فرص عمل، أو مقعدين احترفوا الرسم على الأصداف أو صناعة مجسّمات لسفن بحرية، يبيعها لهم على بسطته من دون أي مقابل، يقول: «أشعر بضيق الناس، وأنا في الأساس أعانيه، إذ انه في فصل الشتاء تخفّ حركة السيّاح ويقلّ البيع، فاضطر في بعض الأحيان إلى العمل في معمل للسكاكر كي أؤمن قوت عائلتي المؤلفة من الزوجة وخمسة أولاد، في ظل الأزمة الاقتصادية الخانقة والغلاء وارتفاع الأسعار، فهذه المهنة تكفي الإنسان خلال فصل الصيف فقط». وإذ أكّد انه قليل المشاركة في المعارض الحرفية بسبب التعب، دق ناقوس الخطر على مهنة نحت الأصداف التي باتت اليوم مهددة بالاندثار والانقراض، وطالبَ المسؤولين اللبنانيين بدعمها وتشجيع أصحابها، بحيث يتم إنشاء معهد أو مركز للتدريب، وهي في كل الأحوال فن راق ومهنة لا تحتاج الاّ إلى إرادة وذوق.

وأشار حازم إلى أن صناعة الأشغال الصدفية مهنة عرفتها مدينة صيدا كما عرفتها المدن اللبنانية صور وبيبرت وجونية وجبيل وطرابلس منذ عقود، نتيجة علاقة هذه المدن التاريخية مع البحر وصيّاديها، ولكنها اليوم وبسبب حالة الانهيار والأزمات، باتت من المهن التي يحافظ عليها البعض بروموش العيون.

ويبرز الفنان نبيل خاسكية داخل محترفه في صيدا القديمة إلى جانب حازم الذي يقول: «منذ 20 عاما وانا أقف هنا، أصنع وأعرض وأبيع هذه المصنوعات اليدوية، أكسب قوت يومي بعرق جبيني وقد أصبح لديّ زبائن، لأن التشكيلة المعروضة تعجب مختلف الأذواق ويقبل على شرائها السيّاح كتذكار من لبنان، أو تكون هدية من شخص إلى آخر، أو زينة في المنزل، إذ ان كثيرا من الصيداويين يرون في الصدف فأل خير وسعادة».

ولا يتوَرّع خاسكية بين الحين والآخر عن إدخال موضة جديدة أو ابتكار حديث، وآخرها سمكة بلاستيكية يرصّعها بالأصداف، أو سجادة حائط تعلق في صدر الصالون وهي تلقى رواجا، أو صدفة صغيرة حفر قلبها ووضع فيه القرآن الكريم أو الانجيل المقدس، ويحرص الكثيرون على شرائها واقتنائها بهدف التبرّك وطرد الشّر.

وفي طرابلس شمال لبنان العديد من أبناء المدينة يعملون في صناعة الصدف، تعلموا البعض من والده أو جده، وابن طرابلس، أحب البحر كثيراً منذ صغره فوقع في عشق أصدافه وقواقعه وبدأ يجمعها ليحولها إلى تحف فنية مشغولة بعناية وإتقان تعكس مدى شغفه بهذه الحرفة اليدوية التي تمارسها الأجيال جيلا بعد جيل، لذلك تعود صناعة الأعمال اليدوية من الصدف في مدينة طرابلس إلى عقود من الزمن، نتيجة علاقة المدينة المتواصلة مع البحر وصياديها.

ومن مشغله الصغير في أحد أحياء طرابلس، ورغم جميع الظروف المحيطة به، ما زال أسعد يتمسك بقشّة الأمل للوصول إلى شاطئ الأمان بهدف حماية مهنته التي أصبحت نادرة و«مهدّدة بالانقراض» ورغم أن المشغل الذي لا يتجاوز طوله المترين، يبدو متهالكاً، غير أنه يعتبره «مصنع أفكاره» حيث يطلق العنان لخيلته ليصنع تحفاً فنياً متعددة الأحجام والأشكال ويعرضها في متجره الملاصق لمشغله.

يتمتع أسعد بحس فني عالي، إذ يمسك بين يديه علبة من الخشب ويلصق عليها مجموعة أصداف، فتتحوّل من مجرّد «علبة خشبية» إلى «تحفة فنية» تزين المنازل والمكاتب.

لكن قيمة تحفه الفنية، انخفضت كثيراً بسبب انهيار العملة اللبنانية أمام الدولار وتراجع أعداد السياح الأجانب الذي كان يمرون بجانب متجره، وكان يعوّل عليهم لكسب رزقه خاصة أنهم من «أكثر المتحمسين لهذه القطع الفنية المستوحاة من التراث الشرقي المزخرف بالصدف» محذراً من اندثار هذه الحرفة القديمة.

صناعة الصدف بالنسبة لأسعد ليست فقط مهنة يكسب منها رزقه، فهو يسعى من خلال أعماله الفنية إلى الحفاظ على تراث الأجداد والآباء كإرثٍ تاريخي للمدينة القديمة.

مجالات الإنتاج في لبنان تراجعت وتوقفت وتعرضت للانهيار، البعض يهرب من هذا الواقع بـ«قوارب الموت» لعله يصل بلدا يؤمن فيه لقمة عيش، وبعض آخر ما زال يتمسك بمهنة صناعة الصدف ليس فقط لأنها هواية وحركة إبداعية فحسب، بل لأنها مصدر رزق من خلالها يمكن تأمين لقمة عيش لأولاده، لذلك صناعة الصدف كغيرها من المهن والحرف أصبحت بتراجع واضح ومعرضة للإندثار، لكن هناك من هو مصمم ويقاوم من أجل البقاء واستمرار هذه الحرفة التاريخية.

القدس العربي
الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر:
مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير:
سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الرابعة والثلاثون العدد 10922 الأحد 12 آذار (مارس) 2023 – 20 شعبان 1444 هـ
Volume 34 - Issue 10922 Sunday 12 March 2023

غزة: تدشين أول مشروع لإعادة تدوير النفايات البلاستيكية خاص بالنساء

إسماعيل عبدالهادي

تجد غالبية كبيرة من النساء في غزة صعوبة في الحصول على فرص عمل من أجل إعالة أنفسهن، في ظل الواقع المعيشي المرير وتنامي ظاهرة المعيلات في القطاع غزة وارتفاع نسبة الأرامل نتيجة الحروب الإسرائيلية المتكررة. ولذلك اتجهت مجموعة من النساء لإنشاء مشاريع تنموية خاصة بهن، من أجل خلق فرصة عمل توفر لهن مصدر دخل وحياة كريمة.

وتنشط مؤسسات محلية ودولية في غزة لمساعدة نساء القطاع في إثبات كفاءتهن في العمل وتمول هذه المؤسسات ومن أبرزها مركز شؤون المرأة، مشاريع صغيرة تشجع نساء غزة على العمل ضمن برامج تدريبية.

وتمكنت ولاء أبو طير وأسماء طموس من سكان مدينة خانيونس برفقة مجموعة من العاطلات عن العمل، من تدشين أول مشروع نسوي لتدوير النفايات البلاستيكية.

وداخل مستودع كبير تشرف أبو طير وطموس على عمل المنهمكات بفرز القطع البلاستيكية، والتي يتم الحصول عليها من أشخاص يقومون بالتجول داخل المدينة وجمع النفايات البلاستيكية ونقلها إلى داخل المستودع، ليبدأ العمل في مراحل التجهيز المتعددة لبيع البلاستيك المجروش للمصانع.

تقول أبو طير لـ«القدس العربي»: تعيش النساء في غزة واقعا مأساويا وتجد غالبية منهن صعوبة في تلبية احتياجاتهن الشخصية وحتى احتياجات أسرهن، نتيجة تراجع الدخل المادي لانعدام فرص العمل أمام الرجال، لذلك تجد المرأة نفسها شريكة إلى جانب الرجل في المعاناة.

وتشير إلى أن فكرة التوجه للعمل في هذه المهنة الشاقة والخطيرة نسبياً، نابعة من انعدام الخيارات أمامها وعدم مقدرتها على الحصول على فرصة أفضل، إضافة إلى أن أغلب المهن الخاصة بالنساء باتت منتشرة في قطاع غزة وخاصة المتعلقة بتربية الدواجن والحيوانات أو إعداد المأكولات وبيعها، لذلك اتجهت لإنشاء مشروح دائم ومستمر ومدر للمال، ويساهم في ضم عدد من النساء ممن بحاجة للحصول على فرص عمل.

وأوضحت أن المشروع يراودها منذ فترة طويلة، لكن التمويل المالي هو العقبة الأساسية أمامها، وبعد أن قام مركز شؤون المرأة بتمويل المشروع، انطلقت للعمل برفقة والتي يقوم بنقلها مجموعة من الشبان، حيث تعتبر أبو طير أن مشروعها يساعد في الحفاظ على نظافة البيئة، من تراكم النفايات البلاستيكية في الشوارع وتسبب تلوثاً كبيراً للبيئة، إلى جانب طموحها الواسع بجلب المزيد من الأيدي العاملة وتطوير المشروع.

وترى أسماء طموس أبو طير أن عملها ساهم في نقلها إلى حياة أفضل، بعد أن عجزت في الحصول على فرصة عمل تناسب تخصصها الجامعي وتوفر مصدر دخل مناسب لها.

وتقول لـ«القدس العربي» إن المشروع حقق نجاحاً رغم انطلاقه قبل أشهر قليلة، ويعود ذلك إلى الخبرة التي اكتسبتها حول طبيعة المجال برفقة شريكتها، كما وجدت أن هناك مشاركة واسعة من نساء لديهن خبرة أيضاً في المجال، وهذا كان سببا أساسيا في نجاح المرحلة الأولى من المشروع.

وتضيف هناك العديد من العقبات التي واجهت المشروع بالرغم من توفير التمويل، وتتركز في انقطاع التيار الكهربائي لساعات طويلة، ما يسبب توقف العمل، إضافة إلى أن كميات جمع البلاستيك تصل بشكل محدود يومياً، نتيجة قيام العمال بجمع النفايات على عربات صغيرة وكميات قليلة.

بدورها قالت منسقة المشاريع في مركز شؤون المرأة إسراء الخواجا إن الهدف من تمويل مشروع إعادة تدوير النفايات البلاستيكية، هو تمكين النساء من العمل على مكافحة آثار التغيرات المناخية التي باتت تعاني منها المدينة.

وأشارت لـ«القدس العربي» إلى أن المشروع يعد أحد المشاريع الخضراء التي يجب العمل عليها لعدة أسباب أهمها، أن البلاستيك ينتج عن تحلله مواد سامة تتسرب للخزان الجوفي، بالتالي تصبح المياه والتربة والمزروعات مستهدفة إضافة إلى التغيرات المناخية التي باتت تهتك النظام البيئي في القطاع.

وبينت أن جميع مشاريع التمويل التي يقدمها المركز، تسبقها دراسة ودورات تدريبية مجانية ينظمها المركز بالشراكة مع مختصين، من أجل توفير خبرة كافية للسيدات حول المشروع المنوي العمل فيه، وتحقيق النجاح.

توم هانكس «الفائز» الأكبر بجوائز «راتزي» النسخة الساخرة من الأوسكار

أضاف النجم السينمائي توم هانكس الحائز على جائزتي أوسكار، السبت إلى سجله مكافأتين غير مرغوب بهما، إذ نال جائزتي «راتزي» النسخة الساخرة من الأوسكار التي تكرّم «أسوأ» أعمال في هوليوود خلال العام.

واعتبر القائمون على جوائز «راتزي» أن الممثل الأمريكي قدّم أسوأ أداء في العام في دور ثانوي، حيث لعب دور مدير أعمال إلفيس بريسلي في فيلم السيرة الذاتية «إلفيس».

وحظي الفيلم بإشادة من النقاد، إذ نال ثمانية ترشيحات لجوائز الأوسكار، بما يشمل فئة أفضل ممثل لأوستن بتلر، الذي يلعب دور «ملك» موسيقى الروك أند رول.

لكنّ أداء توم هانكس لم يحظ بالإعجاب نفسه، إذ لم يرحم النقاد النجم الذي تم تغيير مظهره في الفيلم باستخدام مواد اصطناعية اعتُبرت نافرة للغاية، لتجسيد شخصية الكولونيل توم باركر.

كما مُنحت جائزة «راتزي» في فئة «أسوأ ثنائي على الشاشة» لتوم هانكس و«وجهه المحشو باللاتكس (ولهجته السخيفة)».

وقد أفلت الممثل على الأقل من الفوز في فئة أسوأ ممثل في العام، والتي تم ترشيحه أيضاً لها.

كما اعتبر القائمون على «راتزي» أن مشاركته في نسخة ديزني الجديدة من فيلم «بينوكيو» حيث يؤدي دور جيبيتو، أقل سوءاً من تمثيل جاريد ليتو، «الضيف الدائم» على هذه الجوائز، في فيلم «موربيوس».

وحصل فيلم «بلوند» وهو سيرة ذاتية عن مارلين مونرو، على جائزة أسوأ فيلم في العام.

وأُطلقت «جوائز غولدن راسبيري» الاسم الرسمي للـ«راتزي» في غرفة جلوس في لوس أنجليس عام 1981 من جانب طلاب سابقين في السينما وعاملين في القطاع السينمائي في هوليوود. وتُمنح هذه الجوائز تقليدياً في اليوم الذي يسبق منح جوائز الأوسكار.

وفيما اعتادوا على مر السنوات الماضية على السخرية من النخبة في هوليوود، أظهر القائمون على «راتزي» روح سخرية ذاتية هذه المرة من خلال منح أنفسهم جائزة لترشيحهم ممثلة بالكاد خرجت من مرحلة الطفولة.

وكان منظمو «راتزي» سحبوا الشهر الماضي ترشيح رايان كيرا أرمسترونغ، التي كانت تبلغ آنذاك 12 عاماً، لدورها في «فاير ستارتر».

وقال المنظمون، الذين قدموا الجوائز السبت، إنهم نالوا هذه الجائزة «بجدارة» بدلا من النجمة اليافعة التي رُشحت في فئة أسوأ ممثلة.

وهذه ليست أول زلة لهم. ففي العام الماضي، أنشأت «راتزي» فئة مخصصة لأسوأ أداء قدمه بروس ويليس بسبب أدائه الذي وُصف بأنه مخيب للآمال في أفلام كثيرة في العام السابق.

وسحب المنظمون الجائزة بعد أن أعلنت عائلة الممثل أنه يعاني من ضعف في قدراته الإدراكية، والذي حُدد أخيراً بأنه شكل مستعصٍ من الخرف. (أ ف ب)